MOCKOBCKNE HOBOCTN * MOSCOW NEWS * LES NOUVELLES DE MOSCOU * NOVEDADES DE MOSCU

انباء موسكو

العدد ٦
(٩٢٩)
الاحد ٨
شباط
فبراير
١٩٨٧

صحيفة اسبوعية يصدرها منذ ٥-٤-١٩٦٩ اتحاد الجمعيات السوفيتية للصداقة والعلاقات الثقافية مع البلدان الاجنبية ووكالة انباء «نوفوستي»

بصدد عملية التغيير وسياسة الحزب في مسالة الكادر

تقرير ميخائيل غورباتشوف
(الملحق)

الماضي

فبراير ١٩١٧ : الشارات الحمراء على الصدور . مواد القسم الثاني من الركن التاريخي «الماضي» تتحدث عن الثورة وعن الخطوات الاولى للحرية في روسيا .

(ص ٨-٩)

منتدى «انباء موسكو» حديث مع الخبير السياسي الاميركي زبيغنف بجيزينسكي وتعليق المراقب الدولي الدريه غراتشوف .

(ص ٧)

ما الذي سيعرضه فيل دوناهيو على الجمهور الاميركي ؟ مراسل «انباء موسكو» يتحدث عن لقاء فيل مع الشبيبة السوفيتية .

(ص ٤)



اللقاء العرفي

تحقيق العدد

كارثة طبيعية في خليج ريغا: لماذا وكيف ؟

في يوم الاحد المشؤوم تحول الناس على ساحل خليج ريغا الى منكوبين ومنقذين

(ص ١٠)





في اللقاء البرنامج

لم تتحول تلك العادثة لحسن الحظ الى فاجعة تنال كثيرا من الناس ولكن سكان لاتفيا لن ينسوا احداث يوم الاحد الاخير من شهر كانون الثاني (يناير) الماضي لمدة طويلة . فقد شرخت العاصفة كتلجير هائل الجليد لمسافة ٦٠ كيلومترا على امتداد ساحل خليج ريغا . وانفصلت ذلك الحقل الجليدي الشاسع عن اليابسة حينما كان عليه اكثر من الف وخمسمائة شخص من هواة صيد الاسماك من تحت الجليد وتوجهت القطعة الجليدية الى عرض البحر واخذت المسافة بين الحقل وبين الساحل تمتد بسرعة . قال فالديمار راينس مدير محطة الانقاذ المركزية في يورمالا : «ان التراجع المماثلة قد وقعت في الماضي ايضا ولكنها كانت في الربيع عادة وذهب اكثر هواة صيد السمك مخاطرة وجراة ضحية لها . اما هذه المرة فكان على الجليد عدد كبير من هواة صيد السمك رجالا ونساء بل واطفالا ...

حاجتنا الى الديمقراطية كحاجتنا الى الهواء

نتائج الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في كانون الثاني (يناير) يعلق عليها تلبية لطلب هيئة التحرير رئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى في جمهورية متحدة ، وامين لجنة الحزب في مقاطعة ، ومدير مصنع

(ص ١٢)

لكم شخصيا ؟

جواب لقارئ يشكو من الزمن
(١٣)

بني قبل ما يزيد على مئة وخمسين عاما وعلى بعد ١٢٠ كيلومترا من موسكو مصنع للخزف في قرية كوزنتسوفو وهذه القرية هي الآن مدينة كوناكوفو [illegible] التي سميت كذلك تكريما للثائر والفنان كوناكوف الذي عمل هنا [illegible] ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ .

ومن النادر ان يوجد بيت لا تستعمل فيه صحون او فناجين لا تحمل شارة هذا المصنع .

ان الورشة الفنية هي اكبر ورشات المصنع . وهنا يقوم الفنانون المهرة [illegible] الآنية الخزفية فترتدي حللا جميلة [illegible] رسومها التي تعتمد تقاليد [illegible] . والى جانب المهرة [illegible] فنانون شبان يبدعون [illegible] بجمالها . ويتقن هؤلاء [illegible] الآنية والتماثيل الخزفية ايضا ، هذا الاسلوب الذي يستجيب لمتطلبات تزيين البيوت في عصرنا ويتميز [illegible]

[illegible] من قبل الصداقة ان المصنع بالميدالية الذهبية في بروكسل الدولي عام ١٩٥٨ ، وبالميدالية الذهبية في معرض براغ الدولي للخيرامك عام ١٩٦٢ . وتصدر هذه المنتوجات [illegible] من البلدان .

وتعرض في متحف [illegible] منتوجاته في العقد [illegible] من ابداع فنانين سوفيت [illegible] سارا [illegible] ، و[illegible] فالوبوف [illegible] وايفان يفيموف [illegible] الانتاج الجماهيري اسلوب صناعة الآنية [illegible] الانيقة المزخرفة للاستعمال اليومي . ولا يزال المصنع يحافظ على هذا الاسلوب ، ان [illegible] لا تتعلق [illegible] بكل مادة صنعتها . واذا لفتت مرة فستكون بامكانه ان [illegible] دائما [illegible] في رفوف المتاجر .

التغييرات

تعتبر هذه السطور من جهة انطباعات ضيفة اجنبية قضت في بلدنا ثلاثة اسابيع من هذا الشتاء ومن جهة اخرى انطباعات اقتصادي سنحت له الفرصة خلال سنوات عديدة ابتداء من عام ١٩٦٤ ان يتابع الحياة في الاتحاد السوفيتي .

زرت الاتحاد السوفيتي للمرة الاخيرة في عام ١٩٨٣ . لقد لمست التغييرات التي طرات البلد مجرد خروجي الى الشارع . ففي المخازن مواد غذائية اكثر بكثير . ويلاحظ في المدينة مصدره افتتاح مراكز تجارية جديدة . ولقد لاحظت ذلك خاصة في نهاية زيارتي عندما افتتحت في العاصمة سوق كبيرة .

ومن الضروري الحديث عن السوق الكبيرة في نوفوسيبيرسك ، حيث انتشرت التجارة التعاونية بمعنى آخر يبيع الكولخوزيون لنتاجاتهم الزراعية بصورة واسعة . لقد حدثوني كثيرا من هذا الشكل التجاري الجديد الذي بدأ العمل به اعتبارا من عام ١٩٨٦ كان راى الناس بهذا الشكل ايجابيا لان الاسعار هنا ادنى كثيرا مما في السوق الكولخوزية التقليدية حيث يعرض الفلاحون على المشترين نتاج عملهم . يتعين على الكولخوزات القيام ايضا بعمل كبير لكي تحقق النجاح التام في هذا المجال . وشاهدت طوابير ضخمة حول سيارات الشحن التي تجلب الخضار من الحقل مباشرة ويقوم بالبيع عامل واحد . وهو على ما يبدو ، غير خبير بعمله لكن يستحيل تحقيق كل شيء في يوم واحد ...

وكيف حال الفودكا ؟ طرح على هذا السؤال مرارا عندما رجعت الى فرنسا . في الواقع ، من الصعوبة بامكان الآن شراء الفودكا ، وترى طوابير طويلة امام محلات بيع الخمور عندما تفتح ابوابها في الساعة الثانية والدقيقة . يمكن احيانا مشاهدة متجر يبيع الفودكا يكاد يخلو من الناس تقريبا . وهذا دليل على ان ليس كل الناس يقفون دائما في الطابور من اجل شراء الفودكا !

لقد اثارت اعجابي المقاهي الصغيرة الجديدة حيث يمكن شرب القهوة او العصير وتناول الفطائر .

اذا اردنا التحدث عن تجارة المنتجات الصناعية ، فقد تحسنت كثيرا . ولعجب اصدقائي الفرنسيين فناجين وملاعق الشاي الرائعة التي جلبتها من موسكو مع انني اشتريتها من المتجر العادي وليس في السوق الحرة .

انني لا اريد ان يتكون الطباع عني وكأني قضيت زيارتي في المتاجر لقد طالت كثيرا . وكنت اشترى كل يوم ست صحف على الاقل اجد فيها دائما مقالات ممتعة ذات طابع نقدي غالبا ، اذ كانت تتحدث عن ان بعض الامور لاتتغير بالسرعة المطلوبة ..

وتناولت التغييرات ايضا التلفزيون واقول صراحة انني خلال زياراتي الماضية للاتحاد السوفيتي لم اشاهد التلفزيون . اما الان فقد ظهرت برامج رائعة يتحدث فيها المسؤولون والوزراء صراحة ، ويجيبون على اسئلة المشاهدين الجريئة كما في برنامجنا «ساعة حقيقة» .

اسال نفسي كيف تعيش الشبيبة في المرحلة الراهنة . ادركت بعد لقاءات واحاديث مع الطلبة ان هذه المرحلة هي زمن الامال الكبيرة والترقب لكن ثمة مسالة تقلقهم : هل يستطيعون تجسيد مبادراتهم تماما دون ان يصطدموا حالا بالروتين كما جرى في المرة الماضية ؟

وبدات جهدي ، بصفتي اقتصادية طبعا ، لاتعرف على الاصلاح وبرنامج اعادة البناء وبهدف ذلك اجريت محادثات كثيرة حول هذا الموضوع خاصة مع الاكاديمي ابيل اغانبيغيان احد اشهر الاقتصاديين السوفيت في فرنسا . وتحدثت ايضا مع زميلته من نوفوسيبيرسك ، الاكاديمية تاتيانا زاسلافسكايا . وتذكرت من احاديثهما مسالتين اساسيتين الاولى : ان جبهة الاصلاح الان اوسع بكثير مما كانت عليه في عام ١٩٦٥ وتتناول التغييرات جميع المجالات وخاصة مجال ادارة المؤسسات والثانية ان اناسا كثيرين وربما يشكلون الاكثرية ليسوا راضين تماما ، لانه يجرى عزلهم عن الروتين بهذا الخصوص تذكرت مقطعا رائعا من مسرحية يروى ماكاروف الرائعة «صورة للصلحة الاولى» شاهدتها في مسرح ستانيسلافسكي ، حيث يقول : «تكمن مصيبتنا في ان الاقتصاد يرتبط بالناس الذين لايرتبطون به» لقد اثار هذا المقطع في القاعة عاصفة من التصفيق ...

ويجب على اكثر الناس اقتناعا بذل جهود جبارة لتشجيع الناس اليائسين او الذين كانت عندهم امتيازات في الفترات السابقة . وتبدو للعيان الحاجة الماسة للكوادر المؤهلة بالاساليب الجديدة ويخيل لي ان هذه الحاجة تظهر اكثر من سواها في مجال التجارة الخارجية .

على كل حال ، تبدو اليوم جميع الامور قابلة للتحقيق ، حتى للمراقب الاجنبي مع انها لتيسر لديه بعض الارتياب والشك وحسب ، بل والرغبة الاكيدة في العودة الى بلدكم وتقدير حجم التغييرات التي تمت .

مارى لافين ، استاذة الاقتصاد في جامعة باريس ، رئيسة جمعية «فرنسا — الاتحاد السوفيتي» .

«انباء موسكو»
رسالة الى حين الطلب

الرسالتان اللتان ننشرهما هنا ، موجهتان الى السيدة شيرون لينيسون من الولايات المتحدة الاميركية . ولقد نشرنا الحديث معها في العدد الثاني من جريدتنا .

السيدة لينيسون المحترمة .

انني قرات باهتمام كبير مرتين كيف عبرت باخلاص وصراحة عن رايك ببلادنا ونحن السوفيت . لكنني لا استطيع ان اوافق كليا على ما كتبته . بيد انني اكتب لك لا من اجل المناقشة حول «مقياس القيم» عندنا التي ، كما قلت ، «تختلف عما هي عندكم» ، بل بالعكس ، اود التوقف عند ما يوحدنا : القلق على مصير العالم ، والطموح الى الاسهام بالقسط مهما كان صغيرا في النضال من اجل درء الحرب وحماية الكوكب لاولادنا واحفادنا .

ان الفرق بيني وبينك هو انك زرت الاتحاد السوفيتي ١٦ مرة بينما لم ازر انا الولايات المتحدة بتاتا (الحقيقة ان مثل هذه الزيارة تكلفني كثيرا) . لكنني اعرف بلدي جيدا ، واهتم بما يجرى في العالم واقول بصراحة ان مشكلة الحرب والسلام مطروحة في بلدينا بشكل مختلف تماما . انك تعترفين بان جميع المواطنين السوفيت «بلا استثناء قلقون على حماية السلام» . وانا لا استطيع القول ، واعتقد بانك ايضا لا تستطيعين القول ، ان جميع الاميركيين يميلون الى السلام . لان ثمة اناسا في بلدكم يربحون من الحرب التي تحمل لهم الكثير من النقود . وينضم هؤلاء الى شتى الفرق والشركات والاتحادات الخ ... وعددهم كبير جدا ، وهم اغنياء جدا . وليس في بلادنا من له مصلحة في سباق التسلح . وعلينا ان ندعو بعضنا البعض الى السلام ، للتاكيد على ان الحرب شيء قبيح ولا انساني وقاس وغير ضروري . ان ما عاناه الشعب السوفيتي في الحرب العالمية الثانية اي في الحرب الوطنية العظمى تعجز الكلمات عن وصفه .

لذلك ، ثمة امام انصار السلام الاميركان وانصار نزع السلاح النووى مهمة معقدة جدا . اننا نحترم كثيرا اولئك الذين يقفون ضد التجارب النووية في نيفادا وضد تجارب صواريخ «ترايدنت» في فلوريدا او ما يفعله الدكتور هايدير ، مخاطرا بحياته ومحاولا باضرابه عن الطعام لمدة طويلة امام البيت الابيض .

اتمنى لك ايضا ان الاتحاد السوفيتي قدم في العام الماضي فقط مجموعة من الاقتراحات الرامية الى تصفية الاسلحة النووية وتوطيد السلام ، وبادر الى اجراء وقف ريكيافيك ، ويتمسك منذ سنة ونصف السنة تقريبا بالتجميد الانفرادى للتجارب النووية . وربما ليس من الضروري ان اقول لك ان جميع المواطنين السوفيت يؤيدون هذا العمل ، بينما قامت الولايات المتحدة في الفترة ذاتها باجراء كثير من التجارب النووية ورفضت معاهدتي سولت-١ وسولت-٢ . وربما انتما لا تعرف شيئا بهذا الصدد ؟ وربما ، ان الولايات المتحدة تقدمت باقتراحات سلمية بنساءة لا تنشر عنها اجهزة الاعلام عندنا . عندئذ ارجوك ان تكتبي لنا عن ذلك .

لينا غورديفا
(كوستروما ،
الاتحاد السوفيتي)

* * *

اعتقد ايتها السيدة لينيسون بان الدكتور في الحقوق غيورغي شاهنازاروف قد اجاب عن كثير من الاسئلة التي طرحتها في مقالته «نتعلم الديمقراطية» المنشورة في العدد الثاني ايضا الذي نشرت فيه رسالتك . فقد جاء في مقالته : «تمت في الفترة الاخيرة خطوات كبرى كثيرة بغية توسيع استخدام مبدأ تمثيل المصالح الخاصة الهامة جدا» (انشاء منظمات النساء السوفيتيات والمحاربين والعاملين القدامى والصندوق الثقافي واتحاد المسرح) .

وتنتشر في الغرب على نطاق واسع مختلف الجمعيات والاتحادات الايكولوجية . ويبدو لي ان الوقت قد حان عندنا لانشاء منظمة اجتماعية سياسية كالاتحاد الايكولوجي او الصندوق الذي تمارس شؤون الايكولوجيا على نطاق واسع . ومن شان ذلك ان يساعد على مواصلة تطوير ديمقراطيتنا ...

ف . ليفيجنين
(لينينغراد ،
الاتحاد السوفيتي)

لماذا تقرر عرض فلم «اميركا» ؟

بعث الينا بالرسالة المنشورة ادناه روبرت برشمان نائب رئيس مجلس الصداقة الاميركية — السوفيتية في ولاية مينسوته . وهي نسخة من رسالته التي بعثها الى الصحيفة الاميركية «مينيابوليس ستار اند تريبيون» .

ايها المحرر المحترم !

تقرر عرض المسلسل التلفزيوني «اميركا» الذي انتجته شركة (اى بي سي) في شباط (فبراير) القادم ، ويتحدث الفلم عن احتلال الاتحاد السوفيتي لاميركا بمساعدة منظمة الامم المتحدة .

اما في التاريخ الحقيقي فقد تعرضت الى الهجوم الدولة السوفيتية الفتية ، وقامت بذلك الهجوم القوات الاميركية التي كانت تطمح الى القضاء على الاتحاد السوفيتي . وبعدئذ اصبح الاتحاد السوفيتي ضحية اكبر الغزوات دمارا خلال التاريخ العالمي كله ولاسباب كثيرة يلتزم الصمت المطبق حول ما عاناه الاتحاد السوفيتي واكثر من الجميع ، خلال الحرب العالمية الثانية . وهذا امر طبيعي اكثر من الجميع ، خلال الحرب عن الافلاس الاقتصادي للاتحاد السوفيتي ، فمن الاجدى لنا اعتبار ان الشيوعية ، وليس الحرب ، تعرقل التقدم .

ويعتبر الكثير من الاميركان جديا ان الاتحاد السوفيتي حارب ضد الولايات المتحدة الى جانب النازية ولانا البعض مثل هذه الاسطورة كثيرا . فحاولوا ان تتصوروا ما هو شعور وموقف المواطنين السوفيت من ذلك . فهم يعرفون جيدا خطورة الدعاية للحقد والكراهية . وقد استخدمها النازيون لتبرير جرائمهم ضد الشيوعيين السوفيت . ان القانون السوفيتي يحرم الدعاية للحرب والكراهية . والاتحاد السوفيتي كان يفرق دائما بين الالمان والنازيين بصورة دقيقة . هذا وان الشعب الالماني مازال يعاني بصورة مؤلمة من آثار الدعاية للتفوق والكراهية .

لقد رايت في الاتحاد السوفيتي اناسا هزتهم بكل معنى الكلمة احاديثي عن ماهية التصورات الكاذبة لدى الاميركان عن الاتحاد السوفيتي «امن الممكن ان ينسب احد ما مثل هذه النوايا القبيحة لشعب عانى الكثير جدا ، ولا يريد ابدا ان تكرر هذه المآسي ؟»

ان القانون السوفيتي بشان الدعاية للحرب يحرم مثل هذا السيناريو للفلم كفلم «اميركا» يحتل الاميركان فيه الاتحاد السوفيتي . فالناس السوفيت يعرفون الاميركان — شعب طيب ومحب للسلام . ولكن لديهم كل الاسباب للخشية من ان الاميركان يوحى لهم بالخوف والحقد تجاه الشعب السوفيتي . ان من الصعب علينا تقبل ذلك ، ولكنهم على حق واذا كانت حكومتنا تكذب فيما يتعلق بليبيا ونيكاراغوا ، فلماذا ينبغي علينا ان نعتبر كذبها مستحيلا فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي ايضا ؟

لقد قال ميخائيل غورباتشوف ان الكرة الان هي على جانبنا من ساحة اللعب . فهل نحن راغبون على لعب فريقنا ؟ وما هي المناورات التي وجهناها نحو جانب الاتحاد السوفيتي ؟ لقد سحقنا التقدم الذي كان يوجد بالكثير في ريكيافيك ومازلنا نواصل تجاربنا ، فيما اوقف الاتحاد السوفيتي تجاربه النووية . اما الان فقد قرر فريقنا تقديم «اميركا» .

حان الوقت لكي يشترك الشعب الاميركي في اللعب . فمن غير اللائق لنا ان نتلقى آثار الدعاية القاشية .

مع الاحترام .

روبرت برشمان

ان اسهل وسيلة للحصول على المعلومات عن حياة شعوب الاتحاد السوفيتي هي مطالعة الجريدة الاسبوعية «انباء موسكو» (تصدر باللغات الروسية والانجليزية والفرنسية والاسبانية والعربية) التي تنقل للمشتركين من موسكو بطائرات ايروفلوت راجعوا مؤسسات التوزيع في البلدان العربية على العناوين التالية :

* الجمهورية العراقية
بغداد-الدار الوطنية للاعلان
وكالة وزارة الاعلام
عمارة النعمان

* جمهورية مصر العربية
الاهرام
شارع الجلاء
القاهرة

* المغرب
الدار البيضاء
المنظمة المسيحية لنشر وتوزيع المطبوعات «سوشيبريس» ، زاوية شارع ديشان وشارع سين-سالس ص . ب ٦٨٣

* لبنان
دار الفارابي
ص . ب . ٣١٨١ بيروت

العالم على شاشتي

الغرب يتحدث عن بكين


فلاديمير تسفيتوف

عقدت في العاصمة الصينية مؤخرا جلسة موسعة للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني نوقشت خلالها مشاكل الحزب واعفى هو ياوبان من مهام السكرتير العام للجنة المركزية للحزب .

لقد اثار هذا الحدث الذي يبدو للوهلة الاولى انه يتسم بمغزى داخلي بحت موجة شديدة غير متوقعة من النقاش في الغرب والهالت مختلف انواع التكهنات والتخمينات والتوقعات . فهل هناك مايثيرها ؟

يظهر ان المحللين الغربيين لم يحققوا تقدما فغالبا ما تكون التقييمات والتكهنات بصدد الاحداث الدولية مبتذلة . ومن الطبيعي ان صحة هذه التنبؤات تعادل سبل الحصول عليها . ولكن يبدو ان الوضع في الصين امر خاص .

وعلى الرغم من ان الخرائط في ايدي مختلف المنجمين السياسيين باوضاع مختلفة فان سمة عامة تلوح من تفسير توزيع المناصب وهي خيبة الامل مما يحدث والاسف على ان النضال الذي بدأ في الصين ضد «الليبرالية البرجوازية» قد وضع نهاية الامل في ابتعاد الصين الشعبية عن الاشتراكية علما بان هذه الامال كانت موجودة بالفعل . بل وكانت شديدة . واتذكر الآن رد فعل احدى المجلات البريطانية على تطرف «الثورة الثقافية» . فقد كتب المؤلف «اليس يدحض مجرى الاحداث في الصين مرة والى الابد التعاليم الماركسية واللينينية حول الثورة والاشتراكية» ولكن من المعلوم ان التعاليم الماركسية اللينينية لم يصبها اى ضرر من التصورات المشوهة عنها التي كانت سائدة في الصين في ذلك الحين .

وهل هي تتغير الان ؟ هذا ما كان من احلام انصار الثار الاجتماعي في الغرب حتى وقت قريب . لقد سمعت من صحفي ياباني معروف حول «التجديدات الاربعة» (يعني الاصطلاح في الصين الاصلاح الاقتصادي) قوله «يبدو انه لايوجد اى شيء يعيق بعث الصين كبلد حر الاقتصاد» .

وهكذا تبرز احلام الايدلوجيين البرجوازيين وهي البرهنة بالمثال الصيني على عدم حيوية الماركسية اللينينية وفي الوقت ذاته جر الصين الى النظام الرأسمالي . اما وزير الخارجية الامريكي الاسبق هنري كيسنجر فقد كان يحلم بجرها سياسيا وعسكريا ايضا . فقد كتب كيسنجر في جريدة «نيوزداي» التي تصدر في نيويورك : «ان الولايات المتحدة والصين لهما مصلحة مشتركة في ردع خطط التزعم في منطقة آسيا والمحيط الهادئ» .

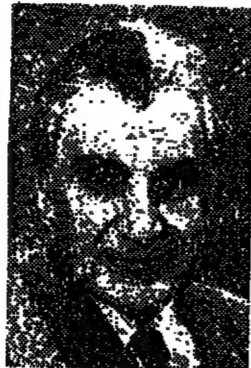
بيد ان احداث الصين لاتطابق الجداول التي اعدت مسبقا في الغرب . وصرح عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني نائب رئيس وزراء الصين الشعبية لي بين في خطاب القاه امام مؤتمر عموم الصين للعاملين في اجهزة التخطيط : «اننا اذ نخوض نضالا ضد الليبرالية البرجوازية فنحن نكافح خرق المبادئ الاساسية الاربعة كما نقف ضد الرأسمالية في الصين وتقليد الغرب بلا تمييز» .

بيد ان هذه المهام لاتتلاءم مع مصالح الغرب وهذا هو سبب التكهنات . واخذ المنجمون الغربيون يؤكدون بان نجاحهم في توزيع الاوراق يتلو الصين حسب ادعائهم «بالمعاناة من رد الفعل الايديولوجي على الافكار الغربية» مثلما جاء في خبر وكالة فرانس بريس . اما وكالة الانباء اليابانية كيودو تسوسين فقد وعدت «بنهاية الامزجة المحبة للحرية بين الصينيين» كما تنبأت وكالة رويتر باخفاق الاصلاح الاقتصادي الصيني .

وقال صراحة احد اعضاء الرابطة اليابانية لمزاولي السحر الشرقي الذي يملك كومبيوترا شخصيا «سيبقى لنا زبائننا ما دمنا نتنبأ لهم بما يريدون سماعه» . ويبدو ان عرافة الدعاية في وسائل الاعلام الغربية يتبعون هذه القاعدة للفرص الاحتفاظ بالزبائن ولاينفي الزبائن ان اهتمامهم بالصين التي دخلت مرحلة النضال ضد «الليبرالية البرجوازية» اضعف كثيرا من الدول التي تعتبر في حساباتهم «تقلد الغرب بلا تمييز» .

يوميات سياسية

الحق في الوجود


يفغيني امبارتسوموف

طالب الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الذي عقد في كانون الثاني (يناير) بضمان التأثير الاكثر واقعية للمؤسسات الديمقراطية في الحياة الاجتماعية وذلك انطلاقا من كون هذه المؤسسات قد اتسمت بطابع شكلي واستعراضي الى حد بعيد في الماضي . وكان ذلك كله ملموسا في الحياة اليومية . فضاع شعور صاحب الملك لان الهيئات الديمقراطية في المؤسسات اعتبارا من الاجتماعات النقابية الى المؤتمرات الانتاجية كانت تعتبر ادارية في العادة وتضايق العاملين على الرغم كونها الزامية من الناحية الشكلية . وذكر رئيس معروف لاحد الكولخوزات بمرارة على صفحات جريدة «برافدا» تعسف السلطات المسؤولة ضد الديمقراطية في الكولخوز والحق الكامل للكولخوزيين في تدبير امورهم . وانعدم الاهتمام بانتخاب اجهزة السلطة العليا لان امكانية الاختيار ذاتها كانت معدومة . وانعدم تطور التصور حول حق المجتمع ومعه الوعي القانوني . ولم يكن الفرد مواطنا بالدرجة التي يظهر فيها . الم يكن هذا الاصطلاح شبه مضحك في وعي الجماهير بسبب الروتين البيروقراطي والوقوف في الطابور ؟

ان شعبنا يعتز كثيرا بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية التي امنتها الثورة . بيد ان الحق في العمل لم يربط في اغلب الاحيان بالعمل النزيه خلال السنوات الاخيرة وتحول الى حق الاعتياش على حساب الدولة والطمع في المال والنفوذ . وبدلا من العيش اليسير حل حق سلب الدولة والاحتلال حتى ولو بالطرق المخالفة للقانون . اى باختصار ان الحقوق والامكانيات الفعلية كانت تختلف عن المشروعة : وفاز النصابون بينما خسر النزيهون «غير الحاذقين» .

وبدا كأن الطبقات العليا في المجتمع تملك كل الحقوق . ولكنها كانت موهومة لان سطوتها الادارية خيالية . فلم تؤد الى النتائج المرجوة بل الى غيرها تماما : فلا النمو بل الركود ولاتكاتف المجتمع بل تشتته .

ومن الطبيعي ان القوى الاشتراكية الحقيقية التي وقفت ضد ذلك والقيادة الهادفة كانت بمثابة ماء الحياة بالنسبة للمجتمع ونحن نستعيد حقوقنا بكل ما تتضمن من امال والتزامات ومعها الكرامة الانسانية وحق المواطنة . ولايكتسب الشغيلة الحق في اختيار المسؤولين فحسب بل كذلك الشعور بالمسؤولية عن مؤسساتهم ويحصل المواطنون على الحق الفعلي في اختيار ممثليهم في اجهزة السلطة وحق الرقابة على جميع جوانب حياة المجتمع .

وباستطاعتنا اليوم ان نتحدى الغرب المتقدم بالتسابق في مجال حقوق الانسان ، لاننا نتمتع الان بالحقوق الفعلية للانسان التي تنتهك في ظل الرأسمالية وليس الظاهر بل الواقع ، ويجب ان يكون الانسان عصريا بكل مطامحه الاجتماعية ومواطنا بالمغزى الاساسي الرفيع لهذه الكلمة .

في ضيافة ربات الفنون

عودة مسرحية «المنتحر»


الكسندر سفوبودين

جرى في ربيع العام ١٩٢٥ ، وفي العشرين من نيسان / ابريل تحديدا ، العرض الاول لمسرحية نيكولاى اردمان الكوميدية «التفويض» . وشاهد الجمهور على خشبة المسرح عالما متحركا لاحد المبتذلين ينطق بالتعابير المميزة له ، والتي اجاد المؤلف الحديث عنها كانت امام المشاهدين مؤامرة «اناس سابقين» ، لم يفارقهم الامل باعادة تسجيل التاريخ وفق سيناريو آخر وجوابا على ذلك ضحك التاريخ منهم . كانت التمثيلية عن ضحك الثورة القاتل . كانت السلطة السوفيتية في عامها الثامن آنذاك . وكانت الثورة في ذلك الوقت تقدم دروس التفاؤل .

كان المؤلف يوم جرى العرض الاول يبلغ من العمر ٢٣ عاما واربعة اشهر . وهذه الحقيقة لم تصدم احدا ولعل السبب هو ان «لجنة العمل مع الشباب» لم يكن لها وجود آنذاك ، وكان الكتاب ينقسمون الى موهوبين وغير موهوبين ، لا الى شباب وكهول .

دخلت تلك المسرحية وعرضها تاريخ المسرح السوفيتي ، ودخله عرض المسرحية كواحد من اعلى تجليات موهبة المخرج العظيم ، ودخله النص المسرحي كنموذج للكوميديا التي تستمر بالسير على خط غوغول وشدرين وسوخوفو — كوبيلين .

ولمة من تقدم هذه الاحصائية : ضحك الجمهور الذي شاهد تمثيلية «التفويض» لميرخولد اكثر من الاربعمائة مرة .

وها قد مضى ٦٢ عاما . (ارقام كثيرة ؟ ولكن القارئ يعرف ان ثمة كلمات اكثر بلاغة للتعبير عن التواريخ والفترات الزمنية) . في الثاني عشر من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٨٧ ، الذي عرف بزمهريره ، كان مسرح «ساتيرا» (الهجاء) يشهد عيدا ربيعيا ، اذ قدم تلميذ ميرخولد المخرج فالنتين بلوتشيك مسرحية اردمان الثانية ، كوميديا «المنتحر» ، التي كتبت ومنع عرضها في العام ١٩٣٠ . وكان ميرخولد قد اعدها واصبحت جاهزة للعرض التجريبي ، ومسرح موسكو الاكاديمي الفني قد باشر بالعمل ... ولكن ...

... اضحت التمثيلية اسطورة خشبة المسرح ، لم ينسها احد ابدا ، وكان الناس يتحسرون عليها ومارست تاثيرها الصامت على المناخ المسرحي ، ذلك لانها واحدة من قمم ادبنا المسرحي . وكتب وتحدث عن محاسنها كل من غوركي وستانيسلافسكي وميرخولد ولوناتشارسكي . ولكن لم يكن بمستطاعهم قهر عدوانية البيروقراطيين المتهيبين .

اثناء العرض الاول لتمثيلية «المنتحر» الذي قدمه تلامذة ميرخولد لاحظت ان الجمهور ضحك ١٤٠ مرة ان مشهد الضحك الآن مختلف ، وبعض العناوين التي تصدها التمثيلية كثيرة ، والنص المسرحي لا تتسع له تمثيلية من فصلين .

ان المشاهد يتعرف على ما يعرف ، على كل «الاشباه» وما اكثرها اليوم ، كاشباه المثقفين ، الذين يتحدثون باسم كذا وكذا ، وادعياء التدين ، الذين لا يخافون حتى عدم ايمانهم ، وكذلك اشباه الادباء . والمشاهد يتعرف ويعرف ، علانية المبتذل ، الذي يطلب امرا واحدا فقط ، اى حق القول «ان عيشنا سيء» ، لانه عندما نقول ان عيشنا سيء نعيش على نحو افضل ...» .

يضحك الجمهور من عقلية المبتذل الذي ، كما يقول غوركي ، يرى في الم اسنانه شقاء البشرية كلها ويضحك من خيالية النسائس ، ومفارقة المنطق في «مقالات» المشاهد على الخشبة .

ان المحور الذي يدور حوله كل شيء هو شخصية بودسيكالنيكوف . منتحر وهمي يعيش لحظات عظمة وقدرته «على كل شيء» . ولكن خياله يائس ، اذ لا يكفي الا لمحاولة تعلم العزف على البوق ، ولكي يتشجع وهو في حالة سكر على الاتصال هاتفيا بالكرملين «شخصياً» ، بغية ابلاغه ان ماركس لم يعجبه (من المؤسف ان هذا المشهد قد اسقط من التمثيلية) .

يقوم رومان تكاتشوك بدور بودسيكالنيكوف ويؤديه بكل جدية ، ويمزج من تنوع الظلال . ويركز الفنان والمخرج انتباهنا على تجليات البطل الانسانية . انه «انسان صغير» بالمعنى الراهن لهذا المفهوم التاريخي وفي لحظات انعطاف مصيره يبدو امامنا قليلا بائسا وكان شيئا معزولا يتسلل الى نفوسنا دون ارادتنا .

وهكذا نجح المسرح في محاولته الثانية (جرت محاولته الاولى في عام ١٩٨٢ ، واجهها البيروقراطيون ايضا) باعادة «المنتحر» الى جمهورنا وثقافتنا .

الدبلوماسيون والاجتماع الكامل

تلبية لطلب مراسلينا ادلى عدد من السفراء المعتمدين فـي الاتحاد السوفيتي بانطباعاتهم عن الاجتماع الكامل للجنة المركزيـة للحزب الشيوعي السوفيتي الذي عقد في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٨٧ .

وقال كاوول سفير جمهورية الهند :

— لقد تركت في نفسي اعمق الاثر تلـك الخطوات الجذريـة والبعيدة الاهداف لاصلاح المجتمع السوفيتي التـي صادق عليها الاجتماع الكامل وكذلك النجاحات التي تحققت خلال عام بعد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعـي السوفيتي . وان العديد مـن البلدان النامية والمتطورة يواجه ضرورة حل مسائل اعادة البناء والعلانية واشاعة الديمقراطية والانتقاد والانتقاد الذاتي ومكافحـة الرشوة والمحسوبيـة والبيروقراطية . وبامكاننا جميعا ان نتعلم مـن مثال القيـادة السوفيتية الجديدة . وهذا مـا يذكرني بدروس المهاتما غاندي في مرحلة كفاحنا من اجل الحرية وجهود نهرو في سبيل تجسيـد هذه الدروس بعد نيل الاستقلال .

وصرح ارنستو كاستيلو مارتينس سفير نيكاراغوا :

— ان الخطوات التي وردت في تقرير ميخائيل غورباتشوف لاتساعد على زيادة النشاط السياسي وتعجيل التطور العلمـي والتكنيكي في الاتحاد السوفيتي فحسب بل تترك كذلك اثرا ملموسـا على الحياة الدولية . اذ ان الحزب الشيوعـي السوفيتي هو القـوة الرائدة والموجهة للمجتمع السوفيتي ، ويحظـى بالنفوذ بيـن الاحزاب الشيوعية وحركات التحرر والحكومات التقدمية .

قال السفير البلغاري غيورغي بانكوف :

— ان القرارات التي اتخذها الاجتماع الكامل هي عبارة عن تسط جديد في النظرية الاشتراكية وتطبيقها وفي تطوير المبادئ اللينينية وقواعد بناء الحزب .

ويراقب الشيوعيون البلغار وشعبنا كلـه باهتمام كبير عملية التحولات الجارية في الاتحاد السوفيتي ويسعدهم النجاح في تحقيقها . وممـا لاشك فيـه ان استنتاجات وقرارات الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي لها اهمية مبدئية كبيرة للاحزاب الشقيقة فـي بلدان الاسرة الاشتراكية .

وصرح جعفر غني سفير موريتانيا :

— لقد وصلت الى الاتحاد السوفيتي قبل فترة وجيزة . واصبحت على الفور شاهدا على التحولات العميقة في جميع جوانب حياتكم . وان تلـك الاصلاحات التـي رسمت ويجري تحقيقها تعزز اركان بلادكم وتعمق علاقاتها مع البلدان الاخرى وبضمن ذلك بلدان «العالم الثالث» .

وقال براين كارتليج سفير بريطانيا :

— ان تقرير ميخائيل غورباتشوف الذي قدمه الى الاجتماع الكامل للجنـة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي كـان مهما جدا وجديرا بالاهتمام . ونحن نقوم بدراسته بدقة .

مـا الـذي سيعرضـه فيـل دوناهيـو عـلى الجمهـور الامريكـي

قدم الى بلادنا المعلق التلفزيوني الامريكي فيل دوناهيو الـذي سبق لنا ان تعرفنا به من خلال الجسور التلفزيونية الثلاثة التي اجراها .

لقد أعد ضيفنا الامريكي الذي يظهر امام الجمهور على شاشة التلفزيون الامريكي كل يوم تقريبا ، اربعة برامج وزار محطـة تشرنوبيل الكهرذريـة وصور النقط الآهلة التي نقل سكانها الى اماكن اخرى .

وخصص دوناهيو البرنامجين التاليين للعائلة السوفيتية وموضوع الاحـداث الذين تتراوح أعمارهم بين السنة الرابعة عشرة والسابعة عشرة . واختار اعضاء الفريق الامريكي بانفسهم حوالى ٧٠٠ سوفيتي للمشاركة في هذين البرنامجين . وخصص البرنامج الرابع لليهود السوفيت .

ووجد فيل دوناهيو البرنامج الخاص بالشبـاب امتع برنامج . ولذا اريد ان انقل منـه بعض المناقشات التي اجراها مع الشباب .

— هل توجد لديكم مشاكل في المدرسة ؟

— لا توجـد قضايا جدية . وهذا امـر سيء . تعطي المدرسة معارف جيدة غير انها لا تعلـم الحياة . اننا نقضي فيها وقتا طويلا الا انها تحتل مكانا قليلا في قلوبنا . هذا ليس امتع موضوع للحديث .

— هل تستطيعون مخالفة الحكومة ؟ الكـم ستنهون الدراسة في وقت قريب مثلا وستجندون للخدمة العسكرية . هل تريدون ذلك ؟

— هذا واجبنا امام البلاد ومن العبث مناقشتـه اذ يتوجه الكثيرون لأداء الخدمة العسكرية برغبـة ويريدون تجربة انفسهم . وثمة من يخشى الخدمة في الجيش . لانهم يعرفون ان ثمة احتمال ارسالهم الى افغانستان حيث فارق الحياة كثير مـن شبابنا من ضمنهم شقيقي . اننا ندرك ما هو الـواجب الاممي . واذا ارسلوني الى افغانستان فلن ارفض طبعا .

— هل صحيح ان الدين لا يلقى تشجيعا فـي الاتحاد السوفيتي ؟ هل ثمة متدينون بينكـم ؟ ارفعوا ايديكم . ورفع ستة تلاميذ ايديهم مـن اربعمئة تاميذ .

توجد في بلادنا مدارس دينية . وثمة كثيـر من الكنائس ولا يمنع دخولها . البعض لا يؤمـن ويعتقد البعض الآخر ان الشباب في عصرنا يبحثون في الدين عما يعوضهم عن فشلهم في الحيـاة فالدين لدى هؤلاء بمثابة خدر روحي . ولكـن يستحيل الاستغناء عن الايمان . اني شخصيا مؤمن في قرارة نفسي بقواي وبالخير وعلى الرغم مـن ذلك اني اعرف جيدا طقوسنا الدينية لانها تؤلف جزءا من ثقافتنا وتاريخنا .

— من اين اخذتم التصور الشائع ان النقود هي الشيء الوحيد الذي يهم الامريكيين ؟

ليس لدينا مثل هذا التصور . فخلافا لاجهـزة اعلامكم تظهر اجهزة اعلامنا الجوانب الايجابيـة والسلبية للحياة الامريكية . الا اننا نقتنع اكثر فاكثر بانكم لا تعرفون عنا الا ما ندر . وربما لانكم لا تريدون ان تعرفوا شيئا او لان المعلـومات غير الموضوعية تحيط بكم .

اني تعرفت مؤخرا بشاب امريكي وكنا نتفاهم جيدا مع اني اتحدث الانجليزية بصورة سيئـة ودار حديثنا حول الموسيقى والادب والسينما. غير ان حاجزا منيعا من عدم التفاهم نشأ بيننا ما ان تناولنا السياسة . لقد عرض على الطلس العالم الذي صدر في الولايات المتحـدة فكانت اراضي الاتحاد السـوفيتي في ذلك الاطلس تشغل كـل البلدان تقريبا . ثم رسم الشاب الامريكي مظلة ضخمة فوق الكرة الارضية . ولكن هل ثمة حاجة الى المظلة حين لا تمطر السماء ؟ لماذا تركضون وراء التفوق في الاسلحة ؟

لاننا لا نريد التأخر عنكم . يتساءل كثير من الامريكان باستغراب لماذا يجب عليهم ان يكونوا الابطأ في المشي ؟

— انهم لن يكونوا البادئين ابدا لاننا اقترحنا منذ عام واحد حظر التفجيرات النووية . واننا نعلم ان الكثيرين في الولايات المتحدة يؤيدوننا بيد ان ذلك ليس كافيا ، بل يجب العمل . لقد يخـاف ريغان من المجمع العسكري الصناعي ومن احتمال مصير كندي ؟

سيبدأ في وقت قـريب عرض فيلم «اميركا» المعادي للاتحاد السوفيتي على شاشاتكم وعلى الرغم من ان قصته خيالية لا اظن انه سيساعـد على تحسين موقف الامريكيين منا . اني ساجنـد للخدمة العسكرية في الربيع القادم واريـد ان يعرف الامريكيون اني لن اعبر حدود الولايـات المتحدة حاملا المدفع الرشاش اذا لم تتزعـوا بالاعتداء علينا .

* * *

بعد تسجيل البرنامج طلبت الى فيل دوناهيو ان ان يتحدث عن انطباعه عن الحوار . فاعترف ان سلسلة البرامج التي سجلها في موسكـو كانت اعقد سلسلة في حياته .

ثم اضاف قائلا :

اني كنت متأثرا جدا بان كثيرا من الشبـاب يعرفون اللغة الانكليزية خلافا لاقرانهم الامريكيين لان القلائل منهم فقط يعرفون اللغة الروسيـة تحدثنا عن المدرسة وقضية الاباء والاطفال والنظرة الى الجنس واشياء كثيرة اخرى . لقد ادهشتني صراحتهم .

اتيح لي فـي احد البرامج اللقاء مع شهـود العيان لكارثة تشرنوبيل . وتحدث الناس فـي برنامج آخر بصراحة عن قضايا العائلة السوفيتية وشاهدت هنا فيلما وثائقيا عبر فيه الشباب عن عدم رضاه عن الواقع . يبدو ان بذور سياسة العلنية اخذت تأتي بثمارها وطرأت على البلاد تغيرات ملحوظة .

يلينا خانغا

من اجـل بقـاء البشريـة

«من اجل عالم خال من السلاح النووي من اجل بقاء البشرية على قيد الحياة» — تحت هذا الشعار ستقام في موسكو ندوة دولية فيما بين ١٤ و١٦ شباط (فبراير) .

اعلن ذلك في مؤتمر صحفي عقد في موسكو اعضاء مجموعة المبادرة السوفيتية برئاسة الاكاديمي يفغيني فليخوف نائب رئيس اكاديمية العلـوم السوفيتية .

ما هو الداعي الى عقد هذه الندوة في موسكو ؟ لقد اعاد فليخوف الى الاذهان انه في صيف العام الماضي قد انعقد هنا اجتماع دولي للعلماء بحثت فيه مسائل الحـرب والسلام ونزع السلاح وفي مقدمته النووي . وحينئذ قابل ميخائيل غورباتشوف مجموعة المبادرة كلها وقيم عاليا نشاط العلماء في قضية النضال من اجل حفظ السلام . وفي اواخر عام ١٩٨٦ اجتمعت مجموعة المبادرين من العلماء في هامبورغ . وتقرر خلاله ان يعقد في موسكـو مجددا مؤتمر دولي بغية بحث القضية الجذرية ، الا وهي كيفية بقاء البشرية على قيد الحياة في الظروف الجديدة التي ظهـرت في اجتماع قمة ريكيافيك ولكنها لم تستغل بسبب سعي الولايات المتحدة الى نشر اسلحة «حروب النجوم» في الفضاء . فلابد وان يدلي علماء كافة البلدان برأيهم حول هذه المسألة.

واشار فليخوف انه خلال الاستعداد للندوة كان يزداد عدد الراغبين في الاشتراك فيها من ممثلي الاوساط الاجتماعية المختلفة . ولذلك ، يفترض ان تقام في اطار الندوة الدولية «موائد مستديرة» لا للعلماء فحسب ، بل ولرجال الدين والكتـاب والفنانين وممثلي الدوائر التجارية . وهذا هو السبب في ان مجموعة المبادرة السوفيتية تضم الى جانب العلماء الكاتب جنكيز ايتماتوف والممثل ميخائيـل اوليانوف والراقصة الباليه مايا بليستسكايا .

كما صرح الاكاديمي ، انه قد اعرب ٧٤٠ شخصا من الولايات المتحدة والمانيـا الغربية واليابان وانجلترا وفرنسا والدول الاشتراكية عن رغبتهم في المشاركة في الندوة . وقد وجهت الدعوات لا للرجال المشهورين والمعروفين الذين يقفون «مواقف حازمة ضد الحرب فحسب ، بل ولهم وجهات نظر مختلفة تماما . كما ووجهت الدعوة الى الاكاديمي ساخاروف الذي لـم يعط الجواب بعد . وسوف يوجه علماء الطب ورجال الثقافة اهتمامـا كبيرا لقضية تكوين نموذج مقولب «للعدو» .

واكد فليخوف : — نحن نريـد ان يدوي في الندوة رأي الاوساط الاجتماعية العالمية في قضايا كتحريم التجارب النووية ونزع السلاح وعدم تسليح الفضاء . ولتظهر في النقاش الحقيقة التي تتضمن الجواب على السؤال : كيف يمكننا البقاء جميعا على قيد الحياة ؟ وسوف يتبادل المشاركون آراءهم مع ميخائيل غورباتشوف ؛ حيث توجد موافقة مبدئية على اللقاء معه .

قبـل الانطـلاق الى المحطـة ((مير))

ستنطلق قريبا الى المدار حول الارض السفينة الفضائية «سويوز تم ـ ٢» التي ستنقل طاقما آخر الى محطة «مير» المدارية . هذا وتجري الان الاستعدادات الاخيرة للانطلاق من مطار بايكانور الفضائي .

ومن المنتظر ان يبدأ الرائـدان الفضائيان يوري رومانينكو والكساندر لافيكين المرحلـة الثانية من عمل هـذه المحطة ان مهندس المتن لافيكين هو رائد فضاء جديد لكنه مهندس محنك عمل لمدة طويلة في مكتب سيرغي بافلوفيتش كوروليوف للدراسات والتصميم .

لقد مضى حوالى عام على وجود محطة «مير» في مدارها وهي بالمقارنة مـع محطات «ساليوت» السابقة لها المزودة بمركزي التحام لمتاز بكونها مزودة بستة مراكـز التحام ويمكنها استقبال السفن الاليـة والموجهة وكذلـك الحجرات المتخصصة المنفصلة وكان الرائدان ليونيد كيزيم وفلاديمير سولوفيوف اول مـن نزل في هذه المحطة وذلك في السنة الماضية وكانا قد جربا قدرة «مير» على العمل وكذلك اجهزة متنها .

وسيتوجب على الطاقم الجديد في الايام الاولى تنمية كمبيوتر المتـن واتمام تجهيز المحطة بالاجهزة العلميـة وتجربة عمل المحطة اثنـاء العمليات الدينامية . كمـا يتوقع لاحقا وصول حجرة متخصصة للفيزياء الفلكية التي سيكون على متنها اربعة تليسكوبات رونتجينية صنعها الخبراء السوفيت بالتعاون مع علماء من المانيا الاتحادية وهولندا وانكلترا . وفي الحقيقة ، فان مشاركة رائدي الفضاء في عمل هذه الحجرة محدودة جدا اذ انهما سيكتفيان بتوجيه المجمع بدقة نحـو المواقع موضوع الدراسة .

حريـق في فنـدق ((روسيـا))

رن جرس الانذار في مركز مناوبة الاطفاء في الساعة السادسة والدقيقة الثالثة والثلاثين من مساء التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) اذ نشب حريق في فندق «روسيا» في موسكـو وما ان مرت خمس دقائق حتى كان رجال الاطفاء يكافحون النـار . ووصلت الى مكان الحادث ٤٨ سيارة اطفاء . وصعد رجال الاطفاء الى الطوابق العليا عبر الشبابيك . وقد نشب الحريق في ممر الطابق الثالث للقاطع الشمالي .

فما الذي حدث ؟

ان السبب بسيط الى درجة مؤسفة . اذ انفجر جهاز تلفزيون ملون في احدى الغرف . وفك نزيل الغرفة رباطة جأشه فخرج الى الشرفة ثم عاد الى الغرفة وفتح بابها فادى تيار الهواء الشديد الى انتقال السنة النيران الى الممر الذي سرعان مـا اشتعلت النيران فيه .

وكان من الواجب بالدرجة الاولى نقل القاطنين في الفندق من منطقة الخطر بعد ان تجمهروا في الشرفات بذعر او قبعوا في غرفهم .

ولم تشكل النيران خطرا مثل الدخان السام فقد اشتعلت الموبيليات والغلافات البلاستيكيـة واوراق الجدران والاصباغ والسجاجيد الاصطناعية مما ادى الى اختناق البعض وفقدانهم الوعي .

وتوزع رجال الاطفاء ضمن مجموعات من خمسة او ستة اشخـاص وبداوا في وقت واحد تمشيط الممرات في عشرة طوابق . وفي كل واحد منها ٢٤ غرفة .

وانعدمت الرؤيا بسبب كثافة الدخان ولم تساعد على ذلك حتى المصابيح القوية لرجال الاطفاء الذين اخذوا يبحثون عن المصابين باللمس عند تفتيشهم الغرف الواحدة بعد الاخرى . واخرجوا البعض دون عناء بينما عارض آخرون مغادرة غرفهم بعناد .

ولم يبخل رجال الاطفاء بجهودهم ، ولكنهم لـم يستطيعوا للاسف انقاذ الجميع . فقد عثروا في احدى الغرف على امرأة في الثلاثين من العمر وهي مطروحة على الارض قرب الباب وبيدهـا مفتاح الغرفة .

وامكن تطويق الحريق في الساعة السابعة وخمس دقائق . وبعد مرور ١٦ دقيقـة امكن اخماده تماما .

فاديم بيلينغ

قلـق وهموم العالـم الاسلامـي

بحث قادة اكثر من اربعين بلدا اسلاميا المشاكل الملحة التي تجابه العالـم الاسلامي والعالم المعاصر اجمع ، وذلك في قصر مزين بالمرمر ومحاط بالنافورات والنخيل وبحدائق تحتوي عـلى مليون زهرة جلبت خصيصا . اما عـلى بعد ٨٠ كيلومترا عن عاصمة الكويت ، حيث جرى الاجتماع ، فكانـت الانفجارات تدوي والدماء تهدر . فكـان المعارك الحامية على الجبهة العراقيـة — الايرانية اكدت ماسوية الظروف التي يعيشها العالم الاسلامي اليوم .

هل كان مؤتمر القمة الاسلامي الخامس ناجحا ؟ لقد اتخذ زعماء اربعين قرارا في مسائل مختلفـة ويتعلق قسم منهـا بمواضيع اسلامية صرف بينما تتسم الاخرى باهمية دولية واسعة ، ومنها مثلا : النداءات الى نزع السلاح النووي وايقاف التجارب النووية والحيلولـة دون نشر سباق التسلح في الفضاء .

ومن المهم كذلك ان مؤتمر الكويت قد مكن من عقد اجتماعات ثنائية بيـن زعماء بعض البلدان تكاد تكون مستحيلة في الظروف العادية بسبب وجود الخلافات بينهم . ومما لاشك فيه من هذه الناحية ان المؤتمر الاسلامي قد ادى الى تحسين التفاعل وزيادة التكاتف بيـن الدول الاسلامية ولكن هذا لايعنـي انها قد تمكنت من تاميـن الحلول لكـل القضايا التي تثير قلق العالـم الاسلامي .

ان الوضع في الشرق الاوسط هو واحد مـن المواضيع التـي تركز عليهـا اهتمام الدول الاسلامية . وهنا كان اعضاء المؤتمر متحدين ؛ لا بد من عقد مؤتمر دولي لتسوية النزاع بصورة شاملة ، وينبغي ان يكون خطوة محددة على هذا الطريق تشكيل لجنة تحضيرية يشترك فيهـا الاعضاء الدائمون في مجلس الامن الدولي .

وان الهـدف النهائي للتسوية هو استعادة الاراضي العربيـة المحتلة ، وحل القضيـة الفلسطينية عـلى اساس اقامة دولة فلسطينية مستقلة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

لقد اصبحت المسانـدة الدولية لهذه الفكرة اليوم — وقد طرحها في حينه الاتحاد السوفيتي — كبيرة لدرجة تجبر اسرائيل على الرد عليها . وما هي المفاجأة ؛ لقد اعلن استعداده للمؤتمـر الخاص بالشرق الاوسط ليس سوى شاميـر رئيس الوزراء نفسه الذي كان حتى فترة قريبة يرفض هذا الاقتراح بصورة قطعية .

هل هذا تنازل حاسم مـن جانب تل ابيب ؟ تنازل ولكنه عـلى الارجح ذو طابع التلاعـب بالمصطلحات . فان شامير في الواقع كما بيـن هو نفسه لبيرك رئيس الوزراء الاسترالي فـي اواخر كانون الثاني (يناير) لايدعو الا «لمؤتمر محدود» ؛ تشارك فيه مصر والاردن والفلسطينيون واذا ما اخذنا بالاعتبار ان ثمة اتفاقية صلح بين مصر واسرائيل ، وان اسرائيل لاتقصد بكلمـة الفلسطينيين منظمة التحرير الفلسطينية التي هي ممثلهم الشرعي الوحيد ، وانما تقصد التوفيقيين المختارين خصيصـا ، لاتضح عدم وجود ايـة تغيرات في الموقـف الاسرائيلي . فهي تريد استخدام المؤتمر الدولي كحيلة لجر العرب وفـي مقدمتهم الاردن الى المفاوضات الانفرادية . هذا وان رد الفعل الاميركي السلبي على قرار الكويت هو تأكيد ان اميركا تؤيد المواقف الاسرائيليـة بصورة تامة .

كما تبقى دور واشنطن القبيح في مسالـة خطيرة اخرى في الشرق الاوسط ، الا وهـي النزاع العراقي — الايراني .

ونعيد الى الاذهان ان احد مبررات البيـت الابيض في قضية «ايران غيت» كان يكمن فـي ان الاسلحة الاميركية التـي ارسلت الى ايران عبر اسرائيل كانت على حد زعمه قليلة الحجـم وماكان بامكانهـا ان تؤثر عـلى مجرى النزاع ولكن يتضح الآن امر مغاير . لقد ابلغ مراسل «واشنطن بوست» من طهران قبل ايام : «اكـد شهود عيان عائدون من الجبهة المعلومات التـي تفيد بان الاسلحة وقطـع الغيار من الولايات المتحدة قد اثرت كثيرا فـي زيادة قدرة ايران العسكرية» .

لقد رفضت طهران ارسال وفد الى مؤتمـر الكويت وفضلت القيام بهجوم مكثف في منطقـة البصرة . كما رفضت ايران بسرعة نداء البلدان الاسلامية الى تسوية النزاع بالطرق السلميـة وسحب القـوات الى الحدود المعترف بها دوليا الا يوجد فـي استمرار هذه الحرب شيء مـن المسؤولية الملقاة على واشنطن ايضا ؟

لقد ازداد الوضع في المنطقة اليوم تأزمـا فمن خلال استغلال مخاوف العرب مـن الهجوم الايراني ، زادت واشنطن من وجودها العسكري في منطقة الخليج ، زاعمة انه «تحذير لايران» وفي الوقـت ذاته ارسلـت الولايات المتحدة اسطولا بحريـا حربيا جبارا الى سواحل لبنان حيث اختطف في الايام الاخيرة عدد من الاشخاص ومنهم اميركان . ولذلـك ، فان بعض البلدان مهدد بحجة مكافحة الارهاب بتلقي ضربة «اشد من الضربة التي وجهـت الى ليبيا» في نيسان «ابريل» من العام الماضي .

ومن المميز ان مؤتمر قمة الكويت قد اتخذ قرارا يدين الارهاب الدولي بكل اشكاله . ولكن المؤتمرين عارضوا في غضون ذلك الخلط بيـن الارهاب ونضال الشعوب من اجل التحرر . وهذا مالم يعجب واشنطن ، فحاولـت تجاهل القرار ومن الممكـن ان هناك سببا آخر لاستعدادها لاستخدام القوة العسكرية . فيبدو ان البيـت الابيض الذي لايرى الامكانية للتخلص من ورطة «ايران غيت» قد بدأ يفكر بالقيام بعمل عسـكري يحدث دويا عاليا . وان القيام به فـي ظل الشوفينية التي اثارها اختطاف الرهائن يمكن البيت الابيض من خلـق ظروف جديدة ودفن «ايران غيت» ، وتصفية الحساب في الوقت ذاته مع تلك الاقطـار والقوى العربية ، كسوريـة ومنظمة التحرير الفلسطينية مثلا ، التي تجابـه التوسع الاميركي — الاسرائيلي .

«منذ ان مد الاستعمار والصهيونية اياديهم الى الاراضي العربية اصبح العنـف والمرارة يرافقان التاريخ دوما» — قال ذلك امير الكويت الشيـخ جابر الاحمد الصباح رئيس مؤتمر القمة الاسلامي الخامس . ومن المستحيل عـدم الاتفاق مع هذه الكلمات .

وهيهات ان يكون ممكنا اعطاء تقييم واحد لكل القرارات التي اتخذها المؤتمر الاسلامي (فيدعو الى الاسف ، مثلا ، ان بعض المؤتمرين لـم يستطيعوا التخلي عن وجهة النظر المتحاملة تجاه مسالة التسوية حول افغانستان) . ولكن مـن الجدير بالاهتمام دوما شـك الطموح المشترك للمؤتمرين الذيـن يمثلون جزءا من حركة عدم الانحياز الى عالم خال من الاسلحة النووية وتعزيز الامن الدولي وحل النزاعات حلا عادلا .

نيكولاي زابورين

الى المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي اللبناني

ايها الرفاق الاعزاء .

تحيي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي من صميم القلب مندوبي المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي اللبناني .

ان الحزب الشيوعي السوفيتي والحزب الشيوعي اللبناني الشقيق توحدهما المصالح الجذرية للنضال ضد الامبريالية والرجعية وفي سبيل السلم والديمقراطية والاشتراكية .

ويتضامن الشيوعيون السوفيت مع رفاقهم اللبنانيين الذين يدافعون تعبيرا عن اماني الشعب الكادح اللبناني ، مع سائر القوى الوطنية عن مصالح الوطن الحبيبة .

ان تحرير جنوب البلاد من المحتلين الاسرائيليين وقطع دابر التدخل الامبريالي في شؤونها الداخلية وايقاف الاقتتال بين الاخوة والمحافظة على لبنان كدولة عربية ديمقراطية مستقلة موحدة ، والتعاون مع سورية والفلسطينيين وكل القوى الوطنية العربية ، هي الاهداف التي يسعى اليها الحزب الشيوعـي والتي تلقى صدى بعيدا لدى الشعب اللبناني .

ان تطبيع الوضع في لبنان سيكون اسهاما كبيرا في معافاة الاوضاع في الشرق الاوسط كله وفي توفير ظروف تساعد على تسوية الوضع المتأزم الناشئ نتيجة السياسة العدوانية للاوساط الحاكمـة الاسرائيلية المعتمدة على تأييد الامبريالية عامة والامريكية بالدرجة الاولى .

ان نضال الشعب اللبناني جزء من نضال العرب العام ضد الامبريالية . ويتوقف مجرى هذا النضال الى حد كبير كما اظهرت التجربة التاريخية ، على تلاحم جميع الوطنيين العرب ، ومن ضمنهم الشيوعيون وتنسيق اعمالهم .

ان الحزب الشيوعي السوفيتي المناضل بعناد في سبيل بناء عالم مجرد من السلاح النووي والقضاء على جميع انواع اسلحة الابادة بالجملة ، وفي سبيل تسوية النزاعات الاقليمية تسوية عادلة ، وضد تطاول الامبريالية على حقوق الشعوب ، يقدر ان المبادرات السوفيتية السلمية تلقى تأييدا وتفهما لدى اوسع دوائر الرأي العام العربي . ويتم هذا التأييد في مجرى واحد من مساعي البشرية الطامحة الى احلال السلام الوطيد والتعاون المتكافئ المتبادل الاغناء والى حل القضايا العالمية الناضجة .

اننا ننتهز هذه الفرصة لنؤكد مجددا موقف الاتحاد السوفيتي الثابت الداعي الى حل قضايا لبنان على اساس من ضمان وحدته وسيادته وسلامة اراضيه . ويكن المواطنون السوفيت مشاعر التعاطف العميق مع الشعب اللبناني الذي كانت من نصيبه محن وحرمانات قاسية .

لتتعزز وتتطور الصداقة والتعاون بين الحزب الشيوعي السوفيتي والحزب الشيوعي اللبنانـي على اساس مبادئ الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية .

عاشت الصداقة بين الشعبين السوفيتي واللبناني .

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي

كيف تبدأ ((المبادرة الدفاعية الاستراتيجية))

نقدم لقراء «انباء موسكو» المقالة المنشورة في «النشرة العسكرية» لوكالة انباء «نوفوستي» (العدد ٢ ، ١٩٨٧) .

يعود للرئيس ريغان القول بـان الولايات المتحدة ليس مـن المحتم عليها ان تواصـل المباحثات مع الاتحاد السوفيتي ، اذا قررت ان من مصلحتها البـدء بنشر منظومـة «المبادرة الدفاعية الاستراتيجية» . وقد اورد مؤخرا وزير الدفاع الاميركي في كلمة القاها في مؤسسـة الصندوق الاميركي للابحاث الفضائية عددا مـن النجاحات في مشروع «المبادرة» التي فاقت — على حد زعمه — توقعات اكثر العلماء والمهندسيـن تفاؤلا ، واعلن امكانيـة النشر بصورة اسرع للمرحلة الاولى من منظومة الدفاع الاستراتيجي ذات عناصر المرابطـة الفضائية . ويبدو ان واينبرغر يحاول عن طريق الاسراع بمسالـة التنفيذ التدريجي لهذا البرنامج جعل العملية غير قابلة للانعكاس ، واجبـار الكونغرس والادارات اللاحقة على الاذعان لحركة عجلة سباق التسلح .

ان لمسالة نشر المرحلة الاولى من منظومـة «المبادرة الدفاعية» كثيرا من الجوانب . ولنتطرق الى واحد منها فقط — الوسائل الاولية ، التـي من المقرر بواسطتها حل المهمة الرئيسية للمرحلة الاولى ، وهي : اصابة الصواريخ البالستية عابرة القارات بعد انطلاقها فورا . ويعتبر الخبراء مـن التي يجري تصميمها في الولايـات المتحدة خلال بين هذه الوسائل الاولية اسلحة الطاقة الموجهة السنوات الخمس الاخيرة بصورة مكثفة . وتجري هذه التصميمات فـي اطار ما يسمى «بالجيل النووي» من برنامج «المبادرة الدفاعية» فـي مختبرات الابحاث العلمية لوزارة الطاقة الاميركية وقد تضاعف تمويل الاعمال في هذا الاتجاه خلال السنتين او الثلاث الأخيرة . ولم يمكن ان يكون الامر على غير ذلك ، فان نتائـج تجارب الليزر الاشعاعي المزود بالحشوة النووية كانت احـد الاسباب الداعيـة لخطاب ريغان حول «المبادرة الدفاعية الاستراتيجية» فـي اذار (مارس) عام ١٩٨٣ . كما تعتبر مواصلة التجارب في ميدان نيفادا دليلا لا ريب فيه عـلى الاتجاه النووي «للمبادرة الدفاعية الاستراتيجية» .

ويعتبر الخبراء الاميركان ان الليزر الاشعاعي المزود بالحشوة النووية والـذي تجرى الاعمال لصنعه في مختبر لورانس بليفرمور هو اكثـر اشكال اسلحة الطاقة الموجهة مستقبلا واكثرهـا اتقانا في الوقت الحاضر .

اسلحة الطاقة الموجهة . ومن ناحية اخرى ، فان مدى مفعول اسلحة الطاقة الموجهة محدود وهـو لا يتجاوز — حسب التقديرات الاميركية — الفي او ثلاثة الاف كيلومتر . ولهذه الاسباب يستحيل نشر الصواريخ المضادة المجهزة باسلحة الطاقـة الموجهة عـلى الاراضي الاميركية ، نظـرا لان المسافة بين الصاروخ المجهز بسلاح الطاقـة الموجهة فـي لحظة اطلاقـه الى الفضاء وبين الصاروخ البالستي عابر القارات المنطلق مثلا من الاتحاد السوفيتي او الصين هي اكثر بكثير مـن تلك . وبالتالي ، فان هـذه الصواريخ المضادة ينبغي ان ترابط على مقربة اكثر : ضـد الاتحاد السوفيتي — على محيطه ، وضد الصين — فـي مكان ما في اليابان او كوريا الجنوبية .

وهكذا ، فقد اسنـد واينبرغر الأمر الى مرؤوسيه للاستعداد عمليا لنشر الخط الامامـي من «المبادرة الدفاعية» .

في نيفادا :

— الم يحن الوقت لنهز العالم مـرة اخرى ؟

هيا اضغط عـلى الزر

الريشة لسيفولود ارسينيف

الى السلام عبر التفاهم

الشرق كما يراه الغرب والغرب كما يراه الشرق

أننا نعيش في زمن لم يعد يكفي فيه مجرد التعرف على شعوب البلدان الاخرى ولا يتطلب مجرد معرفة احدنا الآخر بل وفهم بعضنا بعضا . لقد ولى زمن مكتشفي البلدان المجهولة وولى معه زمن الصحافة الوصفية . ان واجب الصحفي في هذه الظروف يكمن كما اعتقد وبالدرجة الاولى في تسليح القراء بمنهجية ادراك الواقع في الخارج .

فسيفولود اوفتشينيكوف

ويبدو ان القول المأثور «الغرب غرب والشرق شرق» قد ولى زمنه سوية مع قرن الاستعمار والخلف معادلة «لاغرب بلا شرق ، ولاشرق بلا غرب» تصبح شعار المرحلة الراهنة ومما يميز زمننا هو التغلغل المتبادل والاكثر عمقا ما بين شتى الثقافات والاكثر من ذلك ان كل واحدة منها لاتغني غيرها في هذه العملية وحسب بل وتزود نفسها بمزيد من العمق ايضا .

انني كمؤلف كتابين عن اليابانيين والانكليز انتشرا في الاتحاد السوفييتي بعدة ملايين من النسخ اود القول ان العمل لانجازهما قد ساعدني على تلمس طريق محدد لفهم البلد الاجنبي عبر فهمي لشعبه . ان اهم شيء لفهم بلد لانعرفه هو كما يبدو لي ، ان نتغلب على عادة «القياس بمسطرتك» وان نتناول الشعب الاخر حسب مقاييسه هو .

قواعد لغة الحياة

ان كل مبتدىء في دراسة لغة اجنبية ما يعلم ان من الاسهل بكثير حفظ الكلمات ، من ان يدرك ان الجمع بينها واستخدامها قد يكون وفق قواعد مغايرة تماما لما هو عندنا . ان البناء النحوي للغتنا الام يلقي علينا بثقله النموذج الشامل الوحيد . وهذا ما ينطبق بقدر لا يقل عن ذلك على الخصوصيات القومية ، اي على «قواعد لغة الحياة» لدى هذا الشعب او ذاك . وهذه القواعد اكثر ما تصعب على الدراسة .

الانكليز واليابانيون شعبان من الصعب ، كما قد يبدو ، فهمهما نظرا لانهما الاكثر تباينا احدهما عن الآخر . الانكليز ينطلقون من قدر الفردية في حين يرى اليابانيون ان ذلك مطابقا للانانية . ونمط المعيشة الانكليزي يحمي الحياة الخاصة ، بينما ينفي النمط الياباني امكانية وجودها . غير ان هذه التناقضات ، ومهما بدا الامر غريبا ، تتلاقى في شيء ما مشترك .

واليابانيون شانهم شان الانكليز يتميزون بتقديس اصول السلوك المرعية . ويمكن ان نشير كتجسيد لهذه السمة المشتركة الى الساموراي الياباني والجنتلمان الانكليزي وبالاضافة الى نواحي التشابه التي يمكن ايجادها بين قانون الساموراي ومثاله في الوفاء وبين قانون الجنتلمان ومثاله في الخلق ، فان مصيرهما متشابه ايضا في كونهما قد تجاوزا حدود طبقتهما وزمانهما .

وثمة سمة عامة اخرى تجمع بين هذين الشعبين المعاصرين . فخلافا لجاريهما القاريين (الفرنسيين والصينيين) فهما يضعان الطبيعة في مرتبة اعلى من الفن ، ويفضلان الطبيعي على الفني .

اود ان اؤكد ان دراسة سمات الطباع القومية لا تتصف بالاهمية من اجل المصلحة المعرفية الاثنوغرافية فقط ، بل يستحيل ، بدون اعتبار هذه الخصوصيات ، الفهم العميق للظواهر الاجتماعية ، ولآلية التفاعل بين القوى السياسية .

لقد ظهرت لدى الاوساط الاجتماعية في الغرب منذ وقت غير بعيد امكانيات جديدة للحصول على تصور عن الصحافة السوفييتية والقصد بذلك اصدار صحيفة «برافدا» باللغات الاجنبية ، والذي تعهدت به بعض دور النشر الخاصة على اساس تجاري ومن المهم التأكيد ان الامريكي او الانكليزي الالماني او الفرنسي ، اذ يقرأ «برافدا» بلغته الام ، ليس باستطاعته دائما ان يستوعب النص كما يستوعبه المواطنون السوفييت . وذلك لسبب ان معرفة الكلمات ، وبالاحرى مكافئات الكلمات والمفاهيم لاتكون كافية احيانا ، بل المهم ربطها «بقواعد لغة الحياة» عند الشعب الناطق بهذه اللغة او تلك .

الصحافة والمجتمع

لناخذ على سبيل المثال صحيفة «برافدا» . لقد التمست مرارا ان زملائي الغربيين يتصورون هذه الصحيفة هي لسان حال القيادة الحزبية ، وان مضمونها بالكامل يتحدد «من فوق» . وفي الغرب لا يعرفون الا النذر اليسير من ان ما يسمى «سياسة هيئة التحرير» تصاغ عندنا ، وبدرجة كبيرة ، «من اسفل» ، تحت تاثير الراى العام واليكم بضعة امثلة .. تتلقى صحيفة «برافدا» سنويا ٦٠٠ الف رسالة من القراء ، اي حوالي الفي رسالة في اليوم . وربع ملاك هيئة التحرير يعملون بصورة دائمة بهذا البريد الهائل الحجم . وهؤلاء عادة اناس ذوي تحصيل عال في الحقوق .

وان الرسائل التي ذات مغزى وطني عام تنشر في الجريدة . والى جانب الرد على صاحب كل رسالة فان هيئة التحرير ترسل طلبات الى المؤسسات المعنية لاعلامها بالاجراءات التي تتخذ . وبناء على تقارير قسم الرسائل يجري وضع خطط هيئة التحرير وايفاد فرق الصحفيين وتحديد مهام المراسلين الخاصين في المقاطعات والجمهوريات (يبلغ مجموعهم عندنا ٦٠ مراسلا) . وباختصار ان بريد القراء يؤثر يوميا على عمل هيئة التحرير وشكل الجريدة .

اما المثال الثاني فقد نشا منذ زمن بعيد تقليد دعوة عدد من خارج العاملين في «برافدا» للكتابة على صفحاتها . وهم في الاغلب ليسوا من الصحفيين المحترفين . وتوجد قاعدة بان تكون المواد التي يرسلها مراسلنا الخاص في لينينغراد او جورجيا مثلا لا تزيد عن ٤٠ بالمئة مما ينشر حول تلك المنطقة .وتكمن مهمة المراسل في ان تكون نسبة ٦٠ بالمئة الباقية بقلم غير العاملين في الجريدة .

وهنالك مثال ثالث وهو المؤتمرات التي تنظمها «برافدا» سنويا في مختلف ارجاء البلاد . ويوفد اليها اعضاء هيئة التحرير والصحفيون البارزون ويتحدث العاملون في الجريدة عن خططها للعام المقبل . ثم يعرب جميع الراغبين عن انتقاداتهم وملاحظاتهم واقتراحاتهم التي يجري تعميمها لتقدم الى هيئة التحرير فيما بعد .

في سبيل المعلومات

يناقش البعض في الغرب بان اكشاك الصحف في الاتحاد السوفييتي لا تبيع النشريات الدورية الاجنبية . فاولا ان الواقع ليس بهذه الصورة بتاتا . اذ تباع عندنا بعض الجرائد والمجلات الاجنبية . والاهم من ذلك ان المواطنين السوفييت بصورة عامة هم على اطلاع اوسع على ما يكتبه الصحفيون البارزون الاجانب وتعليقات هيئات تحرير الجرائد والمجلات الاجنبية الاوسع انتشارا وذلك بالقياس الى المواطن العادي في بريطانيا او اليابان مثلا والذي اعرف جيدا مدى اطلاعه وتقوم جريدة «زاروبيجوم» الاسبوعية بنقل ما تكتبه الصحافة الاجنبية . وتصدر هذه الجريدة باثنتين وثلاثين صفحة وبقرابة المليون نسخة اي انها اكثر من «التايم» و«نيوزويك» سوية وهكذا فان اسماء «النجوم» من «واشنطن بوست» او «اساهي» يعرفها الناس في تومسك بصورة لا تقل بل قد تكون افضل مما في باريس .

وقد اتسعت في السنة الاخيرة امكانيات الشخصيات الرسمية الغربية في الاعراب عن الراى عبر شبكة التلفزيون والصحافة السوفييتيين . وتكفي الاشارة الى ان جريدة «ازفستيا» التي تصدر بقرابة ١٠ ملايين نسخة قد خصصت صفحتها للحديث الذي ادلى به الرئيس ريغان الى الصحفيين السوفييت ، واخذ ممثلو الاوساط السياسية والاجتماعية والاعمال الامريكان يتحدثون الى مشاهدي التلفزيون السوفييت بصورة اكثر . وتنشر بانتظام وجهات نظر ممثلي الغرب البارزين على صفحات جريدة «انباء موسكو» .

واثار الجسر التلفزيوني بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة موجة واسعة من النقاشات والاستحسان ، ونود التأكيد على ان هذه البرامج تبث على نطاق البلاد باكملها وفي الفضل وقت مما يضمن مشاركة الملايين فعلا وذلك بالاختلاف عن شركائنا الامريكان اذ لم يتم عرض اي واحد من هذه البرامج على نطاق البلاد كلها . وقد نشا تحفظ واضح ازاءها : «ما دامت موسكو تساندها اذن هي مصيدة حمراء» .

وتفيد معطيات اليونسكو ان التلفزيون السوفييتي يعرض من البرامج الغربية اكثر بثلاث مرات مما يعرض من البرامج السوفييتية في الغرب .

ومما لاشك فيه ان الاتصالات المباشرة بين الناس تلعب الدور الاساسي في تعميق التفاهم المتبادل . ونحن سعداء لان قرابة الاربعين مليون مواطن سوفييتي قد زاروا البلدان الاجنبية خلال الاعوام العشرة التي اعقبت التوقيع على وثيقة هلسنكي الختامية . بينما ازداد عدد السياح الاجانب الذين زاروا الاتحاد السوفييتي خلال الفترة ذاتها الى الثلث فتقارب الخمسين مليون شخص .

ويودي الاشارة الى قناة اخرى لمعرفة واقع العالم الخارجي وهي في العادة اكثر امانة وموضوعية وبعيدة عن العقائد الايدلوجية بالقياس الى وسائل الاعلام واعني الكتب الادبية .

اذ يصدر في الاتحاد السوفييتي سنويا ما يزيد على ٢٠٠٠ كتاب لمؤلفين اجانب ويزيد عدد نسخها على ١٥٠ مليون نسخة . وان العديد من الكتاب الكلاسيكيين يحظون بالشهرة في الاتحاد السوفييتي اكثر مما في اوطانهم . وان عدد المواطنين السوفييت الذين يستطيعون قراءة مؤلفات الكتاب الاجانب باللغات الاصلية اكبر بكثير مما في بلدان الغرب .

الحق في عدم التشابه

من المعروف ان المشاركين في مؤتمر هلسنكي قد اتفقوا على التعاون في المجالات الانسانية وفق شروط معينة . وهي بالتحديد مجرد مراعاة المبادىء المعترف بها في العلاقات الدولية وفي مقدمتها عدم التدخل في الشؤون الداخلية . وان تطوير العلاقات في المجالات الانسانية لا يجوز ان يؤدي الى انعزال الدول والشعوب بل يجب ان يساعد على تعزيز التفاهم المتبادل والثقة ويمكن تحقيق ذلك اذا اتسمت مواقفنا باحترام افكار ووجهات نظر الاخرين واذا تخلصنا من المواقف المسبقة بصدد افعال الجانب الاخر وقمنا بانسطنا بنزاهة في اعلام القراء والمشاهدين والمستمعين حول كيفية عيش وتفكير الناس في البلدان الاخرى .

وسواء اعجب احدنا الاخر ام لا فليس بامكاننا سوى العيش معا او الهلاك سوية . والسؤال الاساسي الذي ينبغي ان نجيب عنه هو هل اننا نستطيع الاعتراف اخيرا بان لاخيار لنا سوى العيش معا بسلام وتغيير نمط تفكيرنا وافعالنا من المنوال العسكري الى السلمي ؟

ان الافكار التي طرحتها هي ذاتية طبعا ولكنني اود التأكيد بواسطتها على الفكرة الرئيسية وهي يجب السعي الى فهم البلدان والشعوب الاجنبية قبل الحكم عليها . وهذا يستلزم بدوره ضرورة احترام حق كل شعب في ان لا يكون شبيها للاخرين والتخلي عن عادة الحكم على نمط حياته وفقا للمقاييس الذاتية .

ملحق «انباء موسكو» العسكري

الحد المعقول

ليف سيميكو

لو ان صاحب السيارة يؤمن سيارته بمبلغ كبير فلايعني ذلك انه سيقود السيارة بطيش . هذه الحجة غالبا ما تطرح في امريكا من اجل تبرير النفقات العسكرية الضخمة : حيث يدعون بان الغرض من هذه النفقات هو المصلحة الامنية . غير ان المساواة بين الامان في قيادة السيارة وبين امن الدولة امر غير معقول .

ان حجم القدرة العسكرية الكافية للدولة يتبع في النهاية الاهداف السياسية التي تسعى اليها هذه الدولة . فالاعداد لعدوان مفاجىء ساحق شيء ، حيث في الجل هنا ان الرهان لا يقوم فقط على الحد الاقصى الذي لا يمكن السيطرة عليه . بل وعلى التفوق بقدرة التسليح وشيء اخر ان يكون الاستعداد للدفاع الذاتي في اطار المبدأ الدفاعي العسكري . ففي هذه الحالة يقوم الرهان على الخفض المنسق لمستوى المجابهة العسكرية وعلى تحديد القدرة العسكرية في حدود الاكتفاء المعقول . وهذان سبيلان ممكنان . الاول اختارته الولايات المتحدة الاميركية ، والثاني اختاره الاتحاد السوفييتي .

في شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٩ عبر الرئيس ايزنهاور عن عدم رضاه عن العسكريين فقال : «انهم يحاولون العمل من موقع لا يمكن تصوره — وهو ان يملكوا ما فيه الكفاية للقضاء على كل هدف ممكن في العالم بالاضافة الى امتلاك احتياطي يزيد على ذلك بثلاث مرات» . بيد ان الرئيس لم يحدد الحد الادنى المعقول اللازم .

وفي مطلع الثمانينات صرح وزير الدفاع الامريكي واينبرغر بما يلي : «ان استراتيجيتنا في مجال ضمان الامن مبنية على اقصى مدلول ممكن للردع» المعقول الذي ينبغي ، كما يقولون ، تامينه بان تحتفظ للولايات المتحدة الامريكية بالاحتياطي النووي الستراتيجي حتى بعد تبادل الضربات النووية . والتتابع واضح . فان الحد الاقصى من القدرة العسكرية ونهج التفوق النووي الفضائي هي العقيدة الحالية لواشنطن .

وموقف الاتحاد السوفييتي هو نهج الاكتفاء المعقول . حيث نرى عقلية عسكرية سياسية معاكسة وممارسة معاكسة ايضا في بناء القوات المسلحة . وهذا الموقف ينطلق من القرارات المبدئية للمؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي الذي جاء في مقرراته : «ان بلدنا يؤيد ازالة اسلحة الدمار الجماعي من التداول وتحديد القدرة العسكرية باطار الاكتفاء المعقول» باية طريقة ؟ ان اسس بناء النظام الشامل للامن الدولي الذي اقترحه الاتحاد السوفييتي تنص على ضمان «التخفيض الخاضع للرقابة الشديدة لمستوى القدرات العسكرية للدول حتى حدود الاكتفاء المعقول» .

اي ان هناك طرحا جديدا للمسالة : وهو امتلاك ادنى ، وليس اكبر ، حد من السلاح اليوم من اجل ان يكون السلام وطيدا فعلا . بحيث لايبقى اساس عند اي طرف من الاطراف للخوف على امنه حتى ولو كان هذا الاساس وهميا وان يتخلص الجميع من شعور الخطر الماثل دوما .

واذ يسعى الاتحاد السوفييتي الى الاكتفاء المعقول فهو ينطلق من انه لا يعيش في فراغ استراتيجي ان طبيعة ومستوى حدود «الاكتفاء المعقول» السوفييتي لاتزال تتحدد بمواقف وافعال الولايات المتحدة الامريكية وشركائها في الاحلاف . وفي هذه الظروف كما اشار المؤتمر السابع والعشرون للحزب — فاننا نكرر ، ونكرر من جديد : ان الاتحاد السوفييتي لا يطالب بامن اكبر ، ولن يقدم على امن اقل» فالجانب السوفييتي اذ ينطلق من مصلحة دفاعه ودفاع حلفائه قادر ، بلاشك ، على ايجاد ردود معقولة على التحديات الستراتيجية سواء كان ذلك في المجال الفضائي ، او النووي قبل كل شيء . ان موسكو تقف ضد السباق العسكري— التكنيكي الذي لاتحده حدود ، والذي لاينسجم في هذا العصر النووي — الفضائي مع السياسة السديدة ومن هنا انطلقت الدعوة السوفييتية الى الاكتفاء المعقول في القدرات العسكرية .

منتدى انباء موسكو

التقى مراسلنا في نيويورك ادغار تشيبوروف مع السياسي الامريكي البارز زبيغنف بجيزينسكي .

ان قواعد الاخلاق الصحفية المتعارف عليها لاتسمح للصحفي بمناقشة الشخص الذي يقابله فمهمته هي طرح الاسئلة وتسجيل الاجوبة عليها باقصى دقة ممكنة . ومن هذه الاسئلة بالامكان تكوين تصور واضح عن مواقف الجناح اليميني في المجتمع الامريكي تجاه مسألة العلاقات المتبادلة مع الاتحاد السوفيتي . ان مواقف الجانب السوفيتي جاءت واضحة في تعليق المراقب اندري غراتشوف المتخصص بالشوؤن الدولية .

واليكم في البداية حديث زبيغنف بجيزينسكي :

حديث مع زبيغنف بجيزينسكي

سؤال : هل الثقة ممكنة بين الدول العظمى في قرننا النووي ؟

جواب : انا اعتبر ان العلاقات بين دولتين عظميين كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ينبغي ان تقوم على اساس اتفاقات تعطي البلدين شعور الثقة بان هذه الاتفاقات ثابتة وطويلة الامد ولا تخضع لتغييرات من جانب واحد . وبعبارة اخرى ، انا لااعتقد ان «الثقة» كافية في قرننا النووي لان اية هفوة ولو صغيرة قد تؤدي الى الدمار الشامل ، وانتحار الامم ، وهذا هو السبب في مدى اهمية ان تكون كافة الاتفاقات بين الدول العظمى مبنية على التزامات متينة وواقعية قادرة على ضمان الاستقرار .

سؤال : ما الذي تقصده بكلمة «واقعية» ؟

جواب : المقصود بكلمة «واقعية» هو ان تؤخذ بالاعتبار المصالح القومية لكل من البلدين والانسجام مع القواعد الدولية المتكونة على مرأى منا ، والتي تقتضي احترام الاستقلال الوطني وحقوق الانسان .

سؤال : مارايك بالوضع الحالي لقضية الثقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ؟ وكيف تقيم مستواه ؟

جواب : باعتقادي ان الطرفين يساورهما الشك فغالبا ما يقول الاتحاد السوفيتي انه مطوق ، وان الولايات المتحدة لها نوايا عدوانية تجاهه وتقلق الاتحاد السوفيتي كثيرا المبادرة الدفاعية الستراتيجية ، حيث يعتبرها خطرا جديا .

اما الجانب الاميركي فيقلقه العدوان السوفيتي ضد شعب افغانستان والحرب المدمرة التي تخوضها القوات المسلحة السوفيتية ضد الشعب الافغاني والمستمرة منذ اكثر من ست سنوات . كما ويقلق اميركا ايضا ان الاتحاد السوفيتي يعتمد بشكل خاص على الوسائل الستراتيجية لتوجيه الضربة الاولى كالصواريخ من طراز (س س-١٨) وتقلقنا سياسة الاتحاد السوفيتي في مجال حقوق الانسان والخ . وعلى ذلك ، فان لدى كل من الطرفين اسبابا جدية للشك والقلق تجاه تصرف الطرف الآخر .

سؤال : يعني انك تعترف بان ثمة اسبابا لدى الاتحاد السوفيتي للقلق ؟

جواب : انا لم اعبر عن حكم بصدد مبرر هذا القلق . لقد اشرت فقط الى انه موجود . ولا حاجة للقول بانني اميل ، وهذا ماتشير اليه بالاحرى مهنتي ومناصبي كلها ، الى مشاطرة قلق اميركا واعتبر ان بعض مخاوف الاتحاد السوفيتي على الاقل هي دون التعليل المطلوب بكثير .

سؤال : لقد ذكرت ان الاتحاد السوفيتي تقلقه كثيرا «المبادرة الدفاعية الستراتيجية» . افلا تعتقد ان «المبادرة» المذكورة تشكل خطرا بالنسبة للاتحاد السوفيتي بالفعل ؟

جواب : لو حاولت الولايات المتحدة نشر منظومة شاملة للدفاع المدني وقاية من الاسلحة الستراتيجية ، ونشرت في الوقت ذاته عددا كبيرا من الاسلحة الستراتيجية الهجومية لتوجيه الضربة الاولى كصواريخ (س س-١٨) ؛ لنشأ عندئذ بالفعل خطر على الاتحاد السوفيتي . ويحدث الامر ذاته بالضبط ، لو قام الاتحاد السوفيتي خفية بنشر وسائل الدفاع الستراتيجي الوطني الشامل وفي الوقت ذاته بزيادة عدد منظومات توجيه الضربة الاولى من طراز (س س-١٨) ولتشكل ذلك عندئذ خطرا على الولايات المتحدة الامريكية . ومن الافضل لكلا البلدين—حسب اعتقادي—التوقف عند تشكيل معقول من بضع منظومات هجومية . ويجب ان يكون عددها اقل من عدد الاهداف للضربة الاولى التي ينبغي اصابتها في حالة الهجوم النووي اما منظومة الدفاع الستراتيجي المحدودة. فينبغي ان تنحصر مهمتها في حماية العاصمة ومراكز القيادة والمراقبة وبعض مراكز قواتها الستراتيجية . ومن شان مثل هذا الجمع المعقول بين القوات الستراتيجية المحدودة الهجومية والدفاعية ان يضمن الامن والاستقرار للطرفين .

سؤال : يعتقد الاتحاد السوفيتي ان البرنامج الاميركي لاستكمال التسلح الستراتيجي الذي اخذ ينفذ منذ اوائل الثمانينات يستهدف تحقيق تفوق عسكري على الاتحاد السوفيتي . ويشمل هذا البرنامج برنامج «حروب النجوم» ، ومن حيث المنطق ينبغي اعتبار برنامج «حروب النجوم» جزءا من مخططات تحقيق التفوق العسكري .

جواب : اعتقد ان الحكم في هذه المسالة يجب ان يكون قائما على اساس تحليل منتظم وجدي لما يجري عمله فعلا في هذا المجال . ولو نظرنا الى المخططات الاميركية لنشر الاسلحة الستراتيجية خلال السنوات العشر القادمة (حتى عام ١٩٩٥) يبدو ان الولايات المتحدة لاتزمع نشر تلك الكمية من الوقات التي تمكنها من تحقيق الاهداف التي تنسبونها انتم الى الولايات المتحدة . وبعبارة اخرى سيكون العدد الاجمالي للمنظومات الستراتيجية المقرر نشرها غير كاف من ناحية العدد والفرض الستراتيجي لتحقيق الاهداف التي تنسبونها انتم الى الجانب الاميركي . فنحن لانزمع ببساطة نشر تلك الكمية من صواريخ (ام أكس) والصواريخ المجنحة ذات المرابطة الجوية وصواريخ «ترايدنت» الجديدة التي تمكننا من التوصل الى ما يمكن تسميته بالتفوق الستراتيجي . وبهذه المناسبة ينبغي ان اشير ، كما واود ان الفت انتباه القراء السوفيت الى واقع ان كافة البرامج الستراتيجية الاميركية تناقش وتبحث علنا قبل بداية تنفيذها المحتمل بعشر سنوات على الاقل . وعلى ذلك ، فان بامكان الخبراء السوفيت بشؤون التخطيط الستراتيجي الاميركي ان يعرفوا مسبقا ماهية حجم وطابع المنظومات الستراتيجية التي تنوي الولايات المتحدة نشرها . ويتيح هذا للجانب السوفيتي متسعا من الوقت لتحليل الاجراءات الاميركية واتخاذ ما تراه ضروريا من التدابير الجوابية .

وبالعكس ، يجري التخطيط الستراتيجي السوفيتي ونشر المنظومات الستراتيجية في جو من السرية التامة دونما اي اشعار مسبق وهذا ما يشكل للجانب الاميركي خطرا اكبر ؛ وسببا للقلق ، نظرا لانه لا يتيح الوقت للرد . ونحن لا نعلم بنشر المنظومات السوفيتية الجديدة الا حينما يباشر به . ويتمتع الجانب السوفيتي بالافضلية ، نظرا لانه يعلم باية اسلحة اميركية قبل البدء بنشرها بعشر سنوات على الاقل ؟

سؤال : كيف يمكن ان نصدق بان البرامج الستراتيجية الاميركية تناقش علنا وان المجتمع يعرف عنها كل شيء او اهم شيء ، اذا جرى ، حتى في قضية كمسالة «ايران غيت» ، بيع اسلحة اميركية لايران وغير ذلك سرا ، دون علم القادة الاميركان ؟ ان بعضهم لم يعرف شيئا ، فيما لم يعرف البعض الاخر سوى القليل جدا . وثمة انطباع انه يوجد اتجاه لاخفاء بعض الاعمال العسكرية عن المجتمع والكونغرس . هل يمكن ان نعتبر ان اوساط الرأي العام هي حقا على علم بما يجري ؟

جواب : اولا ، حينما يحدث شيء ما من هذا القبيل فان الامر ينتهي بالفضيحة في الصحافة الاميركية ، وبالتحقيق التام في الكونغرس الاميركي وهذا ما بدا بالفعل ، واحالة المسؤولين المعنيين الى القضاء . وانا لم اسمع ابدا ان شيئا ما من هذا القبيل قد حدث في الاتحاد السوفيتي . فانتقاد القادة السياسيين في الاتحاد السوفيتي يبدأ عادة بعد وفاتهم — وليس حينما يكونون في مناصبهم ففي الوقت الحاضر مثلا يزود الاتحاد السوفيتي بالسلاح كلا من العراق وايران ، ولكنه يمارس ذلك سرا . فالمواطنون السوفيت لم يخبروا باي شيء من حجم التجهيزات العسكرية السوفيتية لايران ، كما ولم يخبروا بحجم التجهيزات العسكرية السوفيتية للعراق .

سؤال : من اين تعلم ان الاتحاد السوفيتي يسلح ايران والعراق سرا ؟

جواب : نحن نتابع باهتمام ماهية الاسلحة التي يستخدمها الايرانيون والعراقيون في هذه الحرب ومن المدهش ان الطرفين يستخدمان في الكثير من مناطق العمليات الحربية بصورة متزايدة معدات عسكرية سوفيتية .

سؤال : الكم والنوع تماما في هذه المسالة المتعلقة بالمعدات السوفيتية ، فيما لم تستطيعوا ملاحظة شحناتكم العسكرية لايران ...

جواب : اننا كنا على علم بوجود الاسلحة الاميركية هنا ، ولكنني اتحدث الان عن كمية كبيرة من الاسلحة السوفيتية التي تستخدم في هذه الحرب ...

سؤال : يود قراؤنا ان يعرفوا كيفية فهمكم لمصطلح «التفكير الجديد» الذي يستخدم في السنوات الاخيرة بصورة متزايدة . وكيف يمكن ان يتجلى التفكير الجديد في العلاقات السوفيتية — الاميركية ؟

جواب : لابد للولايات المتحدة كما وللاتحاد السوفيتي من ان يتعلما في نهاية المطاف العيش في عالم مترابط بصورة متزايدة . وينبغي لذلك انفتاح اكبر ، وحرية تحرك دونما تقييدات ، وحرية مطالبة ما نريد ، وحرية انتخاب القادة . انا اتمنى للشعب السوفيتي ان يكون جزءا من مثل هذا العالم المنفتح .

اللعب والسياسة

اندري غراتشوف

حديث زبيغنف بجيزينسكي الخاص بقراء «انباء موسكو» — كان من الممكن وضع عنوان كهذا للحديث الصحفي الذي ننشره في صحيفتنا اليوم انه تركيب لفظي غير معتاد بالنسبة لصحيفتنا ولزبيغنف بجيزينسكي نفسه كما اعتقد .

وللحقيقة فان صحافتنا كانت تورد بانتظام اسم هذا الخبير السياسي الامريكي الذي كان في السابق بروفسورا في جامعة هارفرد ، وجامعة كولومبيا ، والرجل السياسي الذي ترأس في وقت من الاوقات «اللجنة الثلاثية» المشهورة ، والذي اصبح فيما بعد مساعدا للرئيس كارتر بشؤون الامن القومي . وكان يجري الاستشهاد بتصريحاته واعماله . الا انني اعتقد انه لم تتوفر في السابق لدى هذا «الخبير في الشؤون السوفيتية» المحترف امكانية التعبير بصورة كاملة وبشكل مباشر امام القراء السوفيت عن وجهة نظره في عدد من المسائل التي تخص العلاقات السوفيتية — الامريكية .

لنمعن النظر اذن بتصريحات ووجهات نظر ممثل الفكر السياسي الامريكي هذا الذي يتمتع بتاثير حتى يومنا ، وان كان قد تنحى ، او انه ابعد قد لحين عن عملية اتخاذ القرارات السياسية الفعلية . وبالمناسبة ، فان الممارسة تبين ان المبتعدين عن شؤون السياسة في الولايات المتحدة هم بالذات ، وليس الغالب من يبدي التروي وسعة النظرة ، واتزان الاراء . وهذه هي الصفات التي لا يلجؤون الى اظهارها ابان مرحلة تقاطعهم السياسي الفعال .

وسوف لن نعلق على بعض مواضيع هذا الحديث ولانحضها مستندين على الموقف السوفيتي ازاء المسائل التي يتطرق اليها بجيزينسكي ذلك الموقف الذي يعرفه قراؤنا جيدا والذي لا اعلم لماذا لا يعرفه بجيزينسكي وهو «الخبير بشؤون الكرملين» . واتحدث فقط عن الانطباع العام الذي يتركه حديث الرجل الايديولوجي ، والسياسي الامريكي .

فهو من جهة يسعى الى البقاء ضمن اطار التحليل الصحيح غير المتحيز للعوامل المؤثرة في رسم السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية وفي العلاقة فيما بينهما ، ومن جهة اخرى يظهر الدهشة عدم القدرة ان لم يكن عدم الرغبة ، على تطبيق مقياس واحد لا مزدوج ، في تقدير المصالح المشتركة للطرفين ودعما واهما المتبادلة .

وبالفعل ، فان بجيزينسكي عبر استعداده لان ينسب ، الى الادارة الحالية ، الصواريخ البالستية السوفيتية ووجود القوات السوفيتية في افغانستان وكذلك سياسة الدولة السوفيتية الداخلية في مسالة حقوق الانسان الى العوامل التي تثير «القلق» لدى الولايات المتحدة الامريكية اما الاتحاد السوفيتي فيرفضون ان يكون له حق القلق» المماثل ، وينصحونه بان يثق بصدق الادارة الامريكية وحبها للسلام (الامر الذي لم تعد تصدقه اغلبية الامريكيين بعد «ايرانغيت») وان لا يقلق مثلا ، لا بخصوص برامج اعادة تسليح امريكا السريعة ، ولا بخصوص تطويق الاتحاد السوفيتي بالقواعد العسكرية الامريكية ، ولا بخصوص المبادرة الدفاعية الستراتيجية غير الضارة كما يدعون .

وهنالك ، بالمناسبة ، اسباب كثيرة اخرى لقلق الاتحاد السوفيتي ازاء سياسة الولايات المتحدة الامريكية ، ومنها مواقف الولايات المتحدة الامريكية من النزاعات في مختلف مناطق العالم ومن ضمنها المناطق المتاخمة للاتحاد السوفيتي مثل افغانستان ؛ وهذا البلد بالذات هو الذي بدأت الولايات المتحدة الامريكية منذ عهد انور السادات وبمساعدته بنقل السلاح اليه لكي تزود به العصابات المعادية للثورة ، ان بجيزينسكي الذي صوب السلاح في حينه نحو الافغانيين من الاراضي الباكستانية يعرف اكثر من غيره عن هذه التجهيزات وعن نماذج الاسلحة السوفيتية التي كانت ترسل الى افغانستان منذ عصرا لعرضها كاسلحة «مستولى عليها» من القوات الافغانية او السوفيتية .

غير انني لا اعرف لماذا تبقى مثل هذه الاراء خارج حدود رؤية المساعد السابق للرئيس لشؤون الامن القومي . وهنا كذلك من المناسب ان نشير الى جانب آخر من جوانب حديثه ، وهو الثقة المدهشة في ان الرب هو الذي صنع امريكا على شاكلته وهيئته ، وامرها بان تتصرف مع العالم ما تصرف معها . ويشرح بجيزينسكي كيف ينبغي انتخاب القادة في بلدنا ، ومتى ينبغي التقادم ، وكيف ينبغي ان تكون صحافتنا

لقد مارست الولايات المتحدة الامريكية كما نعلم اساليب مختلفة ومنها اساليب استخدام القوة من اجل تغيير العالم المحيط بها وجعله على طرازها . ونعلم ايضا النتائج الحزينة لهذه الاعمال غير الحميدة .

الا ان الحماس ، كما يبدو ، يجعل واشنطن على ثقة في ان ورقتها مبتالي في يوم من الايام وستربح مثلما يتغلب لاعب القمار على خصمه .

ويضع بجيزينسكي خطة «لعبة» لكي يحوز «فوزا حاسما» في السباق التاريخي مع الاتحاد السوفيتي . كما يلي : «على الولايات المتحدة الامريكية ان تحافظ على قدرة عسكرية متكاملة تمكنها من القيام بالعمليات العسكرية في البر والبحر والفضاء بمثابة قاعدة انطلاق الى خلق منافسة سياسية شديدة من اجل فرض السيطرة الشاملة» .

عندما يقرأ المرء مثل هذا القول لابد ان ينبثق لديه هذا السؤال : ما هو مقدار الخسر الزمن الامريكي المتوسط عن الزمن العالمي العام وهل ان ساعات السياسيين الامريكيين تسير على ما يرام ، وان كانت تسير في اي اتجاه ؟ اذ ان البداية النووية لو قدر لها ان تكون ولسبق القوانين المقترحة بامكانها حقا ان تكون منيئة .

فبراير ١٩١٧ : الشارات الحمراء على الصدور

قبل ٧٠ سنة رمى شعب روسيا الثائر نير الحكم الاستبدادي والنصرت في البلاد الثورة البرجوازية — الديمقراطية التي غدت مقدمة لاحداث عام ١٩١٧ العاصفة . ان الثورة تكشف المضمون الحقيقي للطبقات والاحزاب والشخصيات السياسية ، ودروسها مهمة لكل الاجيال المقبلة ولنا ايضا . عن الثورة وعن الخطوات الاولى لحرية روسيا تتحدث مواد الفصل الثاني من الركن التاريخي «لانباء موسكو» : الماضي .

اسئلة الى فلاديمير لينين

لنفتتح تقويم «الماضي» ونرى ان ثورة حدثت في روسيا في شباط (فبراير) ١٩١٧ . ثورة مفاجئة لاغلبية القادة السياسيين ومدمرة للحكم الاستبدادي . وها نحن نعود مجددا الى لينين ، الى مقالاته ورسائله وخطبه لكي نفهم فحوى تلك الايام بصورة افضل .

وقد تساءل كثيرون في تلك الايام : كيف امكن ان تحدث مثل هذه «الاعجوبة» حيث سقطت خلال ثمانية ايام الملكية التي سادت على مدى قرون ؟

لينين : لقد كشفت الثورة الاولى وفترة الثورة المضادة التي اعقبتها (١٩٠٧-١٩١٤) عن كل فحوى الحكم القيصري واودت به الى «الحد الاخير» ، واظهرت كل تعفنه ودناءته وكل استهتار وفساد العصابة القيصرية بزعامة راسبوتين الفظيع ...

وخلال بضعة ايام تحولت روسيا الى جمهورية برجوازية ديمقراطية اكثر حرية — في ظروف الحرب — من اي بلد آخر من بلدان العالم . واخذ زعماء الاحزاب المعارضة والثورية يشكلون الحكومة ، علما بان لقب زعيم الحزب المعارض في البرلمان الذي وان كان رجعيا صرفا ، كان يسهل الدور المقبل لمثل هذا الزعيم في الثورة .

لقد عجلت الحرب المؤلمة من حدوث ثورة شباط (فبراير) . ولكن روسيا لم تكن تحارب وحدها . فلماذا اذن حدثت الثورة هنا بالذات ؟

لينين : من الطبيعي ان الازمة الثورية قد تعاظمت في روسيا القيصرية قبل غيرها ، حيث كانت الفوضى على اشدها حال كانت البروليتاريا ثورية للغاية (ليس بفضل صفاتها الخاصة وانما بفضل التقاليد الحية لثورة ١٩٠٥) . وقد عجل في هذه الازمة عدد من اشد الهزائم التي تكبدتها روسيا وحلفاؤها ، لقد زعزعت الهزائم كل الجهاز الحكومي القديم وكل النظام القديم واثارت ضده حقد كافة طبقات السكان وزادت في قسوة الجيش ، وابادت باعداد ضخمة قيادته القديمة من اصول النبلاء والقساة ولاسيما الطابع البيروقراطي المتعفن وبدلتها بقيادة فتية حديثة وعلى الاغلب برجوازية وبرجوازية صغيرة من مختلف الرتب ...

ما هو كيان حكومة روسيا الجديدة التي تشكلت بعد تخلي القيصر عن العرش ؟

لينين : انها حكومة جديدة ... يشغل فيها اعوان ستوليبين — قشاقل بالامس

(البقية على ص ١٣)

لقية

لن نطلق النار على الشعب

اول تحقيق لميخائيل كولتسوف

مايزال ابناء الجيل القديم يتذكرون تلك الايام عندما كانت صحيفة البرافدا تنشر كل يوم تقريبا مقالات وتحقيقات ميخائيل كولتسوف .

لكن بالرغم من الشهرة التي حظي بها كولتسوف فان اشياء كثيرة في حياته ماتزال غامضة . لقد اكتشفت قبل عدة سنوات خلت ، اثناء تصفحي احدى طبعات مقالات لكولتسوف لائحة مؤلفاته الاخرى على الصفحة الاخيرة .

وقد ابتدأت اللائحة بكتاب «كيف تحررت روسيا» حيث تدور احداثه حول ثورة شباط (فبراير) في سنة ١٩١٧ . لقد بحثت طويلا عن هذا الكتاب الذي لم يدخل في فهارس افضل مكتبات البلاد .

ان ما ساعدني هو محض الصدفة فاثناء تصفحي مجلة «روسيا الحرة» (سفوبودنايا روسيا) الصادرة في سنة ١٩١٧ في بتروغراد عن لجنة سكوبيليفسكي للتنوير (كان يوجد انذاك مثل هذه المنظمة الشبه العسكرية وشبه الخيرية) ، رأيت على صفحات احد اعدادها دعاية لكتاب «كيف تحررت روسيا» ولم يكن مؤلف الكتاب في الحقيقة يحمل اسم ميخائيل كولتسوف بل الصحفي ميخائيل يفيموفيتش ، لقد كان هذا الاسم المستعار الذي حمله كتابه الاول واضحا كل الوضوح فقد جعل من كنية الاب اسم الشهرة .

وها نحن اليوم ننشر مقطعا من تحقيق كولتسوف .

فيكتور ليستوف
مرشح في العلوم التاريخية

اطل صباح السابع والعشرين من شباط . وفي تمام الساعة السابعة صباحا اصطف افراد الفصيلة التدريبية التابعة للفوج فولينسكي تحت امرة ضابط الصف كيربيتشنيكوف وهم في حالة تأهب تام .

في الساعة التاسعة خرج النقيب لاشكيفيتش آمر السرية الذي اجبر الجنود في اليوم السابق على اطلاق النار على الجماهير ... ولم ترد الفصيلة تحيته .

وصرخ ضابط الصف ميخائيل ماركوف قائلا : لن نطلق النار على الشعب بعد اليوم .

فسحب الضابط الغائب برقية من جيبه كان قد ارسلها القيصر خاصة بحفظ النظام وحاول ان يقرأها لدوي صرخات الاستياء التي اطلقها الجنود .

— انصرف عنا لا نريد ان نراك فاسرع الآمر بعيدا لكنه سقط في الساحة ارضا اذ اصيب برصاصة احدهم .

خرج الجنود الى الساحة وهرع جنود آخرون من فصيلة فولينسكي كانوا قد سمعوا فرقعة البنادق وسرعان ما خرج جنود الفوج كله الى الطريق بكامل اسلحتهم وهم يصرخون «اوراء» وانطلقت الطلقات في كل مكان حيث سوى الجنود امورهم مع مضطهديهم اولئك الضباط الذين عانوا منهم الامرين خلال سنوات الجندية القاسية .

وخرجت الافواج الاخرى كفوج ليتوفسكي وفوج بريوبراجينسكي وسواهما من الثكنات المجاورة مطلقين صرخات الابتهاج . ومشى الكل صفا

(البقية على ص ١٤)

التاريخ

قياصرة قبل وبعد

قرات منشورا شائنا

وقعت امس اضطرابات في جزيرة فاسيليفسكي وشارع ليفسكي لان الفقراء اقتحموا محلات بيع الخبز ، اذ حطموا دكان فيلبيوف ، فاطلقوا ضدهم القوزاق ، انني آمل ان كيدرينسكي (كيرينسكي-المحرر) من الدوما سيشنقوه بسبب خطاباته الفظيع — لان ذلك امر ضروري (قانون عسكري ، ومرحلة عسكرية) وسيكون ذلك عبرة . ان الجميع يناشدونك وينتظرون منك الحزم ...

انها حركة اشقياء من الاولاد والبنات يركضون وينادون بانهم بحاجة الى الخبز —وهم في ذلك يريدون اثارة الاضطراب— وكذلك العمال الذين يعيقون عمل الاخرين . ولو كان الطقس باردا جدا لما خرجوا الى الشارع ، بل ظلوا جميعا في بيوتهم . غير ان ذلك سينتهي كله اذا ما سلكت الدوما سلوكا جيدا . لم يجر نشر اسوأ من هذا الخطاب ، الا انني اظن ان اصحاب الخطب المعادية للسلالة القيصرية من الضروري انزال العقاب بهم حالا وبكل حزم . خاصة ونحن الآن في مرحلة عسكرية ...

ان المصائب كلها تأتي من هذا الجمهور المائع ... وكانت الامور في المدينة بالامس سيئة . اذ تم اعتقال ١٢٠-١٣٠ شخصا ، حيث القيت مسؤولية كبيرة على القادة الرئيسيين بسبب خطبهم في الدوما وقد اجتمع مساء امس الوزراء وبعض اعضاء الدرما اليمينيون ... وقد كتب بروتوبوبوف (في الرابعة صباحا) عن اتخاذ اجراءات صارمة ، وكلهم يأملون بان يهدأ الوضع غدا . واراد اولئك اقامة المتاريس وغيرها من الاعمال . في يوم الاثنين قرات منشورا شائنا .

(من الرسائل المتبادلة بين الامبراطورة الكساندرا فيودوروفنا والامبراطور نيقولاي الثاني في شهر شباط (فبراير) من عام ١٩١٧) .

«لا يجوز التواني اكثر من ذلك»

لاتخذ الاضطرابات ، التي بدأت في بيتروغراد طابعا عفويا وابعادا خطيرة ويقوم اساسها على النقص في الخبز وسوء التجهيز بالطحين ، الامر الذي يولد الذعر وبشكل رئيس انعدام الثقة التام بالسلطة التي تفتقر للقدرة على الخروج بالبلاد من وضعها الصعب . وعلى هذا الاساس بلاشك ستتطور الاحداث ، التي يمكن ايقافها مؤقتا وسيكون ثمن ذلك اراقة دماء المواطنين الابرياء ، غير انها لو بدأت بعد ذلك مجددا لستكون السيطرة عليها امرا غير ممكن . وبامكان هذه الحركة ان تنتقل لتعم السكك الحديدية لتشل حياة البلاد في اصعب وقت . وتتوقف المصانع المتخصصة بشؤون الدفاع في بيتروغراد بسبب النقص في الوقود والمواد الاولية ويصبح العمال بلا عمل ، وتسير هذه الجموع الجائعة والعاطلة عن العمل في طريق الفوضى العفوية التي لا يمكن السيطرة عليها . ان مواصلات السكك الحديدية في كافة روسيا مصابة باختلال النظام التام وفي الجنوب يعمل ٢٨ فرنا عاليا فقط من مجموع ٦٣ فرنا بسبب انعدام التزويد بالوقود والمواد اللازمة . وفي الاورال توقف ٤٤ فرنا من مجموع ٩٢ فرنا ، واخذ انتاج الحديد الزهر يتناقص مبدئا بتقليص كبير في انتاج الفولاذ .

ويشكو السكان من تعليمات السلطة القليلة الخبرة فلا يجلبون منتجات الحبوب الى البازار ، الامر الذي يؤدي الى توقف الطواحين ، ويهدد خطر نقص الطحين الجيش والسكان .

ان سلطة الحكومة مشلولة تماما وغير قادرة اعادة سيادة النظام . ان روسيا مهددة بالاذلال والعار لان الحرب [illegible] هذه الظروف لا يمكن ان تنتهي [illegible] انني ارى ان المخرج الوحيد والضروري [illegible] هذا الوضع ، هو الاستنجاد [illegible] بالشخص الذي تؤمن به البلاد [illegible] ليكلف بتاليف الحكومة ، التي تنال [illegible] السكان كافة . وستنال هذه الحكومة تاييد كل روسيا ، التي تلهمها الثقة [illegible] وبقادتها . وليس هناك مخرجا [illegible] الطريق المشرق من هذه المحنة ، [illegible] يسبق لها مثيل بآثارها المرعبة ، [illegible] التمس اليكم ياصاحب السمو لتدعوا [illegible] هذه امام جلالته من دور الكارثة [illegible] ولا يجوز التواني اكثر من ذلك لان [illegible] كالموت .

برقية رئيس مجلس دوما روزيانكو الى القائد العام للجبهة الشمالية [illegible] روزسكي في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩١٧ .

«لذلك انا مستعد للتنازل»

الى رئيس مجلس الدوما ، [illegible] التي قادر على تقديم اية تضحية [illegible] اجل الخير الحقيقي ومن اجل [illegible] العزيزة روسيا . ولذلك انا مستعد للتنازل عن العرش لابني ، على ان [illegible] عندي حتى بلوغ سن الرشد [illegible] اخي ميخائيل الكساندروفيتش .

برقية القيصر الى روزيانكو

«عزمت على هذه الخطوة»

٢ مارس (آذار) . الخميس . ان [illegible] في بيتروغراد قد وصل الى مرحلة [illegible] فيها الوزارة المؤلفة من اعضاء مجلس [illegible] عاجزة عن عمل اي شيء ، [illegible] لنضال حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ممثلا باللجنة العمالية . والمطلوب [illegible] التنازل ... ولايصل القائد روزسكي [illegible] الجيش في الجبهة ، عزمت على هذه [illegible]

(البقية على ص ١٥)

انباء موسكو
ملحق العدد ٦

القسم الرسمي

بصدد عملية التغيير وسياسة الحزب في مسألة الكادر

تقرير الرفيق ميخائيل غورباتشوف

الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي

في الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب

يوم ٢٧ كانون الثاني - يناير ١٩٨٧

ايها الرفاق .

لقد اناط المؤتمر السابع والعشرون للحزب بنا نحن اعضاء اللجنة المركزية ، مسؤولية عظمى هي ضمان تطبيق النهج الاستراتيجي الرامي الى تسريع تنمية البلد الاقتصادية الاجتماعية . هكذا بالضبط يفهم المكتب السياسي الموقف الحالي ودور اللجنة المركزية في المرحلة الراهنة من حياة المجتمع السوفيتي .

انطلاقا من ذلك ، طرحت امام الاجتماع الكامل للمناقشة مسالة ذات اهمية من الدرجة الاولى بالنسبة لنجاح تطبيق الاستراتيجية السياسية التي اختطها الاجتماع الكامل للجنة المركزية في نيسان/ ابريل ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعشرون للحزب، الا وهي مسالة عملية التغيير وسياسة الحزب في مسالة الكادر . وعلينا ان ننظر فيها على الصعيد السياسي الاجتماعي الواسع ، آخذين بعين الاعتبار دروس الماضي وطبيعة الظرف الراهن ومهام المستقبل .

لقد فتح اجتماع نيسان/ابريل الكامل والمؤتمر الحزبي السابع والعشرون السبيل الى تحليل نقدي موضوعي للوضع القائم في المجتمع ، واتخذا قرارات تاريخية بالنسبة الى مقدرات البلد . وقد بدأنا بعملية التغيير بلا عودة ، وخطونا على هذا الطريق اولى الخطوات .

ولئن اجملنا الحصيلة السياسية العامة ، فبامكاننا ان نقول بثقة : ان حياة المجتمع السوفيتي تشهد تغيرات كبرى ويتصلب عود النزعات الايجابية .

في عشية اجتماعنا الكامل كان لي ولباقي اعضاء المكتب السياسي وامناء اللجنة المركزية عدد غير قليل من اللقاءات والاحاديث مع اعضاء اللجنة المركزية والشخصيات الاجتماعية والعمال والكولخوزيين والمثقفين والشيوخ والشباب . وقد لمسنا ان التطلع العام ، ومغزى ما ادلوا به من آراء ، واحد لا يقبل التاويل وهو السير بثبات على طريق تجديد مجتمعنا وبذل المزيد من الجهود على جميع الاتجاهات .

من المهم بالنسبة للجنة المركزية ان يحظى الخط السياسي للمؤتمر السابع والعشرين ، والنشاط العملي في مجال تطبيقه ، وعملية التغيير بحد ذاتها بدعم واسع النطاق من البلشفيلة والشعب السوفيتي باسره . وهذا .. ايها الرفاق ، هو الاهم بالنسبة للحزب الحاكم .

الى جانب ذلك نرى ان التغييرات نحو الافضل تجري ببطء ، واتضح ان قضية التغيير اصعب واسباب المعضلات المتراكمة في المجتمع اعمق مما كنا نتصور في الماضي . وكلما تعمقنا اكثر في العمل المتعلق بعملية التغيير ، ازدادت وضوحا لنا ابعادها ومغزاها ، وينكشف الجديد من المشكلات المعلقة الموروثة من الماضي .

لقد جرى ابلاغ المؤتمر السابع والعشرين للحزب والاجتماعات الكاملة للجنة المركزية بالتقديرات الاساسية التي وضعها المكتب السياسي عن حالة المجتمع وبالاستنتاجات التي استخلصها من هذه التقديرات . وهي تتأكد الآن تأكدا تاما . بيد اننا نعرف اليوم مزيدا من الامور ، ولهذا تبرز ضرورة ان نتدارس مرة اخرى باستفاضة منابع الوضع القائم ، وان ندرك كنه اسباب ما جرى في بلدنا عند تخوم عقدي السبعينات والثمانينات .

هذا التحليل ضروري كي لا تتكرر الاخطاء ، ولاجل تنفيذ مقررات المؤتمر التي يرتهن بها مستقبل شعبنا ومصير الاشتراكية . لاسيما ان ثمة بعد قصورا معينا داخل المجتمع ، بل وحتى داخل الحزب نفسه ، في فهم مايكتنف الوضع الذي الفي بلدنا نفسه فيه من تعقيد ، ويبدو ان هذا هو ما يمكن ان تفسر به ظهور الاستفسارات لدى جملة من الرفاق بصدد التدابير التي يتخذها المكتب السياسي والحكومة في مجرى عملية التغيير . اذ لا يندر ان يتساءلوا : ألسنا نبالغ في تدابير الحزم ؟

نحن بحاجة الى وضوح تام في جميع المسائل المهمة مصيريا ، بما فيها هذه المسالة . ان عمق الالمام بواقع الامور هو وحده الذي يتيح لنا ايجاد السبل الصائبة لتنفيذ المهمات الصعبة .

على العموم ، ايها الرفاق ، ثمة ضرورة ملحة للرجوع مرة اخرى الى تحليل تلك المعضلات التي اصطدم بها الحزب والمجتمع السوفيتي خلال السنوات الاخيرة التي سبقت اجتماع نيسان/ابريل الكامل للجنة الحزب المركزية . لقد رسخت تجربة السنة ونصف السنة الماضية عزمنا على تعميق هذا التحليل وفهم اسباب العمليات السلبية ووضع التدابير التي تعجل من مسيرتنا ، وتضمن عدم تكرر الاخطاء وتتيح السير الى الامام ، والى الامام فقط ، مبرهنة في الواقع العملي على الصفة الملازمة عضويا للاشتراكية ، الا وهي القدرة على التطوير الذاتي الدائم .

والمكتب السياسي يرى ان هذا الموقف هو الذي ينبغي لنا ان نعقد على اساسه اجتماعنا الراهن .

١ - عملية التغيير ضرورة موضوعية

ايها الرفاق

ان اجتماعنا يعقد في عام العيد اليوبيلي لاكتوبر العظيم . فقبل حوالي سبعة عقود رفع حزب لينين في سماء الوطن راية الثورة الاشتراكية الظافرة راية النضال من اجل الاشتراكية والحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي ، وضد الظلم والاستغلال والفقر والاضطهاد القومي .

ولاول مرة في التاريخ العالمي اصبح الانسان الكادح ومصالحه واحتياجاته محورا لسياسة الدولة واحرز الاتحاد السوفيتي على طريق البناء الاشتراكي نجاحات تاريخية حقا في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والروحي . وتحت قيادة الحزب بنى الشعب السوفيتي صرح الاشتراكية ، واحرز النصر

على الفاشية فى الحرب الوطنية العظمى ، ثم قام باعمار وتوطيد اركان الاقتصاد الوطنى وجعل من وطنه دولة جبارة .

ان منجزاتنا عظيمة لا يمارى بها ، وللمواطنين السوفيت الحق فى الافتخار بنجاحاتهم . انها الاساس المتين لتنفيذ الخطط الحالية ، ولتحقيق طموحاتنا فى المستقبل . غير ان الحزب ملزم بان يرى الى الحياة بكامل مقوماتها وبكل ما يحف بها من تعقيد ولا يجوز لاية انجازات ، مهما بلغت من ضخامة، ان تحجب هنا لا التناقضات فى تطور المجتمع ولا ما نرتكبه من اخطاء وهفوات .

لقد سبق ان تكلمنا عن ذلك ، وعلينا ان نكرر اليوم مرة اخرى : فى مرحلة معينة اخذ بلدنا يفقد وتيرة المسير ، واخذت الصعاب والمشاكل المعلقة تتراكم ، وبرزت ظواهر ركود وغيرها من الظواهر الغريبة على الاشتراكية . كل هذا انعكس انعكاسا خطيرا على الاقتصاد وعلى المجالين الاجتماعى والروحى .

وبطبيعة الحال ، ايها الرفاق ، لم تتوقف تنمية البلد . فقد مارست عملها باخلاص عشرات الملايين من المواطنين السوفيت ، وزاول الكثير من منظماتنا الحزبية وكوادرنا نشاطه بهمة عالية لما فيه خير الشعب . كل هذا كان يعيق تنامى العمليات السلبية لكنه لم يتمكن من تفاديها .

واختمرت موضوعيا فى الاقتصاد ، بل حتى فى المجالات الاخرى ايضا الحاجة الى التغييرات ، لكنها لم تجد ما يلبيها فى نشاط الحزب والدولة السياسى والتطبيقى .

فما هو سبب هذا الموقف المعقد والمتناقض ؟

ان السبب الرئيس – وهذا ما يرى المكتب السياسى لزاما عليه ان يبوح به بكل صراحة امام الاجتماع الكامل – هو ان اللجنة المركزية للحزب وقيادة البلد لم تتمكنا ، بحكم اسباب ذاتية بالدرجة الاولى ، من ان تقدرا فى الوقت المناسب وبالحجم الكامل ضرورة اجراء التغييرات ، وخطر تفاقم ظواهر التازم فى المجتمع ، ومن رسم سياسة واضحة لتخطيها ، وللانتفاع الاوفى من الامكانيات الكامنة فى النظام الاشتراكى .

عند رسم السياسة والنشاط التطبيقى كانت الغلبة للامزجة المحافظة والخمول والسعى الى الاشاحة عن كل ما لا يندرج فى الاطر المالوفة ، ولغياب الرغبة فى حل المسائل الاقتصادية الاجتماعية الملحة .

ان المسؤولية المترتبة على كل ذلك ، ايها الرفاق تتحملها الهيئات القيادية للحزب والدولة .

لقد كان مستوى ادراك التناقضات والمشاكل الحيوية ، والافاق والنزعات الاجتماعية يرتهن فى الكثير من نواحيه بحالة الفكر النظرى وتطوره وبالجو الذى كان سائدا على جبهة التنظير .

وكثيرا ما كان يجرى اصلا تجاهل التوجيه اللينينى القائل بان قيمة النظرية تتمثل فى التصوير الدقيق «لجميع التناقضات التى لها حضورها فى الحياة» . وظلت التصورات النظرية عن الاشتراكية فى جوانب كثيرة عند مستوى الثلاثينات والاربعينات عندما كان المجتمع يعالج مهمات مغايرة تماما . ولم تصبح الاشتراكية المتنامية وجدلية تناقضاتها وقواها المحركة وواقع المجتمع موضوعا لبحوث علمية عميقة .

ان اسباب هذا الوضع تاتى من بعيد ، وجذورها تكمن فى ذلك الوضع التاريخى الملموس الذى حذفت فى ظله من النظرية ومن العلوم الاجتماعية ، بحكم ملابسات معروفة ، روح المناقشة الحية والفكر المبدع ، بينما اصبحت طروحات وتقديرات الراى الفردى حقائق لا تقبل الجدل ، بل يكتفى بالتعليق عليها .

وجرى ما يشبه التاليه لاشكال تنظيم المجتمع القائمة فى الواقع العملى . والانكى من ذلك هو ان مثل هذه التصورات كانت فى جوهر الامر تماهى مع مواصفات جوهر الاشتراكية وتعتبر غير قابلة للتغير وتصور فى مثابة الجزميات التى لا تدع مجالا للبحث العلمى الموضوعى . ونشات صورة جامدة للعلاقات الانتاجية الاشتراكية ، ولم يقدر التقدير الكافى تفاعلها الجدلى مع القوى المنتجة . وجرى تصوير البنية الاجتماعية تصويرا مسطحا كبنية مجردة من التناقضات ومن دينامية المصالح المتنوعة لمختلف فئات المجتمع وشرائحه .

وكانت موضوعات لينين عن الاشتراكية تفسر تفسيرا مبسطا لا يندر فى سياقه ان تفرغ من فحواها ومكنونها النظرى العميق . وينسحب هذا المسلك على بعض القضايا المفصلية كالملكية الاجتماعية ، العلاقات الطبقية والقومية ، مقدار الجهد المبذول ومقدار الاستهلاك ، الحركة التعاونية، طرق التدبير الاقتصادى ، سلطة الشعب والادارة الذاتية مكافحة الانحرافات البيروقراطية ، الجوهر التحويلى الثورى للايديولوجيا الاشتراكية ، مبادىء التدريس والتربية ، ضمانات التنمية السليمة للحزب والمجتمع .

وحظيت ببعض الرواج تصورات سطحية عن الشيوعية وشتى ضروب التكهنات والطروحات التجريدية ، مما ادى – بدوره – الى الحط من المغزى التاريخى للاشتراكية ، والى اضعاف تاثير الفكر الاشتراكى .

وما كان لمثل هذا التعامل مع النظرية سوى ان ينعكس سلبيا – وقد انعكس بالفعل – على العلوم الاجتماعية ودورها فى المجتمع . فمن الحقائق ، ايها الرفاق ، انه لم يكن نادرا عندنا حتى تشجيع شتى ضروب التنظير الكلامى الاجوف الذى لا يمس مصالح احد ولا يمس القضايا الحيوية ، فى حين لم تكن محاولات التحليل البناء والتقدم بالافكار الجديدة تحظى بالدعم .

واثر الوضع على جبهة التنظير تاثيرا سلبيا فى معالجة المسائل التطبيقية . ففى مجرى عقود كاملة تجمدت فى ممارسات الادارة والتدبير الاقتصادى طرائق عفى عليها الزمن ، وبالعكس ، نبذت عن غير وجه حق بعض الاشكال الاقتصادية الفعالة فى الوقت ذاته غرست فى الانتاج والتوزيع علاقات لا تناسب درجة النضوج الفعلى للمجتمع ، حتى انها كانت فى جملة من الحالات تناقض طبيعته . وكان الانتاج وحوافز العمل موجهين فى جوهر الامر صوب التنمية الكمية ، الافقية .

وينبغى التحدث بصفة خاصة عن الملكية الاشتراكية . ان وهنا خطيرا اصاب الرقابة على من يتصرف بها وكيف . فقد كانت فى غير النادر من الاحيان فريسة للنزعات المصلحية والمحلية الضيقة حتى باتت وكانها «ارض محايدة» ، كانها ملكية مجانية ، ليس لها مالك فعلى ، بل وراحت تستغل فى حالات كثيرة لجباية الدخل غير المشروع .

وكان التعامل مغلوطا مع الملكية التعاونية التى كانت تصور وكانها «من الدرجة الثانية» ولا تعد بمستقبل . كل هذا كانت له آثار خطيرة فى السياسة الزراعية والاجتماعية ، وقد تمخضت عن نزعة الادارة المكتبية فى التعامل مع الكولخوزات ، وادت الى القضاء على التعاونيات الحرفية . كما حدثت توهمات خطيرة فى الآراء بشان الاستثمارات الشخصية والنشاط الاقتصادى الفردى ، الامر الذى الحق بدوره ضررا اقتصاديا واجتماعيا لا يستهان به .

وتراكمت تشوهات خطيرة فى التخطيط . اذ تقوضت سمعة الخطة ، كونها الاداة الرئيسة فى السياسة الاقتصادية بفعل المواقف النابعة من العامل الذاتى ، وبفعل اختلال التوازن واختلال الاستقرار والجنوح الى احتواء الكل والاجزاء حتى ادق التفاصيل وبفعل غزارة القرارات المتخذة على صعيد الفروع والاقاليم الاقتصادية من وراء ظهر الخطة ، وكثيرا ما كان يجرى اتخاذها دون مراعاة للامكانيات الفعلية ولم يكن من النادر ان تفتقر الخطط الى التعليل العلمى ، اذ لم تكن ترمى الى تكوين تناسبات اقتصادية فعالة او الى ايلاء الاهتمام المطلوب بتنمية المجال الاجتماعى وتنفيذ الكثير من المهمات الاستراتيجية .

وفى النتيجة لم يجر استثمار المزايا الهائلة لنظام التدبير الاقتصادى الاشتراكى ، وبالدرجة الاولى صفته المبرمجة ، استثمارا فعالا .

وفى هذه الظروف تنامى انعدام المسؤولية وابتكرت قواعد وارشادات بيروقراطية متنوعة واستعيض عن التوجيه الحى بالادارة المكتبية والتظاهر بالروح العملية وتحبير الاوراق .

وادت التحاملات بخصوص دور العلاقات النقدية – البضاعية ومفعول قانون القيمة ، وفى بعض الاحيان حتى اعتبارها منافية للاشتراكية وكانها جسم غريب الى مواقف نابعة من مذهب الارادية فى الاقتصاد والى الانتقاص من تقدير نظام الحساب الاقتصادى والى «المساواة حسب مبدأ الاوانى المستطرقة» فى دفع اجور العمل ، وتمخضت عن اصول ذاتية فى سياسة التسعير واختلال التداول النقدى واهمال مسائل التحكم بالعرض والطلب .

وكان لتقييدات حقوق المؤسسات والاتحادات المتعلقة بنظام الحساب الاقتصادى اثار شديدة الوطاة ، الامر الذى قوض اسس منح الحوافز المادية واعاق تحقيق نتائج نهائية عالية ، وادى الى انخفاض نشاط المواطنين العملى والاجتماعى ، والى تدهور الضبط والنظام .

فى واقع الحال نشا نظام كامل لهزال اذرع السلطة الاقتصادية ، وتكون مايشبه الميكانيزم للفرملة التنمية الاقتصادية الاجتماعية وكبح التحويلات التقدمية التى تتيح الكشف عن مزايا النظام الاشتراكى واستثمارها . ان جذور هذه الفرملة تكمن فى النواقص الخطيرة فى اداء وظائف مؤسسات الديمقراطية الاشتراكية ، وفى الاحكام النظرية والسياسية التى تقادم عليها الزمن والتى لم تعد احيانا تساير الواقع ، وفى جمود ميكانيزم الادارة .

كل هذا ، ايها الرفاق ، انعكس انعكاسا سلبيا على تنمية العديد من مناحى حياة المجتمع . ولناخذ الانتاج المادى . لقد انخفضت وتائر الزيادة فى الدخل القومى خلال فترات الخطط الخمسية الثلاث الاخيرة اكثر من مرتين . ولم تنفذ الخطط فيما يتعلق بمعظم المؤشرات منذ بداية السبعينات . وبات الاقتصاد بوجه عام عاجزا عن المناورة وقليل التقبل للجديد من المبتكرات ، ولم تعد نوعية جزء كبير من المنتوجات تناسب المستلزمات العصرية واشتد اختلال التناسبات فى الانتاج .

وضعف الاهتمام بتنمية صناعة المكائن ، وتخلفت الابحاث العلمية والاعمال التصميمية التجريبية عن متطلبات الاقتصاد الوطنى ، ولم تعد تتجاوب ومهمات اعماره التقنى . وكانت مشتريات المعدات وكثير غيرها من البضائع من الاسواق الراسمالية فوق طاقة الاقتصاد ، كما لم تكن دائما مبررة .

وشكلت العمليات السلبية مساسا خطيرا بالمجال الاجتماعى . وقد اعطى المؤتمر السابع والعشرون للحزب تقويما لاوضاع هذا المجال . وضعف بشكل واضح خلال الفترات الخمسية الاخيرة التوجه الاجتماعى للاقتصاد ، وبرز ما يشبه الصمم تجاه المسائل الاجتماعية . وها نحن اليوم نرى حصيلة ذلك .

لقد عالجنا بنجاح مسائل توفير فرص العمل للسكان ووفرنا ضمانات اجتماعية ذات طابع مبدئى ، لكننا فى الوقت ذاته لم نتمكن من الاستفادة كليا من امكانيات الاشتراكية فى تحسين الظروف السكنية وتجهيز المواد الغذائية وتنظيم النقل والخدمات الطبية والتعليم ، وفى حل جملة من المشاكل الملحة الاخرى .

وارتسمت ملامح خرق ابرز مبدأ من مبادىء الاشتراكية ، الا وهو التوزيع حسب المجهود . اذ كانت مكافحة الدخل غير المشروع تفتقر الى الحزم كما لم تكن سياسة توفير الحوافز المادية والمعنوية لقاء العمل العالى الانتاجية تتسم بالثبات والتواصل فقد كانت تدفع مبالغ كبيرة كمكافآت غير معللة اضافة الى شتى انواع عوامل التشجيع ، كما كانت تحدث حالات بلف فى سبيل الكسب غير المشروع ونمت امزجة العيش عالة على جهد الاخرين ، واخذت تترسخ فى وعى الناس نفسية «المساواة حسب مبدأ الاوانى المستطرقة» . وكان هذا يلحق الأذى باولئك الكادحين القادرين والراغبين فى العمل بصورة افضل كما ييسر فى الوقت ذاته اسباب العيش لهواة الاسترخاء فى العمل .

ان اختلال الصلة العضوية بين مقدار المجهود ومقدار الاستهلاك ليس فقط يشوه الموقف من العمل ، ذلك ان هذا الاختلال يعيق نمو انتاجية العمل ، بل ويفضى الى تشويه مبدأ العدالة الاجتماعية ، الامر الذى يعتبر مسالة ذات اهمية سياسية بالغة الخطورة .

وانعكست عناصر التحات الاجتماعى التى برزت خلال السنوات الاخيرة انعكاسا سلبيا على الوضع النفسى للمجتمع ، وراحت تنخر بشكل خفى القيم الخلقية الرفيعة التى كان شعبنا يتسم بها على الدوام والتى نعتز ونفتخر بها ، وهى الايمان الفكرى والحماسة فى العمل والشعور الوطنى السوفيتى .

ان النتيجة الحتمية لذلك هى هبوط الاهتمام بالشؤون الاجتماعية وتجلى مظاهر غلاظة الخلق والارتياب وانحطاط دور حوافز العمل المعنوية ونمت شريحة من الناس ، ومن ضمن ذلك بين اوساط الشبيبة ، انحصر هدف الحياة بالنسبة لها فى اليسر المادى والكسب بشتى السبل والوسائل واكتسب موقفها الماجن مزيدا من المظاهر الفاشمة وراح يسمم وعى الاخرين ، فتمخض عن موجة من النزوع الاستهلاكى . وتمثل مؤشر انحطاط الطباع الاجتماعية فى نمو ظاهرة السكر وانتشار تعاطى المخدرات وتنامى الاجرام .

واثرت تاثيرا فاتكا فى الجو الاخلاقى السائد على المجتمع حوادث الاستخفاف بالقوانين وتجميل الاوضاع المتردية والرشوة وتشجيع عادات التزلف والتبجيل .

وكانت العناية الحقيقية بالمواطنين وظروف حياتهم وعملهم وبالمعافاة الاجتماعية لا يندر ان تركن جانبا لتحل محلها المغازلات السياسية كالتوزيع الجماعى للجوائز والالقاب والمكافآت . وترتب جو من الغفران الشامل ، وانخفضت صرامة المتطلبات والضبط والمسؤولية .

وكانت النواقص الخطيرة فى التربية الفكرية السياسية تحجب في الكثير من الاحيان بالفعاليات والعروض الاحتفالية ومباهج المناسبات اليوبيلية الكثيرة العدد على الصعيد المركزى والمحلى سواء بسواء . وراح عالم الواقع اليومى وعالم الهناء المصطنع يبتعد احدهما عن الآخر اكثر فاكثر .

وانعكست ايديولوجيا وسيكولوجيا الركود كذلك على الاوضاع فى ميادين الثقافة والادب والفن فانخفضت المعايير فى تقويم الابداع الفنى ، مما ادى الى ظهور قدر لا يستهان به من النتاجات السطحية الشاحبة التى لا تقدم ايما غذاء لا للعقل ولا للمشاعر الى جانب النتاجات التى تثير قضايا خلقية اجتماعية جادة والتى تصور صدامات الواقع المعاش واشتد تعرض المجتمع السوفيتى لتغلغل قوالب الثقافة الجماهيرية البرجوازية التى تفرض الابتذال والاذواق الساذجة والخواء الروحى .

ولا بد هنا من التحدث عن مسؤولية دوائرنا الايديولوجية ومسؤولية محررى المجلات الادبية وقادة الاتحادات الابداعية والنقاد الادبيين والادباء انفسهم ورجال الفن عن التوجه الفنى الفكرى للعملية الابداعية ، وعن عافية الشعب الاخلاقية .

لقد كان نشاط الاتحادات الابداعية يفتقر الى ما يكفى من الروح المبدئية ومن صرامة المحاسبة والرعاية الحقيقية بانماء ومساندة المواهب الجديدة فكثيرا ما كانت المسائل التى لها اهمية من الدرجة الاولى ، والتى تعزى الى اوضاع واحوال الميدان الثقافى ، تبقى دون الاهتمام المطلوب من قيادات الاتحادات الابداعية . وفى الوقت ذاته ازدهرت الميول البيروقراطية والشكلية ، وتبلورت حالات التطير الشديد من النقد . وفى جملة من الحالات اخذت الاطماع المتجاوزة لحدود التحمل تتغلب على التقويمات والتقويمات الذاتية الواقعية .

وازداد الطين بلة بسبب كون الموقف الحزبى من الابداع الفنى لا يعدم ان يستعاض عنه بالتدخل المكتبى غير المبرر فى العمليات الابداعية المحضة وبالاهواء الذوقية المؤيدة او المعارضة ، فيما يستعاض عن طرائق التاثير والتوجية الفكرى بالقرارات الادارية .

ايها الرفاق !

لقد انعكست اوضاع الحزب نفسه ، واوضاع ملاك كوادره ايضا على الوضع الاقتصادى الاجتماعى والسياسى الذى نشأ فى تخوم عقدى السبعينات والثمانينات .

لم تتمكن اجهزة الحزب القيادية ان تقيم فى الوقت المناسب وتقييما انتقاديا خطر تنامى الاتجاهات السلبية فى المجتمع وفى تصرفات قسم من الشيوعيين وان تتخذ القرارات التى تطلبتها الحياة بالحاح .

ولم يقدر العديد من منظمات القاعدة الحزبية على التمسك بالمواقع المبدئية وهى تمتلك القدرات الهائلة وتنشط عمليا فى داخل كافة اسر العمل، ولم تخض كل منها النضال الحازم ضد الظواهر السلبية واستباحة كل شىء والتكافل فى السوء ، ضد ضعف الانضباط وانتشار السكر . ولم يجر التصدى اللازم دائما للمصلحية والنزعة المحلية الضيقة ولمظاهر التعصب القومى .

ان منظماتنا الحزبية كانت تعوزها فى بعض الاحيان الكفاحية والتطلب من اعضاء الحزب والانتباه الى تكوين الخصال الفكرية والسياسية لدى الشيوعيين . ومن نافل القول ان الدرجة العالية من الالتزام الفكرى وعمق الوعى والادراك والاستعداد لجعل المصالح الشخصية خاضعة للمصالح العامة والتفانى فى خدمة الشعب هى اروع الخصال التى تميز بها دوما البلاشفة .

واثر فى الوضع القائم فى الحزب ايضا ان الاجهزة الحزبية لم تعر فى عدد من الحالات الاهتمام اللازم لمراعاة المبادىء والقواعد اللينينية فى الحياة الحزبية مراعاة صارمة . ولعمرى ان هذا ظهر اكثر ما ظهر فى انتهاك مبدأ الجماعية فى العمل وانى اقصد هنا اضعاف دور الاجتماعات الحزبية والهيئات المنتخبة وهو ما حرم الشيوعيين امكانية المشاركة بنشاط فى مناقشة القضايا المهمة حيويا وفى خاتمة المطاف التاثير فعليا فى الوضع فى اسر العمل وفى المجتمع ككل .

كما تم الاخلال ، احيانا كثيرة ، بمبدأ تساوى الشيوعيين . فالعديد من اعضاء الحزب الذين تسنموا مناصب قيادية باتوا بلا حسيب ولا رقيب عليهم مما ادى الى الفشل فى العمل والى انتهاكات خطيرة لادب السلوك الحزبى .

ولا مجال للسكوت ايضا عن سخط الشغيلة العادل على تصرف اولئك القياديين الممنوحين الثقة والصلاحيات والمفترض بهم ان يذودوا عن مصالح الدولة والمواطنين ، بينما راحوا هم انفسهم يسيئون استعمال السلطة ويكبحون الانتقاد ويكدسون الثروات ، حتى ان بعضهم قد ضلع فى اعمال اجرامية ان لم يكن مدبرها .

وتبدت فى اشد اشكالها امتساخا العمليات السلبية من انحطاط الكوادر وانتهاك الشرعية الاشتراكية فى اوزبكستان وملدافيا وتركمانيا وعدد من محافظات كازاخستان وفى اقليم كراسنودار ومحافظة روستوف وكذلك فى موسكو وبعض المدن والمحافظات والاقاليم والجمهوريات الاخرى وفى اجهزة وزارة التجارة الخارجية ووزارة الداخلية .

وبالطبع خاضت المنظمات الحزبية والحزب ككل نضالا ضد هذه الظواهر ففصلت من صفوف الحزب الشيوعى السوفيتى عددا كبيرا من العناصر الفاسدة ومن بينهم من مارس الاختلاسات والرشاوى وتزوير نتائج العمل وخالف الانضباط الرسمى والحزبى وتعاطى الكحول .

الا ان الاغلبية الساحقة ممن دخلوا الحزب هى من خيرة ممثلى الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين وكانوا وما زالوا ينفذون واجبهم الحزبى بصدق ونزاهة . ومع ذلك ينبغى الاقرار بانه لم يتم التمكن خلال هذه السنوات من وضع حاجز متين بوجه الاشخاص غير الشرفاء الماكرين الطامعين الذين يسعون الى المكاسب من وراء البطاقة الحزبية.

اننا قد تراجعنا الى حد ما عن القاعدة القائلة : ليس المهم عدد الاعضاء الجدد بل نوعية الصفوف الحزبية . وهذا انعكس على كفاحية المنظمات الحزبية .

كل ما قيل ، يا رفاق ، يشهد على ما صار اليه الوضع من خطورة فى شتى ميادين المجتمع ومدى ضرورة التغييرات فى العمق . ومن الاهمية بمكان التاكيد التالى مجددا : لقد وجد الحزب فى ذاته القوة والجراة لتقييم الوضع بشكل منصف والاقرار بضرورة التغيير الجذرى فى السياسة والاقتصاد والمجالين الاجتماعى والروحى والانعطاف بالبلد الى طريق التحولات .

فى ظل هذا الوضع طرحت ، ايها الرفاق ، مسالة تعجيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، مسالة التغيير (التجديد) . والمقصود فى جوهر الامر هو الانعطاف والتدابير التى تتسم بطابع ثورى . نحن عندما نتحدث عن التغيير وما يرتبط به من عمليات اشاعة الديمقراطية فى المجتمع على اكمل وجه ونقصد بقولنا هذا تحويل المجتمع تحويلا ثوريا وشاملا حقا وفعلا .

مثل هذا الانعطاف الجذرى ضرورة وليس امامنا سبيل سوى هذا السبيل . والتراجع غير جائز بل انه مستحيل . ونهج اجتماع ابريل (نيسان) الكامل للجنة الحزب المركزية والمؤتمر السابع والعشرين للحزب علينا ان نتهجه بدأب ومثابرة لا نحيد عنه بل نسير قدما للصعود بمجتمعنا الى مستوى من التطور جديد كيفا .

ومن الضرورى ، كما علمنا لينين ، ونحن نبدأ التحويلات الاجتماعية ان نتصور فى ذهننا «فيم يكمن اصلا هذا الانتقال ومم والام يؤدى» وانتقاد الماضى بوصفه محطة هامة من محطات التطور يمكن من استخلاص الدروس والعبر والاستنتاجات لحاضرنا ولغدنا ويساعد على العمل البناء لاختيار الوسائل والطرق الصحيحة للتقدم الى الامام . ونحن صغنا استراتيجية للتعجيل مرتكزة على اساس علمى متركين بكل وضوح ان التسرع او الارتجال فى تكوين التصورات عن المستقبل ليسا اقل خطرا من القصور الذاتى والتشويهات الدوغماتية .

وثمة اليوم ضرورة للقول مرة اخرى كيف نفهم نحن عملية التغيير .

عملية التغيير هى الحزم فى التغلب على عمليات الركود وكسر الآلية اللاجمة وايجاد الآلية المضمونة والفاعلة لتعجيل تنمية المجتمع السوفيتى اقتصاديا واجتماعيا .

والفكرة الرئيسة فى استراتيجيتنا هذه هى التوحيد ما بين منجزات الثورة العلمية التقنية والاقتصاد المبرمج وتحريك كل قدرات الاشتراكية.

وعملية التغيير هى الاستناد الى الابداع الحى للجماهير وهى التطوير الشامل للديمقراطية والتسيير الذاتى الاشتراكى وتشجيع المبادرة والنشطات الذاتية وتعزيز الانضباط والنظام وتوسيع نطاق العلنية والنقد والنقد الذاتى فى كل مجالات حياة المجتمع ، انها اسمى الاحترام لقيمة وكرامة شخصية الانسان . وعملية التغيير هى زيادة مطردة لدور عوامل التكثيف فى تنمية الاقتصاد السوفيتى واعادة الاعتبار فى ادارة الاقتصاد الوطنى لمبادىء المركزية الديمقراطية اللينينية وتطويرها والتطبيق الشامل لطرائق الادارة والتسيير الاقتصادية والعدول عن ديدن اصدار الاوامر والنزعة الادارية وضمان انتقال كل حلقات الاقتصاد الى مبادىء الحساب الاقتصادى المستقل كاملا والى اشكال جديدة من تنظيم العمل والانتاج والى تشجيع التجديد والمبادرة الاشتراكية بكل الوسائل .

وعملية التغيير هى انعطاف حاسم نحو العلم والشراكة بينه وبين التطبيق فى العمل بهدف بلوغ ارفع النتائج النهائية ، والمقدرة على وضع اى مبادرة على اساس علمى راسخ ، واستعداد العلماء ورغبتهم الحارة فى دعم نهج الحزب لتجديد المجتمع دعما نشيطا ، وهذا فى تزامن مع الحرص على تطوير العلم ورفع مستوى كوادره ومساهمتهم النشيطة فى عمليات التحويلات .

وعملية التغيير هى اولوية التنمية فى الميدان الاجتماعى والتلبية المتزايدة اكتمالا لحاجات السوفيتيين الى ظروف عمل وعيش وراحة وتعليم وطبابة جيدة . وهى الاهتمام الدائم باثراء كل انسان والمجتمع ككل روحيا وثقافيا . وهى القدرة على الجمع بين حل المشاكل الكبرى والجذرية فى حياة المجتمع وحل المسائل اليومية التى تقلق الناس.

وعملية التغيير هى اسراع المجتمع الى التخلص من التشويهات فى الاخلاق الاشتراكية والتطبيق الدؤوب لمبادىء العدالة الاجتماعية . وهى وحدة القول والفعل ، وحدة الحقوق والواجبات ، وهى ايضا تشجيع العمل الشريف الرفيع النوعية والغاء التوجه نحو مساواة الصالح بالطالح فى دفع اجور العمل والتغلب على روح حب الاستهلاك دون انتاج شىء .

وباعتقادنا ان الهدف النهائى لعملية التغيير واضح وهو التجديد فى العمق لكل جوانب حياة البلد واكساب الاشتراكية احدث اشكال التنظيم الاجتماعى والابراز الاكمل لطابع نظامنا الانسانى فى كل أوجهه المحددة ، الاقتصادى منها والاجتماعى والسياسى والادبى .

مثل هذا العمل بدأناه واياكم ، يا رفاق ، فعملية التغيير بدات وعلى كل الجبهات . وهى تكتسب صفة جديدة تجرى ليس فقط افقيا بل عموديا ايضا اذ تنفذ الى اعمق اعماق الحياة .

لقد حركت عملية التغيير كل القوى السليمة فى مجتمعنا وبعثت الثقة فى العمل . وانه لفى تزايد عدد اللجان الحزبية والمنظمات الاجتماعية واسر العمل التى اخذت تميزها صفة التقييم الموضوعى لحالة الامور مع النقد الذاتى ، والابتعاد عن الشكلية والتقليد فى العمل والبحث عن سبل جديدة غير مطروقة لحل المشاكل . واننا لنشعر بالمساندة النشيطة والحازمة من جانب العمال والفلاحين والمثقفين من فنانين وتقنيين وعلماء وكل فئات المجتمع السوفياتى .

ويتكون فى البلاد جو ادبى ومعنوى جديد وتجرى اعادة النظر فى القيم بشكل مبدع واتسع الجدل حول طرق التحويلات فى الاقتصاد وفى المجالين الاجتماعى والروحى ويتسع نطاق البحث عن اساليب جديدة فى العمل التنظيمى والايديولوجى وتترسخ اكثر فاكثر العلنية والصدق فى تقييم الظواهر والاحداث، عدم التسامح مع النواقص، الرغبة فى تحسين الامور كمبادىء حياتية ذات مفاعيل حية .

ويزداد التطلب والانضباط والانتظام فى الانتاج وصار ثمة مزيد من الترتيب والنظام . وتكتسب بالنسبة لنا اهمية خاصة اولى الخطوات نحو تغيير الحياة الروحية لانه بدون احداث انعطاف فى الوعى الاجتماعى وبدون تغييرات فى نفسية الناس وطريقة تفكيرهم وفى عقلياتهم لا يمكن الوصول الى احراز النجاح ، ايها الرفاق .

لقد باشرنا التحويل الجذرى للقاعدة المادية والتقنية للاقتصاد وتحديثه تحديثا جذريا عميقا على اساس التقدم العلمى والتقنى ، وتغيير السياسة البنيوية والاستثمارية . فاقرت برامج هادفة ضخمة

في اتجاهات التقدم العلمي والتكنولوجي الرئيسية ووضعت بمراعاتهم الخطة الخمسية الثانية عشرة ويجري تنفيذها .

ويتم تنفيذ تدابير ضخمة في مجال اتقان الادارة فمنذ بداية العام الحالي نقلت كل المصانع والمجمعات الى اساليب الادارة والتسيير المتاكد منها بالتجربة وبدأ عدد من الفروع والمصانع والمجمعات العمل على اساس الحساب الاقتصادي المستقل الكامل والتمويل الذاتي .

وبدأت العمل على اسس تضمن استقلالية واسعة وترفع من المسؤولية عن العمل فروع اقتصادية مرتبطة مباشرة بتلبية حاجات السكان من مثل المجمع الزراعي – الصناعي والصناعة الخفيفة والتجارة والخدمات . وتتحقق تغييرات جذرية في تسيير البناء الاساسي . ولتشديد النضال من اجل رفع نوعية المصنوعات طبق في ١٥٠٠ مؤسسة هامة اسلوب قبول الدولة للمنتوجات .

وتجري اعادة تنظيم جهاز النشاط الاقتصادي الخارجي . فتم توسيع حقوق المؤسسات والفروع في اقامة الروابط الاقتصادية مع الخارج . ويجري المضي في تطوير اشكال جديدة من التعاون كعلاقات المؤسسات المباشرة والمجمعات المشتركة والتخصص والتعاون في الانتاج مع الشركاء الاجانب .

وبهدف الانتقال الى نظام شامل لادارة الاقتصاد الوطني تم تشكيل اجهزة دائمة تابعة لمجلس الوزراء السوفيتي بغية ادارة مجموعات الفروع المترابطة فيما بينها . ورسم مشروع قانون حول المؤسسة (المجمع) الانتاجية الحكومية وتعد الوثائق المتعلقة بتطوير وظائف الاجهزة الاقتصادية المركزية والوزارات والمصالح في ظل الالية الاقتصادية الجديدة . كما تعد المقترحات بشأن تنظيم اشكال جديدة من البنى الانتاجية الضخمة ذات الحساب الاقتصادي المستقل على اساس المجمعات والمصانع وكذلك بشأن سلسلة من القضايا الهامة الاخرى .

ويتم تنفيذ تدابير ضخمة لتحسين الاوضاع في المجال الاجتماعي . وصيغت وتطبق مبادىء جديدة لرفع الاجور في الفروع الانتاجية . واخذنا ننهج بصلابة نهج التخلي عن مساواة الصالح بالطالح والمراعاة الدؤوبة لمبدأ التوزيع الاشتراكي طبقا لكمية ونوعية العمل . والغيت في الوقت نفسه التحديدات غير المبررة على النشاط الاقتصادي الفردي وتنشأ الآن لتطويره الظروف المؤاتية ويصار الى تشجيع تنظيم التعاونيات في شتى مجالات الانتاج والخدمات وصولا الى تلبية اكمل لاحتياجات السكان .

وعلى اساس تحليل الوضع في البناء السكني واخذا بعين الاعتبار المهمة البرنامجية الا وهي تأمين شقة منفردة لكل عائلة مع حلول العام ٢٠٠٠ تم العثور على احتياطيات اضافية لتسريع وتائر بناء المساكن وتحسين نوعيتها . وينفق على هذه الاهداف اضافيا ١٠ بالمئة من التوظيفات الانتاجية الاساسية مما سيتيح ابتداء من عام ١٩٨٧ زيادة مساحة البناء السكني بالمقارنة مع المساحة المقررة له في الخطة الخمسية بـ١ر٩ ملايين من الامتار المربعة اي مايقارب نسبة ٨ بالمئة .

ويتوسع بناء المساكن التعاونية والفردية . ولهذه الغاية تمنح التسليفات التسهيلية وتخصص الموارد الضرورية وتنفذ تدابير تؤول الى تطوير اسلوب بناء المساكن على حساب قدرات المصانع الذاتية وزيادة القاعدة الانتاجية للبناء وغير ذلك .

ورسم برنامج بناء وتجديد المؤسسات الطبية وتزداد طاقات انتاج العقاقير والمعدات الطبية الوطنية ويجري تسريع العمل لتطبيق وتطوير اشكال جديدة من الخدمات الطبية وتنظيم العلوم الطبية وتتحقق في ترابط عضوي مع هذا تدابير لمعافاة ظروف العمل والعيش لدى السكان وتوسيع اعمال الوقاية الصحية واستئصال السكر والادمان على الكحول وتقليص الاصابة بالامراض . ويتم رفع اجور العاملين في ميدان الطب .

وهكذا ، ايها الرفاق ، يدل حتى الاستعراض المقتضب لما رسم وبدىء تنفيذه كم هو كبير العمل من اجل التغيير الذي بدأته بلادنا . فحجم الاشغال هائل ولكن لا يمكنه ان يكون غير ذلك . وليس للحزب الحق في اضعاف انتباهه لأي قطاع من قطاعات عملية التغيير . وكل المرسوم يجب ان يتحقق ويتجسد دون ادنى شك وان ينفذ بدقة وفي الموعد المقرر .

ومن الطبيعي ان لا يؤتي عدد من الاجراءات التي نصوغها وننفذها الثمار الفعلية في الحال . ولكن الجو نفسه والاستعداد النفسي المستجد في المجتمع قد بدآ منذ اليوم يغيران الموقف من العمل ويعطيان النتائج العملية الملموسة .

وهذا ما تدل عليه ايضا محصلة تنفيذ خطة السنة الاولى من الخطة الخمسية .

فالدخل القومي الناتج ازداد بنسبة ١ر٤ بالمئة فيما افترضت الخطة زيادة ٩ر٣ بالمئة فقط وفيما بلغت الزيادة السنوية المتوسطة خلال الخطة الخمسية الحادية عشرة نسبة ٦ر٣ بالمئة . وبلغت الزيادة في الانتاج الصناعي ٩ر٤ بالمئة اي اكثر بالثلث من متوسط الزيادة السنوية في الخطة الخمسية الحادية عشرة وهي كذلك ارفع زيادة تحققت خلال السنوات التسع الاخيرة .

انتم تعرفون ان الخطة الخمسية الثانية عشرة هي ذات اهمية فاصلة بالنسبة لنا من حيث تحديث صناعة الالات الوطنية وتجديد الجهاز الانتاجي وتسريع التقدم العلمي والتكنولوجي . ان مهمة التطوير المتقدم في تسارعه لقطاع صناعة الآلات تجري معالجتها في ظل صعوبات جمة الا ان الامور تسير . وازداد انتاج الروبوتات الصناعية خلال سنة بنسبة ١٤ بالمئة والانظمة الانتاجية المؤتمتة المرنة بـ٦ر٢ مرة والوحدات الانتاجية بـ٢ر٢ مرة ومراكز المعالجة بـ٤ر١ مرة . وزيدت بنسبة ٣٠ بالمئة التوظيفات في مجال اعادة تجهيز وتحديث مصانع بناء الالات قيد التشغيل . وسوف يراقب المكتب السياسي باستمرار مسألة تنفيذ برنامج صناعة الالات . واننا نأمل بأن يوفق بناة الالات في حل المهام المطروحة امامهم .

وتصحح بعض الشيء الامور في عدد من فروع الصناعة الثقيلة الاخرى . فانتهت السنة بمؤشرات لابأس بها في ميتالورجيا المعادن الحديدية وفي صناعة الفحم والغاز ويتغلب على التأخر في مجال استخراج النفط .

وازدادت انتاجية العمل في الصناعة عموما بـ٦ر٤ بالمئة رغم ان الخطة قررت زيادة تصل الى ١ر٤ بالمئة . وبفضل هذا تم الحصول على ٩٦ بالمئة من زيادة الانتاج السنوية . وحصل للمرة الاولى خلال سنين عديدة هبوط ملحوظ في سعر كلفة المنتوجات . وتسارعت الدورة المالية وتناقص احتياطي المعدات غير المركبة في امكنتها بما فيها المعدات المستوردة .

ويلحظ بوضوح تحسن في نمو القطاع الزراعي فقد ازداد انتاج الحبوب في عام ١٩٨٦ بالمقارنة مع المؤشرات السنوية المتوسطة للخطة الخمسية الماضية بقرابة ٣٠ مليون طن اي بنسبة ١٧ بالمئة وانتاج البطاطا بقرابة ٩ ملايين طن اي بنسبة ١١ بالمئة وانتاج الشمندر السكري بقرابة ٣ ملايين طن اي بنسبة ٤ بالمئة وانتاج اللحوم بـ٥ر١ مليون طن اي بنسبة ٩ بالمئة وانتاج الحليب بـ٥ر٦ مليون طن اي بنسبة ٧ بالمئة وانتاج البيض بقرابة ٦ مليارات قطعة اي بنسبة ٨ بالمئة .

اذن كما ترون ، يا رفاق ، بدأت زيادة في الانتاج لم تشهدها مدى سنوات طوال في اغلبية المؤشرات الرئيسية . ولكن ينبغي القول انه لوحظت زيادة في الانتاج قليلة او بقاء الانتاج على نفس مستواه في انواع مزروعات كالخضار والفواكه وعباد الشمس والقطن .

ومن المهم ايضا الاشارة الى تحسن المؤشرات الاقتصادية والمالية الرئيسية في نشاط الكلخوزات والسفخوزات . وقد زادت انتاجية العمل في المزارع الحكومية والتعاونية في السنة بنسبة ٩ر٦ بالمئة وبلغت ريعيتها ١٩ بالمئة وزادت ارباحها بمقدار ملياري روبل .

ولدى التنويه بالتطورات الايجابية في تنمية الاقتصاد ينبغي ان نقول مع ذلك انه نتيجة الخسائر الكبيرة والمصاريف غير المنتجة وعدم تنفيذ مهمات الخطة في مجال توسيع دورة التبادل البضاعي، لم تنفذ خطة زيادة الدخل القومي المستخدم في باب الاستهلاك والادخار .

ورغم الزيادة الكبيرة بالمقارنة مع العام الماضي كانت الزيادات في مؤشرات هامة كالمداخيل الفعلية للفرد من السكان واجمالي الانتاج الزراعي وانتاج وسائل الاستهلاك في الصناعة وحجم التوظيفات الاساسية وتشغيل الارصدة الاساسية وارباح الاقتصاد الوطني ، ادنى مما افترضته الخطة . فلم تحصل تلك التغييرات الجدية في عملية التوظيف ولم يشغل سوى ثلثي المنشآت التي وردت ضمن مسميات خطة الدولة .

اما في المجال الاجتماعي فقد بدأت التغييرات رغم الصعوبات الكبيرة التي رافقتها . فبعد اتخاذ الاجراءات المناسبة لتعزيز الانضباط ومكافحة السكر تقلص لاول مرة منذ الستينات عدد الاصابات في العمل وتقلصت الخسارة في وقت العمل وانخفضت بقرابة الربع نسبة الاجرام عامة وبالثلث نسبة الجرائم الخطيرة . واشتد في كل مكان النضال ضد انتهاك الشرعية والقانون .

وازدادت احجام البناء السكني مما اتاح زيادة تسليم المساكن زيادة بلغت مساحتها ٢ر٥ مليون متر مربع بالقياس بعام ١٩٨٥ وبني المزيد من رياض الاطفال ودور الحضانة والمدارس والمستوصفات والمستشفيات والمؤسسات الثقافية والاجتماعية .

قصارى القول ان تطورات ايجابية قد حصلت ولكن ثقل المشاكل المتراكمة في هذا الميدان الهام عظيم ونحن مازلنا بحاجة ماسة الى المزيد من الجرأة في الاخذ بناصية حلها .

وانتم تعرفون ان العثور على احتياطيات لتوسيع البناء السكني وبناء المنشآت الثقافية والاجتماعية قد اصطدم بصعوبات هائلة . ومع ذلك ، وللاسف ان الاستفادة الحقة من الامكانيات الممنوحة لم يجد الجميع الطريق اليها . فمشاريع بناء الكثير من هذه المنشآت لم تنفذ . واسباب ذلك ليست فقط في عدم انضباط البناة بل ايضا في نقص اهتمام المؤسسات والوزارات والسوفيتات المحلية واللجان الحزبية بذلك .

ولاتزال عندنا صعوبات في تجارة المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية وفي عمل وسائل النقل والمرافق العامة في المدن والدوائر الصحية والثقافية . بشكل عام . نحن لم نصل الى تغييرات جذرية في تنمية المجال الاجتماعي ومازلنا بقدر كبير في اسار التعامل القديم مع الامور .

وبودي وانا انهي وصف العمل الذي ينهض به الحزب وكل الشعب لتنفيذ قرارات المؤتمر السابع والعشرين للحزب ، ان اقول ان من المهم جدا لنا نحن اعضاء اللجنة المركزية ان نتخذ مواقع الواقعية والتقييم الموضوعي لما تم انجازه وان ننظر الى النتائج الحاصلة ليس فقط انطلاقا من مواقع الماضي بل وقبل كل شيء انطلاقا من الخطط التي اعلناها والوعود التي قطعناها على الشعب . وهذا وحده الموقف الحزبي الصحيح .

ان علينا ان ندرك بجلاء ووضوح اننا مازلنا في بداية مراحل التغيير وان امامنا العمل الاساسي والاكثر تعقيدا . يجب ان نسير الى الامام بمناد خطوة خطوة وبدون تردد مقومين ما فعلناه تقييما واقعيا والا نخشى تصحيح الاخطاء وان نبحث عن طرائق واساليب جديدة لحل المهام الناشئة حتى العثور عليها والوصول الى تحرك لا بد منه باتجاه الاهداف المرسومة .

وينبغي ان نستوعب دروس الماضي جيدا ولا يجب ان نسمح بعدم تطابق بين القرارات وبين العمل التطبيقي على تنفيذها . ولا يجب ان تتملكنا مشاعر الغرور او الاطمئنان . واقول ذلك مرة اخرى لاننا لا نزال حتى الان نصطدم بمثل هذه الظواهر . يجب علينا العمل ، العمل ، ومرة اخرى العمل – بنشاط وجرأة وبابداع وكفاءة .

وطرح المسألة على هذا النحو يمليه واقع ان البعض في الاجهزة الاقتصادية وهيئات الدولة والسوفيتات وحتى في الهيئات الحزبية ، وفي اسر العمل نفسها ، لايتجاوبون ومتطلبات العصر . كما ان الكثيرين ممن يتخلصون ببطء من عبء الماضي يتخذون موقف الترقب ويعرقلون احيانا سير الامور ويعيقون التنمية الواسعة لنشاطات الشعب السياسية والاجتماعية والعملية .

ولم يدرك البعض ان العمل بنمط جديد يعني التخلي بحزم من الاساليب والعادات البالية . وهذا يرتهن في نهاية المطاف بموقف كل فرد كمواطن وبموقفه النزيه من العمل المناط به ومن واجباته . وهذا ما نتحمل المسؤولية عنه امام الحزب والوطن وامام ضمائرنا .

وتدل اللقاءات والاحاديث مع الكادحين والكوادر الحزبية والاقتصادية على ان عملية التغيير تحظى بتأييد حار . فالشعب يدعم التغيير بكل قواه . ولكن ما يلفت الانتباه هو ان الكثيرين اذ يؤيدون الجديد يرون ان التغيير ليس واجبهم بل واجب اولئك الذين في المناصب العليا وكذلك هيئات الحزب والدولة والاجهزة الاقتصادية ، او الفروع الاخرى او المؤسسات الانتاجية التي يتعاونون معها ، او من يعمل الى جانبهم في الورش والمزارع ومشاريع البناء – اي واجب الجميع ماعداهم .

ولكن ، ايها الرفاق ، اذ نطالب عن حق بالتغيير على كافة المستويات يجب على كل منا ان يبدأ عملية التغيير من نفسه . فالعمل بنمط جديد وبنشاط وابداع – واكرر – بنزاهة ، واجب على الجميع – العمال والكولخوزيين والمثقفين اي واجب على الكل ابتداء من اسرة العمل وحتى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والحكومة .

ونحن الشيوعيين نعتمد في عملية التغيير الضخمة هذه ، اول ما نعتمد ، على الوعي الرفيع للطبقة العاملة – القوة السياسية القائدة في مجتمعنا – وعلى انضباطها ومبادرتها الاجتماعية وانجازاتها العملية الضخمة .

ان الطبقة العاملة والمواطنين السوفيت كافة يقيمون رفيع التقييم نهج الحزب ، نهج التغيير ، ولكنهم في الوقت نفسه يعبرون عن قلقهم ازاء مجرى تنفيذه عمليا ، ويدعون الحزب الى عدم الاكتفاء بما انجز والعمل بحزم ومواصلة التقدم وتطبيق النهج المرسوم بثبات . ويجب ان نستخلص من ذلك – ايها الرفاق – الاستنتاجات السياسية .

ووجود هذا القلق في المجتمع يدل – كما يبدو – على ان الجهود التي نبذلها لم تزل غير كافية . وهذا يعني اننا لا نتصرف في كل الحالات والمواقع بالفعالية والاصرار اللازمين . ويعني ان الخطوات التي تتخذ والاعمال التي تنفذ لا تتفق بعد في كل المواقع مع احجام القضايا المتكدسة وحدتها ، ولا تجري في بعض الاحيان وفق متطلبات العصر . وهذا يعني ايضا ، ايها الرفاق ، ان لدى اللجنة المركزية مسوغا بالغ الاهمية للتفكير والتمعن واستخلاص الاستنتاجات الضرورية .

بديهي اننا ندرك ان التغلب على انماط التفكير واساليب العمل القديمة عملية معقدة ، مقترنة بالصعوبات ، وتتطلب وقتا وموقفا حصيفا .

ومن الواضح تماما ان هذه العملية لا يمكن ان تجري تلقائيا او بمعزل عن التحولات التي تشهدها مجالات الحياة السياسية والاقتصادية الاجتماعية والروحية .

وعلينا ان نتصور بجلاء ان المطلوب اليوم هو منظومة كاملة من الاجراءات ، منها اعداد الاسس النظرية القائمة على وقائع عصرنا الراهن وعلى تنبؤ علمي للمستقبل معلل بعمق ، ومنها ايضا تغيير الوعي الاجتماعي وتطوير المؤسسات الديموقراطية باطراد وتكوين الثقافة السياسية لدى الجماهير واعادة بناء جهاز الادارة الاقتصادية وتغيير البنى التنظيمية وتطبيق سياسة اجتماعية نشيطة ، بالطبع . وهكذا فقط يمكن ازالة كل ما يعيق تقدمنا وافساح المجال اللازم لقوى التعجيل .

واعتقد ان اجتماع اللجنة المركزية الكامل هذا يجب ان يوضح للحزب والشعب ان امامنا نضالا غير سهل يتطلب من كل شيوعي ومن كل مواطن وعيا وانضباطا عاليين وضبط النفس وتفانيا لاقصى حد .

ايها الرفاق ! ان تحليل الحالة التي وجد نفسه فيها مجتمعنا قبيل اجتماع نيسان /ابريل/ الكامل للجنة المركزية ، وخبرة التغيير ، تطرحان بكل الحاح اهم مسألة وهي : الدينا ضمان بأن عملية التغيير التي بدأت ستتواصل حتى النهاية ، وان الاخطاء السابقة لن تتكرر ، واننا سنستطيع تأمين نمو مجتمعنا على النحو المطلوب ؟

عن هذه الاسئلة يجيب المكتب السياسي مؤكدا : نعم ، لدينا مثل هذه الضمانات .

انها وحدة ارادة ووحدة عمل الحزب والشعب اللذين تجمعهما خبرة ما عاشاه وادراكهما المسؤولية الملقاة عليهما عن حاضر ومستقبل وطننا الاشتراكي .

انها ايضا تطوير ديموقراطية النظام الاشتراكي من كافة النواحي ومشاركة الشعب الفعلية والمتزايدة النشاط في حل كافة المسائل المتعلقة بحياة بلادنا والاستعادة التامة للمبادىء اللينينية ، مبادىء العلانية والرقابة الاجتماعية والنقد والنقد الذاتي والنزاهة والاخلاص السياسيين اللذين يتجسدان في تطابق الاقوال والاعمال .

واخيرا ، انها تطور الحزب نفسه تطورا سليما وقدرته على التحليل الانتقادي لنشاطه وعلى تجديد اشكال وطرق عمله ، وتحديد افاق تطور المجتمع على اساس النظرية الثورية ، والنضال من اجل حل المهام الجديدة التي تطرحها الحياة .

وتعميق الديموقراطية الاشتراكية وابداع المواطنين السوفيت الخلاق ودور الشيوعيين الطليعي في الشؤون العملية – كل ذلك بالذات يضمن نجاح التحولات الثورية التي اقرها المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي ويجعلها مستمرة لا رجعة فيها .

٢ – تعميق الديموقراطية الاشتراكية وتطوير قيادة الشعب الذاتية

ايها الرفاق ! الان ندرك اكثر من اي وقت مضى كل حكمة الفكرة اللينينية حول الترابط الداخلي بين الاشتراكية والديموقراطية . وكل خبرة بلدنا التاريخية قد اثبتت باقناع ان النظام الاشتراكي قد ضمن عمليا حقوق المواطنين السياسية والاجتماعية الاقتصادية وحرياتهم الشخصية ، كما اظهر افضلية الديموقراطية السوفيتية وخلق لدى كل مواطن الثقة بالمستقبل .

ولكن ، علينا في ظروف عملية التغيير ، عندما تمثل بكل حدة مهمة تنشيط العامل البشري ، ان نعود مرة اخرى للصيغة اللينينية لمسألة جعل النظام الاشتراكي ديموقراطيا لاقصى درجة بحيث يشعر الانسان بأنه مبدع وسيد بلده .

لقد قال لينين : «يجب ان نواكب الحياة ، ويجب ان نقدم لجماهير الشعب حرية الابداع التامة» .

نعم . ان الديموقراطية التي تعتبر سلطة الانسان العامل جوهرها ، تعد شكلا لتجسيد حقوقه السياسية والمدنية الواسعة واهتمامه بالتحولات ومشاركته العملية في تنفيذها .

وتتزايد في الوعي الاجتماعي رسوخا فكرة واضحة وبسيطة ، وهي ان اقامة النظام في البيت لا يستطيعها الا الانسان الذي يشعر بأنه سيده . وهذه الفكرة صحيحة من حيث معناها المعيشي او من حيث معناها الاجتماعي السياسي . ولذا يجب ان تطبق عمليا بثبات – واكرر – عمليا ، والا فيفقد العامل البشري فعاليته .

ان تقدمنا في الانتاج وفي العلم والتقنية والادب والثقافة والفن وفي كافة مجالات الحياة الاجتماعية ، غير ممكن الا عن طريق التطوير المطرد لاشكال الديموقراطية الملازمة للاشتراكية وعبر توسيع الادارة الذاتية . وهذا الطريق وحده يضمن الانضباط الواعي . وعملية التغيير غير ممكنة الا عبر الديموقراطية وبفضل الديموقراطية . وهكذا فقط يمكن فتح الافاق امام اكبر قوة ابداعية للاشتراكية – العمل الحر والفكر الحر في بلد حر .

وهذا هو السبب الذي يجعل مواصلة اشاعة الديموقراطية في المجتمع السوفيتي من مهام الحزب الملحة . وفي هذا بالذات يكمن جوهر النهج الذي وضعه اجتماع نيسان /ابريل/ الكامل للجنة المركزية ومؤتمر الحزب السابع والعشرون ، والذي يستهدف تعميق الادارة الذاتية الاشتراكية للشعب وبديهي ان الحديث لا يدور عن عملية ما لتحطيم نظامنا السياسي . بل يجب علينا ان نستثمر باقصى فعالية كل امكانياته ونملأ عمل الحزب والسوفيتات وهيئات الدولة والمنظمات الاجتماعية واسر العمل بمحتوى ديموقراطي عميق وان ننفخ في كل خلايا الجسم الاجتماعي روحا جديدة .

وهذه العملية جارية الان في بلدنا . كما ان نشاطات المنظمات الحزبية تزداد حيوية . وتتسع باستمرار ممارسة النقد والنقد الذاتي ، وتنمو فعالية عمل وسائل الاعلام ، ويشعر المواطنون السوفيت جيدا بالتأثير الناجع للعلانية التي تغدو قاعدة في حياة المجتمع .

وفي جو يتسم بالمبدئية والروح الانتقادية جرت اعمال مؤتمرات الاتحادات الابداعية . ويجري تأسيس منظمات اجتماعية جديدة . فقد ولدت منظمة قدامى الحرب والعمل . وتم تأسيس صندوق الثقافة السوفيتي . كما يجري العمل من اجل تشكيل مجالس نسائية . في كل هذا تتجسد مشاركة الكادحين المتنامية في تسيير الشؤون الاجتماعية وفي ادارة بلدنا .

فما هي السبل التي يراها المكتب السياسي ضرورية لمواصلة اشاعة الديموقراطية في المجتمع السوفيتي ؟

اننا سنتمكن من النهوض بروح المبادرة والابداع لدى الشعب وبشكل فعال اذا ما شرعت مؤسساتنا الديموقراطية في التأثير بنشاط وبشكل ملموس في وضع الامور في كل من اسر العمل سواء أكان ذلك في مجال التخطيط وتنظيم العمل ام توزيع الخيرات المادية وغيرها من الخيرات ام اختيار اكثر المواطنين سمعة وكفاءة وترشيحهم الى المناصب القيادية .

ويمكن القول بكل ثقة انه كلما شعر المواطن السوفيتي اسرع بتأثير هذه التغيرات فيه ، ازداد نشاطا موقفه كمواطن واشتراكه في تسيير كافة شؤون المجتمع والدولة .

وما يتسم باهمية من الدرجة الاولى هو تطوير الديموقراطية في مجال الانتاج والتطبيق المطرد لمبادىء الادارة الذاتية الاصيلة في نشاطات اسر العمل . والاقتصاد هو المجال الحاسم في حياة المجتمع . ففيه يعمل يوميا عشرات الملايين من المواطنين . ولذا فان تطوير الديموقراطية في مواقع الانتاج يعد اهم اتجاهات تعميق وتوسيع الديموقراطية الاشتراكيه عموما . انه تلك الوسيلة التي تساعد على ضمان مشاركة الكادحين الواسعة والنشيطة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية كما تتيح تلافي العديد من الاخطاء والهفوات .

ان اهم المسائل العملية تتلخص في تشكيل تلك الظروف وتطبيق تلك الاشكال في تنظيم الانتاج ، التي تسمح للكادحين بأن يحسوا انهم اصحاب مؤسساتهم الحقيقيون .

وهذه المكانة رفيعة ومسؤولة فهي لا تمنح فقط حقوقا واسعة في ادارة الشؤون الفعلية بل تفترض ايضا مسؤولية كبيرة عن كل ما يجري في اسرة العمل .

ولقد ترسخت في سياق البناء الاشتراكي اشكال عديدة لمشاركة الكادحين في ادارة الانتاج . ولا يمكن تصور حياة اسر العمل بدون منظمات حزبية ونقابية وكمسمولية وغيرها من المنظمات الاجتماعية وفي الاونة الاخيرة ينمو باستمرار دور الاجتماعات العمالية والعقود الجماعية وظهرت اشكال جديدة للديموقراطيه مثل مجالس الفرق الانتاجية والورش وتضجت الظروف للقيام بخطوات جديدة على هذا الطريق .

ان الحياة نفسها قد ادرجت في جدول الاعمال ضرورة صياغة وثيقة قانونية هامة هي القانون الخاص بمؤسسات الدولة ، الذي وزع مشروعه عليكم . وهذا القانون من شأنه ان يغير جذريا ظروف واساليب ادارة الاقتصاد في حلقته الرئيسية وتعزيز الجمع في نشاطات المؤسسات بين اسس التخطيط والحساب الاقتصادي المستقل وكذلك بين استقلالية المؤسسات ومسئوليتها ، واضفاء الصفة القانونية على الاشكال الجديدة للادارة الذاتية التي ولدت بفعل ابداع الجماهير .

ومن المرتأى ان يتجسد في القانون احد اهم توجيهات مؤتمر الحزب وهو نهج الاستخدام الفعال لاشكال الديموقراطية المباشرة . والصلاحيات التي ينص عليها المشروع والتي ستمنح الاجتماعات العامة ومجالس اسر العمل في حل المسائل المتعلقة بالشؤون الانتاجية والاجتماعية ومسائل الكوادر ستغدو خطوة سياسية كبيرة في التحول «الى ادارة ذاتية حقة للشعب» ، على حد تعبير لينين .

والتطبيق الثابت لقانون مؤسسات الدولة مقترنا بمجموعة الاجراءات المتكاملة التي يجري تنفيذها الان في المجال الاقتصادي ، سيخلق عموما – كما نعتقد – حالة جديدة في الاقتصاد الوطني وسيصبح احد عوامل تسريع تنمية الاقتصاد وسيفضي الى تطور جوانب عديدة للحياة الاجتماعية تطورا نوعيا . ونظرا لاهمية هذا القانون البالغة يقترح المكتب السياسي طرح مشروعه للمناقشة الشعبية العامة . واعتقد ان اعضاء اللجنة المركزيه سوف يؤيدون هذا الاقتراح .

ان كولخوزاتنا (المزارع التعاونية) والتعاونيات الاشتراكية عموما تتمتع بامكانيات واسعة ، لم تستثمر جميعها ، لاشاعة الديموقراطية في ادارة الاقتصاد والمجال الاجتماعي .

وتغيير نظام الادارة في المجمع الزراعي الصناعي وكذلك القرار الخاص بمواصلة تطوير التعاونيات في فروع الاقتصاد الوطني الاخرى ، يشكلان مقدمات جيدة لاستثمار هذه الامكانيات . وبهذا الصدد من المناسب – من وجهة نظرنا – عقد مؤتمر دوري للكولخوزيين ، لمناقشة القضايا الملحة في حياة الكولخوزات وادخال التعديلات الضرورية على نظامها الداخلي النموذجي .

والمكتب السياسي يؤيد بنشاط الخطوات العملية التي اتخذت في جمهوريات واقاليم ومقاطعات عديدة من اجل توسيع اشكال النشاطات التعاونية الاخرى وهذا يسمح بتلبية اكمل لاحتياجات السكان المتنامية الى العديد من السلع والخدمات وسيخلق ظروفا مؤاتية اضافية لتطوير الديموقراطية في المجال الاقتصادي وللاستفادة من طاقات ومواهب الانسان استفادة افضل .

ايها الرفاق ! يجب التغلب على التردد الذي شهدته الحقب الماضية والذي يلاحظ اليوم ايضا

فيما يتعلق بالحركة التعاونية .

والتعاونيات لم تستنفد بعد كافة امكانياتها ، بل ولديها افاق رحبة .

لماذا عدت الى هذه المسالة وركزت عليها ؟ لانه حتى بعد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، ورغم قرارات اللجنة المركزية والحكومة الخاصة بتطوير الحركة التعاونية فى مجال الامدادات المادية والتقنية والخدمات المعيشية والتغذية العامة والمرافق العامة وفى الصناعات ومشروعات البناء المحلية ، لم يكتسب النشاط ، على هذا الصعيد ، النطاق اللازم . فعلى طريقه توضع شتى العقبات . ومازال قويا التمسك بأساليب الادارة البيروقراطية والمكتبية والنفور من اشكال التدبير الاقتصادى التى لا تنسجم مع التصورات القديمة التقليدية ، رغم انها ضرورية حيويا وتحفز مبادرة الكادحين وتضاعف من نشاطهم الاجتماعى .

وكما يبدو ، يصعب على بعض الرفاق فهم ان الديموقراطية ليست مجرد شعار وانما جوهر التغيير . ولا بد لهم من تغيير وجهات نظرهم وعاداتهم كى لا يجدوا انفسهم على هامش الحياة وهذه هى نصيحتنا الملحة لكل المتشككين والمتانين

ويجب التركيز بشكل خاص على مسالة انتخاب رؤساء ومدراء المؤسسات والقطاعات الانتاجية والورش والاقسام والمزارع ورؤساء الفرق الانتاجية والاسطوات . فالمرحلة الراهنة من عملية التغيير والتحول الى العمل بالاعتماد على اساليب اقتصادية جديدة وبنظام الاستقلالية الاقتصادية والتمويل الذاتي وتغطية التكاليف ذاتيا — كل ذلك يضع هذه المهمة على صعيد التنفيذ العملي . وهذا اجراء هام وضرورى . ولا شك انه سيحظى بتاييد الكادحين .

لقد قمنا بخطوات حثيثة على الطريق المؤدية الى تحويل المؤسسات للعمل طبقا لنظام الحساب الاقتصادى المستقل والتمويل الذاتى وتغطية التكاليف ذاتيا واعتمدنا نظام قبول المنتجات من قبل اللجان الحكومية . وهذا يعنى ان ايرادات المؤسسات وكافة اشكال تحفيز اعضاء اسر العمل ومدى تلبية الاحتياجات الاجتماعية — كل ذلك سيتوقف على نتائج العمل النهائية وعلى كمية ونوعية السلع المنتجة والخدمات المقدمة .

فى هذه الظروف لا بد وان يهم العمال والكولخوزيين من يراس مؤسستهم او ورشتهم او قسمهم الانتاجى او فرقتهم الانتاجية . واذا كان رفاه اسرة العمل مرتهنا بمواهب المديرين والمسؤولين فيجب اذن على الكادحين التمتع بامكانيات عملية للتاثير فى اختيارهم ولمراقبة نشاطاتهم .

لقد اكتسبت بلادنا خبرة معينة فى الانتقاء العلنى للرؤساء والمدراء . فعلى سبيل المثال رشح فى اقليم كراسنودار ، ابتداء من عام ١٩٨٣ اكثر من ٨٥٠٠ شخص لتسلم المناصب القيادية وخلال ذلك اخذ بعين الاعتبار راى اسر العمل والمنظمات الحزبية القاعدية . ولم يحظ اكثر من ٢٠٠ مرشح بتاييد الكادحين وبالتالى لم يتم تنصيبهم . وتتوفر نفس هذه الخبرة فى عدد من المناطق الاخرى . ويقبلها ويؤيدها المواطنون وتؤثر ايجابيا فى نتائج العمل .

وعموما ، ايها الرفاق ، مهما كانت وجهة النظر التى نعالج منها هذه المسالة الهامة ، يبرز استنتاج واحد : آن آوان التغيير واشاعة الديموقراطية فى عملية انتقاء الكوادر القيادية فى المؤسسات على اساس التطبيق التام لمبدأ الانتخاب وهذا ، كما ترون ، يعنى وضعا نوعيا جديدا وطابعا مبدئيا جديدا لمشاركة الكادحين فى ادارة الانتاج وزيادة دور اسر العمل ومسؤوليتها عن نتائج نشاطاتها .

كل ذلك يجب اخذه فى الاعتبار ابان الحل العملى لهذه المسالة . ولكننى اود ان اتقدم مباشرة بفكرة واحدة .

ان الحديث يدور عن القيادة الفردية . ونحن نرى ان الانتخاب لا يقوض نفوذ المدير بل بالعكس ، يزيده ، لانه يشعر بتاييد من انتخبوه كما انه يضاعف مسؤوليته عن العمل المناط به ويعزز روح الحزم والصرامة المتبادلة والمساءلة فى اسرة العمل .

ويجب ان نمعن التفكير ، ومن منطلقات جديدة فى دور المنظمات الحزبية والاجتماعية وهيئات ادارة الاقتصاد . وامامنا عمل كبير فى بلورة الفهم السليم لدى كوادرنا لواقع ان توسيع الديموقراطية فى المجال الانتاجى يفترض الجمع العضوى بين القيادة الفردية والقيادة الجماعية وتعميق المركزية الديموقراطية وتطوير الادارة الذاتية .

ويرى المكتب السياسى ان الاتجاه المبدئى فى اشاعة الديموقراطية فى حياتنا هو تطوير نظام الانتخابات السوفيتى . وطبقا لتوجيهات المؤتمر السابع والعشرين بهذا الصدد ، يجرى اعداد الاقتراحات الخاصة بهذه المسالة .

فما الذى يجب قوله هنا ؟ ان نظام الانتخابات المعمول به حاليا يضمن تمثيل كافة فئات السكان فى هيئات السلطة المنتخبة .

ان الطبقة العاملة والفلاحين الكولخوزيين والمثقفين ، النساء والرجال ، قدامى الحرب والعمل والشباب ، ابناء كل قوميات واقوام بلادنا ، تم تمثيلهم فى السوفيتات الحالية على اختلاف مستوياتها . والهيئات المنتخبة تعكس البنيان الاجتماعى المهنى والقومى للمجتمع السوفيتى وكذلك تنوع اهتمامات ومصالح السكان باسرهم وهذا ، بحد ذاته ، انجاز كبير حققته الديموقراطية الاشتراكية .

الا ان النظام الانتخابى ، شانه شان جميع المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لا يمكن ان يبقى فى حالة جمود او خارج عملية التغيير وسائر العمليات الجديدة الجارية فى مجتمعنا .

ففيم يكمن جوهر اقتراحات وملاحظات الكادحين بخصوص هذه المسائل ، التى ترد الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والى هيئة رئاسة مجلس السوفيت الاعلى فى الاتحاد السوفيتى والى الهيئات المركزية الاخرى ووسائل الاعلام ؟

من الناحية السياسية يدور الحديث عن تعميق الطابع الديمقراطى لنظام الانتخابات وعن مشاركة الناخبين بفعالية ونشاط اكبر فى كافة مراحل الحملة الانتخابية وفى عملية الانتخاب نفسها .

وتحديدا تنحصر اغلبية الاقتراحات فى ان تناقش فى اجتماعات الناخبين التى تعقدها اسر المؤسسات والاحياء السكنية ، وكذلك فى الاجتماعات التى تسبق الانتخابات ، عدة مرشحين كقاعدة ، وتجرى الانتخابات فى دوائر انتخابية اكبر ينتخب فى كل منها عدة نواب . ويرى الرفاق ان هذا سيتيح لكل مواطن الادلاء برايه فى دائرة اوسع من المرشحين فى حين تتعرف الجهات الحزبية والادارية امزجة وارادة السكان على نحو افضل .

وتلبية لهذه الاقتراحات علينا ان نعيد النظر فى تنظيم انتخابات نواب الشعب نفسها وكيفية اختيار المرشحين ومناقشة صفاتهم الشخصية وينبغى تخليص مجريات التصويت من الشكلية والتوصل الى ان تجرى الحملة الانتخابية فى هذا العام بمزيد من الديمقراطية وفى جو اهتمام الناس بالمشاركة فى هذه العملية .

وفيما يتعلق بالوثيقة القانونية حول ادخال تعديلات على نظام الانتخابات فالاجدى نشر مشروعها مسبقا ليناقشها الشعب كله .

وتحقيق هذه الاقتراحات من شانه ان يكون اول خطوة هامة على طريق مواصلة اشاعة الديمقراطية فى مجال تشكيل هيئات سلطة الدولة وادائها لوظائفها . ولكن الواضح انه يجب التفكير فى اجراء تغييرات اعمق واتخاذ المزيد من الخطوات فى هذا الاتجاه . ونظرا للخبرات المتراكمة والمهام الجديدة يجب مراجعة الارث اللينينى الخاص بقضايا بناء الدولة السوفيتية مجددا وعلى ادق وجه واستخدامه فى حل المسائل التى تواجه المجتمع اليوم .

ومنطقى تماما انه يجب تناول مسائل توسيع الديمقراطية داخل الحزب ايضا فى سياق مسيرة اشاعة المزيد من الديمقراطية فى المجتمع السوفيتى

ومعروف ان المؤتمر الـ٢٧ اقر عددا من البنود الهامة الهادفة الى ترسيخ المبادىء الديمقراطية فى حياة الحزب فى سير ادخال تغييرات واضافات على النظام الداخلى للحزب الشيوعى السوفيتى . وينبغى المضى قدما فى هذا الاتجاه . ومن المرتاى التشاور حول تطوير مجريات تشكيل هيئات الحزب القيادية .

وفى هذا الصدد تلقت اللجنة المركزية مقترحات مختلفة عديدة . واسمحوا لى بان اخطركم بنتائج تعميم هذه المقترحات .

فى البداية اتوقف عند تشكيل الهيئات الانتخابية فى المنظمة الحزبية القاعدية . ومفاد اغلبية الاقتراحات بهذا الصدد ان يفسح اوسع مجال امام كل الشيوعيين بدون استثناء ليدلوا بارائهم اثناء انتخاب امناء المكاتب الحزبية واللجان الحزبية للمنظمات القاعدية وان ترتفع مسؤولية هؤلاء امام الذين ينتخبونهم .

كما قامت ضرورة التفكير فى تغيير نظام انتخاب امناء لجان منظمات الحزب فى المناطق والدوائر الادارية والمدن والمقاطعات والاقاليم ولجان الحزب المركزية فى الجمهوريات الاتحادية وفى هذا الصدد يمكن الاقدام ، كما يقترح الرفاق ، على ان ينتخب الامناء بمن فيهم الامناء الاولون ، بالتصويت السرى فى الاجتماعات الكاملة للجان منظمات الحزب المناسبة وفى غضون ذلك يحق لاعضاء لجنة منظمة الحزب ان يدرجوا اى عدد من المرشحين فى القائمة المعروضة للتصويت . ومن شان ذلك ان يرفع ولدرجة كبيرة مسؤولية الامناء امام اعضاء لجان منظمات الحزب الذين انتخبوهم ، ويمنحهم المزيد من الثقة اثناء العمل ويتيح تحديد مدى هيبتهم وسمعتهم بدقة اكبر .

وبطبيعة الحال ، يجب ان يبقى احد مبادىء النظام الداخلى وهو ان قرارات الهيئات العليا تعد الزامية لكل لجان منظمات الحزب المرؤوسة بما فى ذلك القرارات الخاصة بمسائل الكوادر .

ويرى المكتب السياسى ان مسيرة اشاعة المزيد من الديمقراطية يجب ان تشمل عملية تشكيل هيئات الحزب القيادية المركزية ايضا . واعتقد ان هذا منطقى تماما . ومن المنطقى — كما يبدو — اشاعة روح الديمقراطية فى انتخابات الهيئات القيادية للمنظمات الاجتماعية الاخرى ايضا .

ايها الرفاق ! اظن انكم توافقوننى اذا قلت ان كل هذه الاجراءات ستدعم ركائز المركزية الديمقراطية فى حياة الحزب وتساعد على تعزيز وحدة ولحمة صفوف الحزب ورفع مستوى الانضباط والمسؤولية وحفز نشاط وحماس كل شيوعى وكل منظمات الحزب والحزب كله .

ورب قائل يقول متسائلا ، الا نعقد عملية تشكيل هيئات الحزب الانتخابية وما هو مدى مبررات هذه الاجراءات وباى قدر ستخدم هى القضية ؟

اننا نؤكد باستمرار منذ ان عقدت اللجنة المركزية اجتماعها الكامل فى نيسان /ابريل (١٩٨٥) ان المشاكل المتراكمة فى المجتمع ترتبط فى جزء لا يستهان به بما ظهر من نواقص على صعيد نشاط الحزب ذاته وسياسته الخاصة بالكوادر .

ويرى المكتب السياسى ان اشاعة المزيد من الديمقراطية فى عملية تشكيل الهيئات الانتخابية احد اهم شروط رفع نشاط الحزب الحيوى ورفده بقوى جديدة وعمل منظمات الحزب النشيط وضمان عدم تكرار اخطاء الماضى .

ان الانتخابات فى الحزب ليست اجراء شكليا وعلينا ان نمعن التفكير وننهمك فى الاعداد لها بروح المسؤولية الرفيعة انطلاقا من مصالح الحزب والمجتمع .

كما ان اشاعة الديمقراطية فى المجتمع تطرح من زاوية جديدة مسالة الرقابة على عمل الهيئات الحزبية والادارية والاقتصادية وكوادرها . وفيما يتعلق بالرقابة «من الاعلى» فقد شهدت الاونة الاخيرة تغييرات ملحوظة فى هذا المجال كما هو معلوم . ويصبح فى طيات الماضى ما يسمى بـ«المناطق المحرمة» بالنسبة للانتقاد والرقابة ويستمع المكتب السياسى وامانة اللجنة المركزية فى جلساتهما بانتظام الى تقارير اللجان المركزية لمنظمات الحزب فى الجمهوريات الاتحادية ولجان منظمات الحزب فى الاقاليم والمقاطعات ، ويدرسان دراسة عميقة وشاملة غير ذلك من المسائل المبدئية الخاصة بحياة الحزب والمجتمع . كما ان مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى وهيئة رئاسته اصبحا يحاسبان الوزارات والمصالح ومجالس وزراء الجمهوريات المتحدة بصرامة اكبر .

ورغم ذلك اقول صراحة ان على المكتب السياسى وامانة اللجنة المركزية والحكومة ان تفعل الكثير فى هذا الاتجاه . فاننا لا نزال نضطر للعودة الى نفس المسالة عدة مرات واتخاذ اجراءات اضافية لحلها الامر الذى تبين بوضوح على وجه التحديد اثناء مناقشة سير تنفيذ قرارات اللجنة المركزية ومجلس وزراء الاتحاد السوفيتى بتسريع تنمية صناعة الماكينات فى جلسة المكتب السياسى الاخيرة . اننا نتخذ القرارات الضرورية ولكننا لا ننفذها كما كانت الحال فى الماضى على اكمل وجه فى المواعيد المقررة . ومن اسباب ذلك ان الكثيرين لم يتخلصوا قط من عبء العادات القديمة والموقف اللامسؤول من واجباتهم . كما ان

الانضباط ضعيف . ولا يتمسك كل المسؤولين بمبدأ وحدة الاقوال والافعال . فاقوال بعضهم اكبر من افعالهم . وهذه ارضية للخلوص الى استنتاجات جدية .

ومهما كانت الرقابة «من الاعلى» هامة فان رفع مستوى ومردود الرقابة «من الاسفل» ينطوى على اهمية مبدئية فى ظروف اشاعة الديمقراطية فى المجتمع بحيث يشعر كل مدير وكل مسؤول على الدوام بمسؤوليته وتبعيته للناخبين واسر المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والحزب والشعب باسره .

والاهم هو ايجاد وتقوية كل ادوات واشكال الرقابة الفعلية التى يمارسها الشغيلة .

فما هى هذه الادوات والاشكال المقصودة ؟

انها فى المقام الاول المحاسبة . فقد حان وقت الالتزام الكامل بالقاعدة التى تقضى بان يقدم كل المسؤولين ، الذين يجرى انتخابهم وتعيينهم تقاريرهم المنتظمة لاسرة المؤسسات والسكان ومن الضرورى ان ترافق كل تقرير من هذا النوع مناقشة حية ومبدئية توجه فيها انتقادات وانتقادات ذاتية وتطرح فيها اقتراحات جدية وتنتهى الى تقدير نشاط المسؤول الذى القى التقرير .

وهذا هو التنفيذ الفعلى لتوصية لينين بان يكون عمل الهيئات المنتخبة والشخصيات المسؤولة مكشوفا للجميع ، وان تقوم بمهامها على مرأى من الجماهير . واذا توصلنا الى هذه الرقابة تختفى اسباب كثيرة ، لا شك ، لرفع الشكاوى وتقديم العرائض الى الجهات العليا وتحسم اغلبية المسائل التى تطرح فيها ، محليا وفى ظروف الديمقراطية الواسعة سيرتب الناس بقواهم الامور فى اسرة مؤسستهم ومدينتهم او قريتهم .

ان سوفيتات نواب الشعب والمنظمات النقابية وغيرها من المنظمات الاجتماعية تتمتع بامكانيات ضخمة لممارسة الرقابة . وينبغى ترسيخ المبادىء الديموقراطية لعمل دورات السوفيتات العليا والمحلية ولجانها الدائمة ونوابها واعلاء مردود حملة محاسبة السوفيتات للشخصيات المسؤولة وزيادة فعالية ممارسة النواب حق المساءلة . ويصب كل ذلك فى اتجاه النهوض بهيبة هيئات السلطة الشعبية فى اوساط الجماهير .

وينبغى فى معرض تطوير الرقابة تنظيم حملات الاختبار والتفتيش على اختلاف انواعها التى تنهال الان على المؤسسات والدوائر وتصرف الناس عن العمل وتثير عصبيتهم فى حين ان جدواها العملية تافهة عادة . وكل هذا ليس بجديد وقد قيل وكتب عنه اكثر من مرة . الا ان الامر لم يتغير حتى الان واغلب الظن انه يجب على امانة اللجنة المركزية وهيئة رئاسة مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى ان تفرضا النظام المطلوب على هذا المجال متجهتين وجهة النوعية لا الكمية .

وينبغى فى معرض تطبيع الجو الاجتماعى المضى قدما على طريق تطوير العلنية باعتبارها اداة قوية لتحسين العمل فى كل قطاعات بنائنا وشكلا فعالا للرقابة الشعبية العامة . وتاتى الخبرات المتراكمة بعد اجتماع ابريل الكامل للجنة المركزية تاكيدا جيدا لذلك .

وربما حان الوقت للبدء بوضع وثائق تشريعية تضمن العلنية . وعلى هذه الوثائق ان تضمن اكبر قدر من العلنية فى عمل المؤسسات الحكومية والمنظمات الاجتماعية وتتيح للشغيلة الفرصة الواقعية للتعبير عن ارائهم فى اى مسالة تخص الحياة الاجتماعية .

ان الانتقاد والنقد الذاتى اداة مجربة للديمقراطية الاشتراكية وهو ما لا يعارضه احد علنا كما يبدو . الا اننا نصطدم فى حياتنا اليومية بوقائع تشهد على ان ضرورة تاييد الاتجاه الانتقادى فى المجتمع لم يدركها الجميع . ويصل الامر احيانا الى ان بعض الشخصيات ينظرون الى اتفه ملاحظة كتطاول على سمعتهم ويسخرون كل الوسائل الممكنة للدفاع عن هذه السمعة . وهناك عناصر اكثر حنكة فهى تعترف بعدالة الانتقادات وحتى تشكر عليها ولكنها لا تسرع لتصفية النواقص آملا فى ان ينتهى كل شىء على ما يرام كما حدث فى الماضى .

ان هذا الموقف من الانتقادات لا يمت بصلة الى مبادئنا واخلاقنا . اما فى المرحلة الراهنة عندما نرسى اساس المداخل الجديدة فى الحياة السياسية والاجتماعية والروحية ، فان اهمية الانتقاد والنقد الذاتى تزداد الى ما لا يقاس .

ان الموقف من الانتقاد معيار هام لموقف الانسان من عملية التغيير وكل مستحدثات المجتمع .

ولا بد هنا من القول باسف اننا لا نزال نواجه حالات عدم تقبل الانتقادات وحتى ملاحقة الذين يوجهونها ومحاولات سد افواههم مباشرة . وتصل حملات الملاحقة بابعادها واشكالها فى احيان كثيرة الى درجة تضطر اللجنة المركزية معها للتدخل لتعيد الحقيقة والعدالة الى نصابهما وتساند الناس النزهاء الذين يحرصون على المصلحة العامة . وسبق ان اضطررت للفت الانظار الى هذه القضية . الا ان عملية التصحيح تجرى ببطء . طالعوا اعداد الصحف المركزية التى صدرت فى شهر يناير/ كانون الثانى وحده لتروا ان ملاحقة الناس الذين يوجهون الانتقادات ليست بظاهرة نادرة .

وبهذا الصدد يجب تاييد الجهود التى تبذلها وسائل الاعلام لتطوير روح الانتقاد والنقد الذاتى فى مجتمعنا . فالمواطنون السوفيت قدروا دورها فى النضال من اجل التغيير والتجديد حق التقدير .

ان عدد قراء الصحف والمجلات المركزية ازداد اكثر من ١٤ مليون شخص . ويجتمع ملايين الناس عند الشاشة الصغيرة عندما يقدم التلفزيون المركزى البرامج المكرسة لمواضيع الساعة الحيوية ومما يجذب الناس هو جراة وعمق طرح القضايا الملحة المتعلقة بتسريع مسيرة تنمية البلد الاقتصادية والاجتماعية وتمس مختلف جوانب حياة المجتمع . ويرى الحزب ان وسائل الاعلام ستستمر فى المعالجة العميقة والموضوعية لهذه القضايا وبروح المسؤولية الوطنية الرفيعة .

كما يمكن القول عن التغييرات الايجابية التى تطرأ على المطبوعات الجمهورية والمحلية . ولكن هذه المطبوعات لم تنخرط كلها فى عملية التغيير وهى تفتقر الى المبدلية والجراة فى طرح المسائل والموقف الانتقادى من النواقص . ولا تلجأ لجان منظمات حزبية كثيرة ، كما يجب وفى كل الاحيان الى وسائل الاعلام — اداة التغيير القوية هذه ، بل تستمر فى كبح نشاطها فى بعض الاماكن .

واذ يامل الحزب فى ان تستمر وسائل الاعلام فى انتقاد النواقص والهفوات انتقادا مبدئيا وبناء ينتظر ان تستعرض على نطاق اوسع خبرات عمل اسر المؤسسات والهيئات الحزبية والادارية والاقتصادية والمنظمات الاجتماعية والكوادر القيادية فى ظروف التغيير والتجديد .

اننا بحاجة ماسة الى الاجابة عن اسئلة ملحة كثيرة طرحتها وسوف تطرحها — كما يبدو — عملية التغيير . وعلينا ان نساعد الجميع على تغيير عقلياتهم العملى بسرعة بالشكل الذى يتفق ومتطلبات الزمن . وينبغى ان نعزز وظيفة الصحافة هذه التى قال لينين عنها انها وظيفة التنظيم يوما بعد يوم ، وعلينا ان نتعلم عمليا القيام بدور الموجه الجماعى والداعية ومنظم الجماهير .

كما يجب وضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بقضية اخرى . فعندما نقول انه يجب الا تكون فى المجتمع السوفيتى قطاعات يحظر الانتقاد فيها فان ذلك ينسحب تماما على وسائل الاعلام ايضا .

ايها الرفاق ! ان الديمقراطية الحقيقية لا توجد خارج القانون وفوق القانون . ولقد حدد المؤتمر الحزبى الـ ٢٧ الاتجاهات الرئيسية لتطوير تشريعنا وتعزيز النظام القانونى . وينبغى فى الخطة الخمسية الجارية اجراء حجم كبير من الاعمال الخاصة باعداد وسن القوانين الجديدة المتعلقة بتنمية الاقتصاد وقطاع الخدمات الاجتماعية والثقافية وتطوير الادارة الشعبية الذاتية الاشتراكية وتوسيع ضمانات حقوق وحريات المواطنين .

ان المكتب السياسى ايد اقتراحا بسن فى اقرب وقت قانون جنائى جديد . وطرحت مهمة ان يتجاوب هذا القانون مع ظروف تطور المجتمع السوفيتى الراهنة على اكمل وجه وان يحمى مصالح وحقوق المواطنين بفعالية اكبر ويعمل على تعزيز الانضباط والنظام القانونى . وعلينا ان نفكر ونتخذ اجراءات بهدف رفع دور وسمعة القضاء السوفيتى والتمسك الصارم بمبدأ استقلال القضاة وتعزيز رقابة النيابة العامة بعزم وتطوير اسلوب عمل اجهزة التحقيق .

وانتهى مؤخرا اعداد مشروع قانون يحدد كيفية رفع الدعوى الى المحكمة على تصرفات المسؤولين غير الشرعية التى تنتقص من حقوق المواطنين وسوف يطرح هذا المشروع على بساط المناقشة عما قريب . وتقرر اتخاذ خطوات اضافية بهدف تحسين عمل هيئة تحكيم الدولة وتوسيع الدعاية لما يتعلق بالقانون وحقوق المواطنين .

ومن الضرورى ونحن فى صدد اشاعة الديمقراطية فى المجتمع السوفيتى — وهذه احدى قضايانا المبدلية — ان نؤكد مجددا السمة الرئيسية للديمقراطية الاشتراكية . واقصد الجمع العضوى بين الديمقراطية والانضباط ، بين الاستقلال والمسؤولية ، بين حقوق الشخصيات المسؤولة وكل مواطن وواجباتهم .

ان الديمقراطية الاشتراكية لا تمت بصلة الى الاباحية واللامسؤولية والفوضى . فالديمقراطية الحقيقية تخدم كل انسان وتحمى حقوقه السياسية والاجتماعية وتخدم فى الوقت نفسه كل اسرة من اسر العاملين والمجتمع كله وتدافع عن مصالحها .

ومما يحدد اهمية اشاعة الديمقراطية فى كل مجالات حياة المجتمع السوفيتي فى المقام الاول اننا نربط بها تطوير روح مبادرة الشغيلة وتفتح كل طاقات النظام الاشتراكى . ونحن بحاجة اليها لنتحرك الى امام ولتترسخ الشرعية فى المجتمع وتنتصر العدالة ويتهيأ جو اخلاقى يعيش فيه الانسان بحرية ويثمر عمله .

ايها الرفاق ! اننا نعرف جيدا ان فعالية الديمقراطية الحقيقية تتوقف على مدى انطلاقها من مصالح جماهير الشعب العريضة واعتمادها عليها ومدى التاييد الذى تلاقيه فى كل فئات وشرائح المجتمع . ومن هنا تقتضى مهام مسيرة التغيير ان نعود مجددا الى بحث مواردنا وامكانياتنا للمضى قدما على طريق توسيع القاعدة الاجتماعية للديمقراطية . وواضح ان الحياة هى التى تتطلب هذا .

ويستدل من كل تجاربنا ان الحزب توجه فى كل مراحل الانعطاف حيث قام بتنفيذ اصعب واجرأ المهام ، الى الكومسومول والشباب وتحمسهم واخلاصهم لقضية الاشتراكية وعدم تهاونهم بالركود وتمسكهم بكل ما هو تقدمى . واليوم عندما يدور الحديث عن ضرورة التغييرات الديمقراطية وتوسيع مشاركة الشعب الفعلية فى تنفيذ المهام التى تستوجبها مسيرة التغيير فان المسالة المتعلقة بموقف الجيل الفتى تكتسب اهمية سياسية بالغة .

واريد ان اكرر مرة اخرى فى اجتماعنا انه يمكننا ان نفتخر بشبابنا ونقدر عملهم حق التقدير هذه هى الحقيقة والموقف السياسى الصائب .

ولكن الزمن يتطلب من كل فرد ان يبذل جهدا اكبر . وبالطبع ، وعلى الشباب الذين يهتمون بالتغيير والتجديد ان يعملوا بهمة اكبر فهم الذين سيعيشون ويعملون فى المجتمع الذى شملته مسيرة التغيير والتجديد . وعلى المنظمات الحزبية ولجانها والكومسومول ان تفتح آفاق المستقبل امام الجيل الفتى وتحمل الشباب على المشاركة عمليا بهمة فى اجراء التغييرات . ومن هذه الزاوية يجب النظر فى سير التحضير لمؤتمر الكومسومول الجديد .

علينا ان نشدد اهتمامنا ، ونحن نتعامل مع الكومسومول ، على صقل الشباب عمليا وفكريا وسياسيا واخلاقيا . وعلينا ان نتخلص بسرعة وعزم اكبر من كل ما لا يحتاج اليه التعامل مع الشباب ، وبالدرجة الاولى من نبرة الواعظ والآمر وكل هذا موجود ويجب التطرق اليه . ولا يجوز الموافقة على هذا الموقف مهما كانت دواعيه ودوافعه .. عدم الايمان بعقلانية ونضوج تطلعات الشباب الاجتماعية وتصرفاتهم ام بمجرد خطوة من قبيل الاحتياط ام الرغبة فى تخفيف اعباء الحياة على اطفالنا .

ايها الرفاق ! ان الطريق الواقعى لتكوين الفرد وبلورة موقف الشباب كمواطن هو طريق اشراكه فى كل الشؤون الاجتماعية عمليا ولا بديل له ، ولا يمكن الاستعاضة من عدم وجود الخبرة الملموسة بشىء . ولهذا من الهام بمكان تغيير الوضع الناشىء فما الذى اقصده ؟

انه فى المقام الاول المزيد من الثقة بالشباب هذه الثقة التى تجمع بين تقديم المساعدة الناصح وحرية انتقاد الاخطاء الرفاقى ، والمزيد من الاستقلال فى تنظيم اوقات العمل والدراسة والمعيشة والفراغ والمزيد من مسؤولية كل واحد عن اعماله وتصرفاته .

وهذا يفترض ايضا حق المشاركة فى ادارة شؤون المجتمع على جميع المستويات .

والاتجاه المهم فى اشاعة الديمقراطية فى الحياة الاجتماعية هو ترشيح الرفاق غير الحزبيين للمناصب القيادية . وهذه مسالة مبدئية ، لانه فى النمو السياسى والعمل للعامل والفلاح والمهندس والباحث العلمى والطبيب والمعلم وعامل مجال الخدمات الطليعيين وفى البحث الدائم عن اصحاب المواهب وسط الشعب وتعيينهم تكمن واحدة من الضمانات الوثيقة التى تكفل سلامة وتقدم المجتمع الاشتراكى .

ونضطر احيانا الى سماع وجهة النظر التالية :

ان المسألة الخاصة بتعيين غير الحزبيين قد تقادمت بالنظر لان في عضوية الحزب الشيوعي السوفيتي الان اكثر من ١٩ مليون شخص . اعتقد ان ذلك رأى خاطىء . والانطلاق منه معناه تشويه علاقات الحزب مع الجماهير ، بل ونقول صراحة ، انه انتقاص حقوق المواطنين الدستورية وبالتالي تقييد الامكانيات في مجال اختيار الكوادر . فقد كان لدينا ولا يزال عدد غير قليل من الامثلة الرائعة على نهوض الرفاق غير الحزبيين بنشاط مثمر في المناصب القيادية . فهم يترأسون المصانع والمعامل والكلخوزات والسفخوزات ومؤسسات البناء والاسر العلمية والتربوية والمصالح التقنية وينهضون بنشاط بالعمل الاجتماعي .

ان الانتقاء العلني للتعيين – سواء من بين الشيوعيين أو غير الحزبيين– سيستجيب لمهام اشاعة الديمقراطية وجذب اوسع جماهير الشغيلة الى المشاركة في الادارة .

وعلى هذا النحو تمثل المسألة المتعلقة بالعمل بشكل اوسع على ترشيح النساء للمناصب القيادية ففي المناصب الحزبية والرسمية وفي العلوم والرعاية الصحية والتعليم والثقافة والصناعات الخفيفة والتجارة والخدمات المعيشية يعمل الكثير من النساء ، ويعملن بنجاح . والبلد بحاجة اليوم لجذبهن بنشاط اكبر الى المشاركة في ادارة الاقتصاد والثقافة على صعيد البلد ككل والجمهوريات الاتحادية . وهذه الامكانيات متوفرة لدينا . ولا يتطلب الامر الا ثقتنا بالنساء ودعمهن .

ايها الرفاق ! ما من مسألة مبدئية تمكنا من حلها في الماضي او الان دون مراعاة واقع اننا نعيش في بلاد متعددة القوميات . وهيهات ان نكون بحاجة الى اثبات اهمية الاسس الاشتراكية في تطوير العلاقات القومية . فالاشتراكية بالذات هي التي وضعت حدا للاضطهاد القومي وعدم المساواة ولجميع اشكال انتقاص حقوق الناس لاسباب قومية ، وضمنت التقدم الاقتصادي والروحي لجميع الامم والشعوب وباختصار ان انجازات السياسة القومية لحزبنا لا يطالها الشك ومن حقنا ان نفتخر بها .

ولكن علينا ان نرى الصورة الواقعية وافاق تطور العلاقات القومية . فاليوم وفي الوقت الذي يتسع فيه نطاق الديمقراطية والادارة الذاتية ، وينمو بسرعة الوعي القومي لدى جميع القوميات والشعوب وتتعمق عمليات انتشار الروح الامية تكتسب اهمية خاصة التسوية العادلة والانية للمسائل الناشبة على الاساس الوحيد الممكن – في صالح ازدهار كل قومية وشعب وفي صالح مواصلة تقاربها وفي صالح المجتمع كافة .

ولايسعني بهذا الصدد الا ان اقول ان المظاهر السلبية والتشوهات التي بدأنا محاربتها ظهرت في مجال العلاقات القومية ايضا . فبين حين واخر تبرز الى الوجود مظاهر النزعة المحلية والنزعة الى الانغلاق القومي والميل الى اظهار الغطرسة القومية بل والاحداث كالتي وقعت في الاونة الاخيرة في الما-اتا .

ان احداث الما-اتا وما سبقها تتطلب تحليلا جادا وتقييما مبدئيا . ويتعين علينا ان نحلل كل ذلك بامعان . ولكن من الواضح اليوم ان ما وقع يجب ان يحمل لا شيوعيي كازاخستان فحسب بل وجميع المنظمات الحزبية ولجانها على التوجه نحو قضايا التطوير اللاحق للعلاقات القومية وتشديد التربية الامية . ومن المهم بالاخص هنا وقاية الجيل الناشىء من تأثير النزعة القومية الضيقة المفسد .

لقد علمنا لينين ان «نكون ... امميين فعلا» ومن واجبنا الا ننقطع عن هذا التعلم .

فكل خبرتنا تبين ان عدوى النزعات القومية الضيقة لا يمكن مجابهتها بنجاح الا بروح اممية مطردة وصامدة . فكل ما انجزناه انجز بالعمل المشترك فاذا كانت احدى المناطق تنتج النفط ، فالاخرى ترسل لها القمح . واولئك الذين يزرعون القطن يتلقون المكائن . ففي كل طن من القمح وفي كل غرام من الذهب وفي كل طن من القطن والفحم والنفط وفي كل ماكنة–من ابسطها وحتى اعقدها–ذرة من كدح الشعب السوفيتي كافة وكل البلد وكامل اتحادنا المتعدد القوميات .

ان جو حياتنا وعملنا المشترك والاسرة والمدرسة والجيش والثقافة والادب والفن مدعوة كلها الى تنشئة وتربية اسس المشاعر النبيلة–مشاعر الاممية والوطنية السوفيتية لدى السوفيتيين من جميع القوميات ولدى الشباب بالدرجة الاولى .

فمن الضروري ان نتمسك بصلابة وبروح متطلبات لينين واهداف المؤتمر السابع والعشرين ، بالخط الذي يهدف الى ان تكون جميع القوميات والشعوب في البلد ممثلة في الهيئات الحزبية والاجهزة الرسمية والاقتصادية بما في ذلك صعيد البلد كله ، وان تعكس تشكيلة الكوادر القيادية على اتم وجه بنيته القومية .

والحديث ، بطبيعة الحال ، لايدور حول التوزيع الروتيني للكراسي والمناصب حسب المؤشرات القومية–والا لكان معنى ذلك تشويه فكرة الروح الامية بحد ذاتها . فالصفات السياسية والعملية والمعنوية هي بالذات التي تكون في جميع الحالات معالم العامل . وينبغي الا يفوتنا ايضا الحساسية الخاصة التي تميز الجوانب القومية لهذه القضية او تلك والتقاليد الشعبية في نمط الحياة وفي نفسية وسلوك الناس . كل ذلك يجب مراعاته على ادق شكل .

وارى لزاما ، ايها الرفاق ، ان اقول ان بعض المسؤولين يقفون احيانا من معالجة المسائل المتعلقة بالعلاقات القومية موقفا على قدر غير كاف من المسؤولية .

بين الحين والاخر ينشأ سوء تفاهم في العلاقات بين المحافظات والمقاطعات المتجاورة والتابعة لجمهوريات مختلفة . ويتحول سوء التفاهم هذا احيانا الى خلاف يتطور الى مخاصمة ، اما مسؤولو الاجهزة الحزبية والسوفيتات فبدلا من استباق العواطف او اخمادها ، يتهربون من الحلول المبدئية فعلى العاملين السياسيين ان يتحركوا باقتدار في هذه الحالات لتهدئة الانفعالات غير السليمة .

كما ان الفكر النظري عندنا يتخلف كثيرا عن التطبيق في العلاقات القومية . واقصد هنا الدراسة غير الكافية تماما لمسائل السياسة القومية ، التي تتفق مع المرحلة الراهنة من تطور البلاد . فانه لمن الحقيقة ، ايها الرفاق ، ان بعض علمائنا الاجتماعيين فضلوا العمل خلال فترة طويلة من الزمن ، على وضع ابحاث ذات طابع «تمجيدي» هي اشبه بالمديح منها بالدراسات العلمية الجادة ، عوضا عن القيام بدراسات موضوعية للظواهر الواقعية في مجال العلاقات القومية وتحليل العمليات الاجتماعية – الاقتصادية والروحية الفعلية – المعقدة جدا والمتناقضة من حيث جوهرها .

ويجب الاعتراف ان الاخطاء التي ترتكب في مجال العلاقات القومية ومظاهرها بقيت في الظل لانهم لم يعتادوا التحدث عنها ، الامر الذي ادى الى اثار سلبية نضطر الان الى الاصطدام بها .

نحن في المؤتمر السابع والعشرين إكدنا رسوخ تقاليد حزبنا التي تعود بدايتها الى لينين : التحلي بدقة وتروٍ خاصين في كل ما يتعلق بتطور العلاقات القومية ، ويمس مصالح كل قومية وشعب ، ومشاعر الناس القومية والعمل انيا على معالجة المسائل الناشبة في هذا المجال .

ومن تقاليد البلشفية النضال المبدئي ضد جميع مظاهر ضيق الافق والغطرسة القوميين والنزعة القومية الضيقة والشوفينية والنزعة المحلية والصهيونية واللاسامية مهما كانت الاشكال التي تتخذها . وعلينا ان نتذكر دوما ان النزعة القومية الضيقة والاممية البروليتارية هما سياستان وعقيدتان متضادتان .

وانطلاقا من هذه المواقف سنكون حازمين ومبدئيين . ان مشاعر الناس القومية جديرة بالاحترام ولا يجوز الاستهانة بها ، ولكن لا يجوز اللعب بها ايضا . ودع اولئك الذين يودهم اللعب على الرواسب القومية الضيقة والشوفينية الا يعللوا انفسهم على هذا الصعيد بأى اوهام والا ينتظروا اى تسامح .

ان المبادىء ، هي دائما ، ايها الرفاق ، مبادىء لانه لا يمكن التضحية بها . ودون شك ان هذا الموقف هو موقف مبدئي لينيني وسوف يلقى تأييد كامل الحزب والشعب السوفيتي المتعدد القوميات .

٣ – سياسة اختيار الكوادر في ظروف التغيير

ايها الرفاق ، اعتقد اننا جميعا ندرك ان نجاح التغيير يتوقف بقدر حاسم على مدى سرعة وعمق تقبل الكوادر لضرورة التبدلات ، ومدى الروح الخلاقة والهادفة في تجسيد خط الحزب عمليا . فنحن اليوم بحاجة الى سياسة في مجال اختيار الكوادر تستجيب لمهام التغيير وضرورة تعجيل التنمية الاجتماعية – الاقتصادية . وعلينا لدى صياغة متطلباتها الاولية ان نراعي على حد سواء دروس الماضي والمهام الكبيرة الجديدة التي طرحتها الحياة اليوم .

لقد تسنى خلال سنى البناء الاشتراكي في البلاد تكوين قدرة جبارة من الكوادر الرفيعة التأهيل ، وان مستوى التعليم والثقافة الذي ينمو بشكل لايقاس لدى العمال والفلاحين والشعب كافة يوفر الظروف المواتية لرفدها وتجديدها باستمرار . فكل ما انجزناه وكل ما حققناه صنع بسواعد السوفيتيين ونتيجة لعمل كوادرنا المتفاني .

ومع ذلك ينبغي في هذا الاجتماع الكامل ، ان نتكلم ايضا عن الاخطاء في العمل في مجال الكوادر والاعوجاجات في سياسة اختيار الكوادر ، التي ارتكبت في السنوات الاخيرة وادت الى نواقص كبيرة في عمل عدد من حلقات الجهاز الحزبي والرسمي والاقتصادي ، والى ظواهر سلبية في المجتمع فالكثير من الاخطاء كان يمكن تجنبها لو اتبعت الاجهزة الحزبية على الدوام وبثبات سياسة مبدئية وفعالة في مجال الكوادر ، وضمنت فاعلية عالية في عمل جميع حلقات القيادة الحزبية والادارة الاقتصادية .

على انه لا يمكننا اليوم بالطبع ان نقتصر على الاعتراف فقط بالاخطاء التي ارتكبت . ولتجنب الوقوع في مثل هذه الاخطاء في المستقبل علينا ان نستخلص دروس الماضي .

ترى ما هي هذه الدروس ؟

اولها يتمثل في ضرورة العمل انيا على معالجة المسائل الملحة في مجال الكوادر في لجنة الحزب المركزية نفسها ومكتبها السياسي – قبل كل شىء من وجهة نظر ضمان التوارث في القيادة ورفدها بقوى جديدة .

ان الاخلال بهذه العملية الطبيعية ادى في مرحلة من المراحل الى انخفاض مقدرة المكتب السياسي والامانة بل واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وجهازها ككل وكذلك الحكومة على العمل .

وبالفعل ، ايها الرفاق ، بعد اجتماع نيسان – ابريل الكامل تم خلال فترة قصيرة تجديد الجزء الاكبر من امناء ورؤساء الاقسام في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، وتبدلت عمليا كامل تشكيلة هيئة رئاسة مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي وهذا التغيير كان اضطراريا ، لانه لم يجر خلال فترة طويلة تجديد تشكيلة اللجنة المركزية والحكومة ورفدهما بكوادر جديدة كما تطلبت ذلك الحياة . وكل ذلك في نهاية المطاف انعكس ايضا على رسم سياسة الحزب ونشاطه العملي في قيادة المجتمع .

وهذا لا يمكن بل يجب الا يتكرر .

وكي لا تنقطع عملية التجديد ولا يتم الاخلال بالتوارث يجب ان تكون اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والمكتب السياسي وامانة اللجنة المركزية والحكومة والقيادة الحزبية والحكومية العليا مفتوحة لتدفق القوى الجديدة من مختلف مجالات النشاط . هذا الطرح للمسالة يتفق تماما والفهم اللينيني للسياسة في مجال الكوادر ومصالح الحزب والشعب .

صحيح ان اللجنة المركزية للحزب نهضت وتنهض بعمل كبير . ولكن مستوى هذا العمل يجب الا ينخفض ابدا مهما كانت الظروف . بل على العكس ، يجب ان ينمو باستمرار ويستجيب للمتطلبات التي تفرضها الحياة وتطور المجتمع والوضع الدولي . ان اى تضاؤل في عمل اللجنة المركزية غير جائز .

ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي مدعوة لان تكون نموذجا لتجسيد الافكار والمبادىء والطرق اللينينية في العمل . وفي اجتماعاتنا الكاملة يجب ان تبحث المسائل الرئيسية فعلا في حياة الحزب ووضع البلاد الداخلي والدولي ، ان تبحث بجرأة وصراحة وبشعور من المسؤولية العالية وفي جو من التكاتف الفكري والمقارنة الواسعة بين وجهات النظر .

في هذا السياق اود ان اتحدث خاصة عن دور اعضاء اللجنة المركزية ، حقوقهم ومسؤوليتهم . فمن الضروري في الاجتماعات الكاملة للجنة المركزية ضمان حق كل عضو من اعضاء اللجنة المركزية بطرح المسائل والمشاركة في مناقشتها جماعيا مناقشة

خلاقة . ولا يمكن ان يكون في الحزب ، وبالاحرى في اجتماعات اللجنة المركزية بكامل اعضائها اشخاص منزهون عن النقد ، كما لا يمكن ان يكون اشخاص لاحق لهم في النقد .

وهنا علينا ان نقوم الكثير مما اعوج . تعالوا نقولها بصراحة : فعلى امتداد عدد من السنين بقي غير قليل من المشاكل الملحة التي كانت تقلق الحزب والشعب خارج جدول اعمال اجتماعات اللجنة المركزية الكاملة . والرفاق يتذكرون ان الاجتماعات الكاملة للجنة المركزية عقدت مرات عدة باقتضاب وشكلية . ولم يتمكن العديد من اعضاء اللجنة المركزية خلال كل فترة وجودهم ضمن عضويتها من المشاركة في المناقشات وحتى من طرح اقتراحاتهم هذه الاجواء في الاجتماعات الكاملة للجنة المركزية انعكست ايضا على اسلوب عمل اللجان والمنظمات الحزبية المحلية .

الدرس الثاني من تجربة الماضي ، ايها الرفاق يكمن في انه لا يجوز لنا ان نسمح بالا يعطى حقه الاعداد السياسي والنظري للكوادر وتقوية عودها ايديولوجيا وخلقيا .

والا فان هذا سينعكس ارتباكات خطيرة جدا في نشاط اللجان الحزبية كاجهزة قيادة سياسية .

وفي السنوات الاخيرة لم تؤخذ دائما في الاعتبار هذه المواصفات لدى اختيار وتوزيع وتربية الكوادر بل كانت غالبا ما ترفع الى المقام الاول معرفة الشخص لخاصية هذا الفرع او ذاك من فروع الانتاج او العلم والتقنية او التكنولوجيا ، وما يتميز به من قوة ارادة وشكيمة . كل هذا له طبعا اهميته ولكن لا يجوز مع هذا السماح بان تنصرف الاعين عن خصال في المسؤولين مثل اتساع الافق الايديولوجي والنظري والنضج السياسي والمبادىء الخلقية والقدرة على اقناع الناس وجعلهم يسيرون خلفك .

يجب ان نعترف صراحة وبصدق ان اسلوب العمل التكنوقراطي وعبر الضغوط الادارية قد اضر كثيرا بقضية الحزب وقبل كل شىء بالعمل مع الناس ، اى باهم ما في نشاط الحزب . فالعديد من المسؤولين الحزبيين ، اذ انغمسوا كليا في الهموم الادارية واخذوا على عاتقهم في عدد من الاحوال وظائف لا تعود لهم ، ضعف اهتمامهم بالقضايا السياسية وبالظواهر ذات الاهمية بالنسبة للمجتمع كله في مجال الاقتصاد والحياة الاجتماعية والروحية .

ثمة طبعا اسباب موضوعية ايضا وراء مثل هذا الاسلوب في العمل . وهي تعود الى انعدام حل عدد من مسائل ادارة الاقتصاد الوطني وعدم وجود الآلية الاقتصادية الفاعلة . في ظل هذه الاوضاع اضطر العديد من اللجان الحزبية ، اذ احس بمسؤوليته وواجبه تجاه شعبه ، الى ان يأخذ على عاتقه معالجة عدد غير قليل من المشاكل الاقتصادية . ومثل هذا الامر كان يجرى على مدى سنوات عدة فتجذر عميقا في اسلوب وطرائق العمل وادى الى شىء من التشويه في مبادىء القيادة الحزبية وفي تركيبة كوادرنا ذاتها .

ان تحقيق اجراءات كبرى لاعادة تنظيم الادارة والآلية الاقتصادية في البلد يفسح المجال واسعا امام تطوير واتقان عمل اللجان والمنظمات الحزبية وامام تعزيز النفوذ الحزبي في كافة ميادين الحياة الاجتماعية واتخاذ موقف سياسي من كافة المشاكل المطروحة .

واريد ان اؤكد ان ليس بوسع احد ان يعفي اللجان الحزبية من همومها ومسؤوليتها بشأن الوضع في الاقتصاد . فالامر يتعلق ، كما سبق وقلت بتطوير واتقان لاساليب القيادة الحزبية يلغي كليا الحلول محل الاجهزة الاقتصادية والوصاية عليها في الصغائر .

الدرس الثالث الذي علينا استخلاصه يكمن في انه تعايش في سياسة انتقاء الكوادر في السنوات الاخيرة بشكل غريب منحيان متناقضان . ماذا اقصد هنا ايها الرفاق ؟

من ناحية تبدت بقوة في سلك الكوادر ظواهر ركود . فلم يحدث احيانا على امتداد عشرات السنين ما يلزم من تغييرات في الكوادر ومن تجديد للكوادر عبر الاتيان باناس جدد الى مناصب امناء عدد من اللجان الحزبية ومسؤولين عن اجهزة السوفيتات والاجهزة الاقتصادية على المستوى المحلي او مستوى الجمهورية او على مستوى الاتحاد السوفيتي ككل .

واذ اتحدث عن هذا فاني لا اود القاء اى ظل من الشك على المئات بل الالوف العديدة من المسؤولين الرائعين وخاصة في المناطق الريفية والمدن ممن اعطوا وما زالوا قواهم ومعارفهم لخدمة الحزب والشعب بنكران ذات . وهم ينبتون بملتزم الشريف والمخلص على مدى سنوات طوال وبسمعتهم الطيبة التي استحقوها عن جدارة ، ان لهم الحق في ان يحتلوا المناصب القيادية . والحزب الشيوعي السوفيتي والشعب السوفيتي يقدران عملهم الصعب ومآثرهم الكبيرة عالى التقدير ويعطيانهم حقهم من الشكر والامتنان .

واعتقد انه لا حاجة للبرهنة على امر بات معروفا بل مستوعبا خيراستيعاب وهو ان استقرار الكوادر لازم من حيث المبدأ . ولكن لا يجوز ان نصل بهذا الامر الى حد التطرف ، الى حد اللامعقول اذا شئتم فنحن نعرف حق المعرفة الام ادى هذا واى ثمن سنضطر لدفعه الآن ايضا لقاء الاستقرار المصطنع الذى تحول في جوهر الامر الى ركود في الكادر .

من ناحية اخرى لوحظ في عمل في مجال الكوادر وخاصة على مستوى الحلقة السفلى من الاقتصاد الوطني ، منحى آخر ليس القلق منه باقل . والمقصود هنا هو كثرة التبديل وسرعة التغيير في كوادر رؤساء المصانع وورش البناء والكلخوزات والسفخوزات وغيرها من المؤسسات . وانتم تعرفون كم هو عظيم وبالغ دور منظمي الانتاج المهرة وذوى الكفاءة فقادة اسر العمل من شيوعيين ولاحزبيين هم السند الرئيس للحزب في تنفيذه سياسته الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى عواتقهم وضع قسط كبير من مختلف المهام . في هذه الحال اسأل : كيف حصل ان تغيرت كلية خلال سنوات معدودة في الكثير من الاقضية والمحافظات تركيبة رؤساء اسر العمل ؟

مثل هذا يمكن ان يحصل فقط حين يتخلى عن مركزه الامامي العمل الحي مع الكوادر والاهتمام الحق بنموها سياسيا ومهنيا وتقديم المساعدة الملموسة لها وحين تستبدل هذه بالاوامر الادارية وبالاحكام المتسرعة والمتهورة الرعناء في احيان كثيرة حول نشاط هذه الكوادر وامكانياتها . وافترض ان على اللجان الحزبية ان تعتبر هذا اللوم الجدى موجها لها بالذات وان تستخلص الاستنتاج الصحيح .

وللاسف الشديد ان ثمة لجانا حزبية وامناء ممن يعملون على تغطية الاخطاء بل الفشل في العمل من خلال التظاهر بالصرامة تجاه الكوادر ومن خلال المبدئية الكاذبة دون التفكير هنا لا بجوهر المسألة ولا بمصير الناس .

وبهذا الصدد اود ان اتحدث ايضا عن ظاهرة لا يمكن السماح بها . واقصد عدم تقبل بعض المسؤولين استقلالية مرؤوسيهم في العمل والتفكير ويحصل احيانا انه ما ان يبدأ هذا الموظف او ذاك بالاعراب عن اراء مستقلة لا تتفق وراى امين اللجنة الحزبية او مسؤول الوزارة او الدائرة او المصنع او المؤسسة او المنظمة ، حتى يعمل هؤلاء جاهدين بشتى الحجج حتى البرىء منها ظاهريا من التجني على التخلص منه . وكان هذا بزعمهم الفضل . لمن افضل ياترى ؟ للقضية ؟ ابدا ! فهذا دائما لا يعود الابالوبال على القضية .

علينا جميعا ان نتعلم ، وفي هذا المجال ايضا على لينين الذى عرف اكثر من غيره كيف يرص صفوف الناس ويجعلهم متكاتفين متضامنين في العمل ويساند ذوى المبادرة ويصغي بانتباه الى راى الرفاق الحزبيين ويعمل بصبر في حالة الضرورة على تغيير قناعاتهم . علينا ان نتعلم منه المبدئية والصرامة والانتباه .

والدرس الرابع لعملنا في مجال الكوادر هو في تشديد المسؤولية عن العمل الموكول اليها والنهوض بالانضباط وايجاد جو من الصرامة المتبادلة . كيف حدث ايها الرفاق ، ان بقى عشرات السنين في العديد من المناصب القيادية مسؤولون لم يحسنوا القيام بمهماتهم واشخاص لا يلتزمون بتادية واجباتهم وغير انضباطيين وذلك على مستوى الحى والمدينة والمحافظة والجمهورية وحتى على مستوى الاتحاد السوفيتي .

والعواقب لاتمهلها . فعلى مدى سنوات طوال راوح عددا من الفروع بما فيها ميتالورجيا المعادن الحديدية وصناعة الفحم والنقل عبر السكك الحديد وبناء الآلات للصناعة والزراعة وصناعة اللحوم والالبان وبعض الفروع الاخرى ، مسؤولون لم يؤمنوا الحلول للمهام المطروحة . الكل كما يبدو كان عارفا بذلك ووضع الامور في الفروع انتقد مرارا في دورات السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي وفي الاجتماعات الكاملة للجنة المركزية وحتى في مؤتمرات الحزب الا ان شيئا لم يتغير وبقيت الامور على حالها .

اوليس ثمة محافظات وجمهوريات ، ومدن ومناطق ريفية لم تنفذ فيها طوال سنين عديدة خطط الانتاج واهملت المسائل الاجتماعية ؟ ومع هذا لم يتحمل مسؤولوها اى تبعة لقاء فشلهم في العمل ، ولم تطلهم يد العقاب .

والشىء نفسه يمكن قوله في بعض رؤساء المصانع والمؤسسات الاقتصادية والصحية والتعليمية والعلمية والثقافية واجهزة الاعلام . فقد تخلفوا عن الركب منذ زمن بعيد ولا يحسنون القيام بمهماتهم ، ورغم ذلك فهم لا يعدمون القدرة كما يقال ، على ذر الرماد في العيون والتعامل معهم سهل . وحتى وقت غير بعيد كان هذا يعتبر كافيا للاحتفاظ بكرسى الادارى المسؤول .

ويحدث ايضا ان هذا المسؤول او ذاك جلس في منصب ليس له وكما يقال ، لم يقدر على حمل الحمل وعلته في انه حصل على منصب وعمل لا يعتبر اهلا لهما . كيف العمل في هذه الحال ؟ باعتقادى ان اخطاء كهذه ينبغي الاعتراف بها وتصحيحها ومنح الشخص عملا حسب مقدرته دون تعظيم الامور .

فنحن لا يجب علينا كما لا يمكننا ان نكون «طيبي القلوب» على حساب مصالح الحزب والمجتمع والشعب فمصالح الحزب والشعب لا تعلوها مصلحة : هذا هو قانوننا لا نحيد عنه .

فالحدب الحقيقي على الكوادر لا يجمعه جامع بالتسامح واهمال الاخطاء والتملق . هذا درس علينا ايضا ان نستوعبه بكل جد واجتهاد .

واخيرا عن درس آخر ايضا اقول ان من الحتمي ان يطرح في اجتماعنا سؤال : لماذا ياترى بقيت كل هذه المشاكل المتراكمة في العمل في مجال الكوادر ردحا من الزمن طويلا دون اهتمام او معالجة ؟ كيف قدر لهذا ان يحصل ؟ السؤال كما ترون في غاية الجدية .

والمكتب السياسي يرى ان السبب الرئيس يكمن في ضعف الركائز الديمقراطية في العمل مع الكوادر لقد سبق لى وتحدثت على الصعيد المبدئي عن الديمقراطية داخل الحزب كضمانة رئيسة لتنفيذ نهج الحزب الاستراتيجي ومهام التغيير . وقد طرحت ايضا اقتراحات في هذه المسألة الجذرية من مسائل تطوير الديمقراطية ، مسألة تشكل الهيئات المنتخبة في الحزب الشيوعي السوفيتي .

والآن يودى ان افرد مسألة رفع دور كل الهيئات المنتخبة . ينبغي الاعتراف صراحة بانها لو كانت تنشط بكل قوتها ان كان ذلك في الحزب او في الدولة وفي النقابات وغيرها من المنظمات الاجتماعية لتسنى لنا تلافي العديد من الاخطاء والهفوات الجدية في العمل مع الكوادر .

تعالوا ننظر الى الحياة ، كما يقال ، بعينين مفتوحتين : لقد حصل افراط في نمو دور الهيئات التنفيذية على حساب الهيئات المنتخبة . وتبدو الامور للوهلة الاولى وكأن كل شىء يسير على مايرام فالاجتماعات الكاملة والدورات والجلسات تجريها مختلف الاجهزة المنتخبة بصورة منتظمة . الا ان عملها غالبا ما تغلب عليه الشكلية فتطرح على بساط المناقشة مسائل اما ان تكون ثانوية في اهميتها واما ان تكون حلولها قد اقرت سلفا . ونتيجة ذلك تنعدم الرقابة اللازمة التي تفرض على نشاط الهيئات التنفيذية وكوادرها القيادية . واقول بصراحة ، ان بعض الرفاق باتوا ينظرون الى الهيئات المنتخبة نظرتهم الى حمل لا لزوم له ولا ينجم عنه سوى العناء والازعاج . هوذا اذن ما وصلنا اليه !

والنتيجة هي انخفاض دور نواب السوفيتات واعضاء الهيئات الجماعية الحزبية وغير الحزبية في تكوين اللجان التنفيذية وفي انتقاء الكادرات وفي مراقبة انشطتها . أوليس هذا بالذات ما يدل عليه طابع واسلوب العلاقات بين جهاز الملاك واعضاء الهيئات المنتخبة ؟ ففي كل ناحية وصوب تجد محاولات من العاملين في جهاز الملاك لاصدار الاوامر الى اعضاء اللجان الحزبية والمنظمات الاجتماعية الاخرى والى نواب السوفيتات . وما يحدث في الواقع ان الالية الديمقراطية لتكوين وتدبير عمل الهيئات المنتخبة قد نودى بهما واعلنت على الملأ ولكنها كثيرا ما لا تحرك عجلاتها وبالتالي فهي ليست فعالة بما فيه الكفاية . ولذا اريد ان اؤكد مجددا واننا إعود الى ماقلت بشأن تطوير الديمقراطية الاشتراكية في ظروف عملية التغيير ، آنية واهمية الاقتراحات المطروحة حول هذه المسائل ، والتي ما بعدها اهمية . يجب علينا ان نرسم وننفذ تدابير

تضمن ان يكون الدور الحاسم للهيئات الجماعية المنتخبة . ولا يسع ولا يحق لاى هيئة تنفيذية وبالاحرى جهازها الثابت ، ان تحل محل الهيئات المنتخبة وان ترتفع عليها .

يجب انشاء الممهدات السياسية والحقوقية اللازمة لتمكين الهيئات المنتخبة من اقامة الرقابة الفعالة على الجهاز التنفيذى وعلى كيفية تكوينه وعلى نشاطه ولسوف يكون هذا الكفالة الاكيدة لاستبعاد الكثير من الاخطاء فى العمل مع الكوادر .

اعتقد ان الحاضرين فى الاجتماع الآن يدركون جيدا كل مبدئية مثل هذا الطرح وضرورة حل المسالة على عجل .

ومن احد اسباب العيوب الخطيرة فى السياسة المتعلقة بالكوادر اضعاف دور اجهزة الرقابة سواء فى الحزب او فى مجال المنظمات الحكومية والاجتماعية فقد مرت دون ان تعير لها اهتماما اشارات كثيرة حول تجاوزات وانتهاكات ومخالفات فى عدد من المناطق والفروع الاقتصادية وفى اللجان الحزبية فى المحافظات والاقاليم والجمهوريات . واقتصر عمل هيئات الرقابة فى جزء كبير منه على جرد سطحى وتفتيش مالى شكلى وعلى النظر فى شتى الشكاوى والمصاعب المعيشية . هذه القضايا تتطلب طبعا هى ايضا عناية والتفاتا ، ولكن اقتصار العمل على هذه الامور دون غيرها امر لا يجوز السماح به وبالاخص الان .

لقد اعطى المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى على نشاط هيئات الرقابة وجهة جديدة . وهو لامر مهم ان تكون جميعها ، ابتداء من هيئات الاحياء وانتهاء بالهيئات المركزية ، عن حسن الظن بها لتبرر الهدف السامى الذى وجدت من اجله وتعطى المثل الصالح على المبدئية والعدل فى العمل .

فى اى حال لا يمكننا ولا يجوز لنا ايها الرفاق ان نكرر اخطاء الماضى . اجل ، وباعتقادى ان احدا لن يسمح لنا بهذا .

هى ذى الدروس الاساسية للسياسة فى مجال الكوادر ، الدروس التى يرى المكتب السياسى ضرورة عرضها على الاجتماع الكامل .

والاستنتاج الرئيس الذى يمكن استخلاصه منها هو ان لزاما علينا ان نجدد فى سياستنا فى مجال الكوادر دون تهاون وان نقوم اعوجاجاتها ونصحح اخطاءها وان نجعلها سياسة عصرية عن حق ، سياسة نشيطة وهادفة اكثر من ذى قبل لا تنفصم عراها عن اتجاهات النضال الرئيسة من اجل تسريع التنمية فى الاقتصاد والمجتمع .

واكرر ان القضية ليست فقط فى اتقان تنظيم العمل مع الكوادر بل فى صوغ سياسة فى مجال الكوادر تستجيب لمهام التغيير . بمثل هذه النظرة الواسعة الى المسالة سيكون العمل مع الكوادر فى خدمة نهج التحولات الجذرية العميقة والثورية فى جوهرها .

لقد علمنا لينين ان نقف قبل كل شىء موقفا سياسيا من العمل مع الكوادر وان ننظر اليه فى علاقته الوثيقة التى لا تنفصم بجوهر المشاكل المطروحة لمعالجتها فى المرحلة الراهنة وانتقاء الكوادر «على اساس مقاييس جديدة طبقا للمهام الجديدة» . ماذا يعنى هذا اذا طبقناه على المرحلة الحاضرة من التطور الاجتماعى ؟

يبرز اليوم كمعيار حاسم فى السياسة فى مجال الكوادر وكنوع من شوكة دوزان لهذه السياسة موقف الكوادر من التغيير ومن مهام التعجيل فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، موقفها لا الكلامى بل الفعلى . وعلينا طبعا ان ناخذ فى حسابنا ان تكون ونشاط الكوادر قد جريا طويلا لا فى ظل افضل الظروف اطلاقا . ولذلك فالتغييرات لا تجرى بسهولة . فامامنا عمل مضن وعنيد فى سبيل تغيير سلك الكوادر .

لحن حزمنا امرنا على انتهاج نهج مساندة الاشخاص المبادرين المفكرين المفعمين طاقة وحيوية ، الذين يقدرون ويريدون السير باقدام الى امام ويقوون على احراز النجاح . وعندنا الكثير من هؤلاء . وقد كشفت النقاب عنهم قرارات اجتماع ابريل الكامل للجنة المركزية والمؤتمر السابع والعشرين وفسحت المجال رحبا للنشاط الخلاق . انظروا كيف تتفتح بسطوع وقوة جديدين موهبة قادة اقتصاديين امثال فلاديمير كاباليدزه من ايفانوفو وبوريس فورمين من مصنع «الكتروسيلا» واناتولى بارشين من مصنع «كراسنى كوتلشيك» فى تغانروغ وايفان فرنتسينوك من مجمع الميتالورجيا فى ليبتسك ورليسة روشينسكايا مديرة معمل الخياطة فى نوفوتشركاسك ويورى بارانوف مدير منجم «سوتسياليستيتشسكى دنباس» فى دونتسك ونيكولاى ترافكين مدير الاتحاد الانتاجى رقم ١٨ «موسوبلستروى» والكسندر دودوك مدير المجمع الزراعى «مير» فى بيلوروسيا وميخائيل كليبيكوف رئيس فرقة العمل المعروف فى كوبان ورؤساء الكولخوزات فاسيلى غورين من محافظة بلغورود ونيكولاى ترشنكو من محافظة ستافروبول وميخائيل فالمين من محافظة غوركى ويورى بوغاكوف من محافظة نوفوسيبيرسك وغيرهم وغيرهم الكثير .

علينا ان نتعلم كيف نساند بشتى الاشكال امثال هؤلاء العاملين ونقدر الاستقلالية وروح المبادرة فيهم . ومن المهم ان نفرض فى كل منظمة حزبية فى كل اسرة عمل جوا يستحث الجميع على البحث عن حلول ناجعة وتبادل الراى بصراحة وصدق متناهيين . وينبغى بالطبع ان نتخلص بحزم من اساليب ، اذا صح القول ، مثل التعنيف والتوبيخ والتقريع ، وهى اساليب كثيرا ما يلجأ اليها حتى الآن . نحن مع التغيير ولكننا لسنا مع تعيير الكوادر ونفضها . يجب ايها الرفاق ان نحترم الناس وان نثق بهم اكثر .

لدى كلّ منا اليوم امكانية اظهار مقدرته . ومن يريد ان يعمل علينا مساعدته بالنصح وبالصرامة الرفاقية . اما من يتعلق بالماضى البالى ويبقى سادرا ازاءما يحدث من تغييرات او يقاومها فطريقه طبعا غير طريقنا ولسنا له برفاق درب .

وهكذا ، فالموقف من التغيير والفعل الملموس لتحقيق هذا التغيير هما المقياس الحاسم فى النظرة الى الكوادر . ونحن ملزمون طبعا باخذ الخصال المبدئية الاخرى ايضا فى الحسبان . واقصد منها قبل كل شىء التمسك بكل ما هو طليعى وتقدمى وعدم التسامح ازاء النواقص والروتين والتغافل والخمول .

ان التغيير يتطلب خبرة واهلية احترافية كبيرتين ولم يعد اليوم واردا الاستغناء عن الاعداد العصرى والشامل لكافة الجوانب وعن المعارف العميقة فى مسائل الانتاج والعلم والتكنولوجيا والادارة والاقتصاد وتنظيم العمل وتحفيزه وفى الامور السيكولوجية . بعامة ، علينا ان نشغل الى اقصى الحدود قدرات البلد الذهنية وزيادة مردودها الابداعى زيادة كبيرة .

وتكتسب اهمية اكبر فاكبر النظامية والانضباط فهما صفتان ضروريتان دائما وابدا واينما كان ومهمتان خاصة فى ظروف الانتاج المعاصر واستخدام احدث التكنولوجيات على نطاق واسع . ففى السنوات الاخيرة حصلنا على زيادة ملحوظة فى سرعة وتائر النمو الاقتصادى بفضل اعادة ابسط مبادىء النظام والانضباط الى حيز التطبيق والتغلب على الفوضوية والاستهتار .

الا ان آنية وملحاحية هذه المهمة باقية . فتضعضع الانضباط والاستخفاف بالمسؤولية مدا جذورهما عميقا جدا وما زالا يبرزان من حين لاخر . فانعدام المسؤولية المتاخم للاجرام والاستخفاف بالنظام هما بالذات السببان الرئيسيان فى حدوث مآس كماساة محطة تشرنوبل الكهرذرية وفى غرق باخرة «الاميرال ناخيموف» وفى حدوث عدد من كوارث الطيران والسكة الحديد التى ادت الى وقوع ضحايا بشرية .

ينبغى ان نخلق فى كل مكان جوا يستبعد كلية اى احتمال لتكرار ما حصل . والانتظام والدقة والتنفيذ الصحيح ينبغى ان تصبح قانونا لكل منا .

واخيرا هناك مطلب المطالب الا وهو الروح الخلقية العالية لدى كوادرنا والخصال الانسانية مثل الصدق والشهامة وعدم الارتشاء والتواضع والان صرنا نعرف ليس فقط من تجارب الماضى بل ومن التجربة الحالية ايضا انه بدون تمتين عافية المجتمع خلقيا لن يتسنى لنا ان نحل مهام التغيير . وليس صدفة اننا اليوم اصطدمنا هذا الاصطدام الحاد بظواهر سلبية هى بالذات فى الميدان الخلقى والمعنوى . واقصد هنا الكفاح من اجل اقتلاع السكر والاختلاسات والرشوة والتجاوزات وسوء استعمال المنصب والمحسوبية .

والمجتمع يستقبل بحساسية خاصة كل ما يرتبط بالوجه الخلقى لاعضاء الحزب وقبل كل شىء القادة واول مهماتنا ان نستعيد الوجه النقى والشريف للقائد المسؤول الشيوعى ، الوجه الذى حامت حوله ظلال اجرام عدد من المماسيخ .

بشكل عام ، سيكون علينا ايها الرفاق ، اخذا بعين الاعتبار ، مطالب الزمن ان نغير حازمين العمل مع الكوادر فى كل ميادين الاقتصاد الوطنى وفى كل مجالات الحياة الاجتماعية وعلى كل مستويات القيادة سواء فى المركز او الاطراف .

ان المكتب السياسى يرى جوهر السياسة الراهنة فى مجال الكوادر ومهمتها الرئيسية فى المقام الاول ان يحاسب الحزب نفسه وكوادره بمزيد من الصرامة وان التعمق فى تغيير المجتمع يعنى تغيير اسلوب عمل الحزب وكوادره على كل المستويات من اللجنة المركزية الى المنظمات الحزبية القاعدية . وهذا يعنى الاستيعاب الابداعى لمبادىء وقواعد الحياة الحزبية اللينينية وتجسيدها الملتزم فى كل الحلقات .

فكيف يجرى التغيير فى الحزب واى مثال تضربه لجان منظمات الحزب وقيادات الحزب ونشطاؤه ؟

ان بامكاننا القول اليوم ان لجان اغلبية منظمات الحزب وقادتها انخرطوا فى عملية التغيير بمسؤولية رفيعة ورغبة صادقة . وهناك اشياء كثيرة لم يحسنوا بعد القيام بها ولكنهم يكتسبون خبرات يوما بعد يوم ويعملون بثقة متزايدة . وهذه التغييرات تخلق مقدمات اكيدة لتسريع حركتنا .

ان مسيرة التغيير تمتحن كل الكوادر الحزبية ولكنهم يجتازون هذا الامتحان بنتائج مختلفة . فقد تكونت قطيعة مرئية بين الذين تحركوا الى امام بعزم والذين يراوحون فى اماكنهم . ويستوعب بعض القادة الحزبيين دروس مدرسة التغيير بصعوبة ، فهم لا يستطيعون حتى الان التخلى عن الوظائف الغريبة على لجان منظمات الحزب ، الوظائف التى تحول اللجان الحزبية الى نوع من هيئات الرقابة على التوافه وكذلك عن السعى الى حل المسائل نيابة عن الجميع او الامساك بكل شىء بقبضة حديدية كما يقال . وهو ما يحول ، كما فى الماضى ، دون تنمية مسؤولية الكوادر عن المهمة التى كلفوا بها وتطوير روح مبادرتهم واستقلاليتهم .

وبدلا من تشجيع نزعة التجديد يستقبل المسؤولون الحزبيون فى احيان كثيرة بالم مبادرة وتحمس الناس وينظرون اليهما كما لو كانا جائحة طبيعية . فى حين ان واجب اللجان الحزبية الاول فى ظروف التغيير ان تسير على راس تحركات الجماهير الابداعية وتساعد الناس على استئصال النواقص فى اسرع وقت وتنظيم العمل كما ينبغى .

وفى نفس الوقت يجب تحذير الرفاق من مغبة حث التطورات بشكل مصطنع واستباق الزمن . فمسيرة التغيير وتسريع حركتنا تستند الى قوانين تطور المجتمع الموضوعية . الا ان دور العامل الذاتى الشخصى فى هذه المسيرة كما فى اى حركة اجتماعية كبير بما فيه الكفاية . ويمكن ان يكون تاثير هذا العامل ايجابيا وسلبيا . ولهذا من الهام بمكان ان تكون عملية التجديد التى تمس مصائر الناس بصورة ملموسة محمية بامانة من انتكاسات مرض «الادارة الجرداء» ومعالجة القضايا بالطريقة الميكانيكية . ولا يجوز السماح بالحط من جوهر مفهوم التغيير فى اى حلقة من حلقات نظامنا الاجتماعى والانتاجى . ويجب الا تغيب عن نظرنا حالات ينضوى فيها تحت لواء التغيير من يبغى التكيف وتلبية مطامعه الشخصية ونواياه المغرضة وعندما يستعاض عن الخطوات العملية الملموسة على طريق التغيير بعبارات رنانة والفاظ مغوية ، وعلينا ان نتبرى لمواجهة هذه الحالات بلا ابطاء .

واريد ان اكرر اننا لن ننفذ مهام التغيير دون تطوير الديمقراطية ومشاركة الشغيلة الواسعة وعلى اللجان الحزبية وكل الكوادر ان يتعلموا العمل فى ظروف تطور الديمقراطية وتنامى نشاط الشعب السياسى والعمل.

لاحظنا اكثر من مرة ان عملية التغيير تكتسب قوة بوتائر حثيثة حيث تعمل لجان منظمات الحزب فى المدن والمناطق بهمة ونشاط متبعة اساليب جديدة فى العمل . وهذا مفهوم لان هذه اللجان اقرب من غيرها الى المنظمات الحزبية القاعدية واسر المؤسسات وبالتالى الى الخط الامامى من جبهة النضال من اجل تسريع تنمية البلد الاقتصادية والاجتماعية . ووقفت اغلبية هذه اللجان موقفا صائبا وبدات ممارسة سياسة الحزب التجديدية بعزم والتزام .

وفى الوقت نفسه تشهد نتائج تفقد الامور ميدانيا والمواد التى تنشرها الصحف ، والرسائل التى يبعث بها الشغيلة الى لجنة الحزب المركزية على ان العديد من لجان منظمات الحزب فى المدن ومناطقها التى لا يزال كوادرها يعيشون فى الماضى تتبع اساليب العمل القديمة وتبقى ، ان جاز التعبير على هامش مسيرة التغيير . ولا يجوز السكوت عن هذا حتى لو دار الحديث عن لجنة واحدة فقط عن

لجان منظمات الحزب فى المدن او المناطق . فى حين اننا نضطر فى حالتنا هذه الى الحديث عن ظاهرة مستشرية . وهو ما يجب ان يصبح موضع اهتمامنا ايها الرفاق . وفى حالات كثيرة يكمن سبب نشوء هذا الوضع فى لجان منظمات الحزب فى المدن والمناطق فى اسلوب وطرق العمل وموقف امناء اللجان .

وارى صائبا ان نولى اهتماما اكبر لهذه الحلقة الحزبية الهامة ونساعد لجان منظمات الحزب فى المدن والمناطق على ان تشغل باسرع ما يمكن مواقع فعالة فى مسيرة التغيير . وعندئذ ستعمل منظمات الحزب القاعدية هى الاخرى على نحو افضل وتقود اسر العاملين لتحقيق الاهداف المطروحة . ونرى كيف يتصاعد باستمرار حماس الشيوعيين وكيف تقضى منظمات الحزب على الخمول والشكلية وتجبرهما على الانسحاب من مواقعهما فى سير نشاطها تدريجيا الا ان هذا غيض من فيض ما يجب انجازه . ومنظمات الحزب القاعدية بحاجة الى مساعدة ومساندة فعالتين .

ايها الرفاق ! ان المسؤولية الضخمة عن تحقيق استراتيجية تسريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية تقع على عاتق الكوادر الاقتصادية . وتشهد البلاد تحولا من الاساليب الادارية لتسيير الشؤون الانتاجية الى اساليب اقتصادية وتدبير الامور بروح المسؤولية والابداع .

ان اسر العاملين فى المؤسسات والاتحادات الانتاجية تحصل اليوم على موارد مالية ومادية تقنية كبيرة لاغراض اعادة تجهيز الانتاج وحل المسائل الاجتماعية . وتمنح حقوق واسعة للمديرين ليقوموا بمناورة اقتصادية تكتيكية بل وليحققوا اهدافا مستقبلية فى اطار الخطة الخمسية وخارجه . وقصارى القول انه يخلق وضع اقتصادى واجتماعى وسياسى جديد يمكن فيه للكادر الاقتصادى النشيط والعليم ان يوظف مقدراته جيدا .

ترحب اغلبية الكوادر الاقتصادية بما يتخذه الحزب والحكومة من اجراءات كبرى لاصلاح نظام الادارة وتنخرط بهمة متزايدة فى تحقيق هذه الاجراءات عمليا . ونرى الان انطلاقات جيدة لتجسيد مبادرات مفيدة كثيرة . وتنتشر اوسع فاوسع تجربة عمال لينينغراد وخاركوف حيث تبدأ المؤسسات الصناعية العمل بنظام عدة ورديات . ونرى ان هذه التجربة تعطى ثمارها الاولى .

وتم حتى الان فى لينينغراد ومقاطعة لينينغراد تحويل كل المؤسسات الرئيسية عمليا الى نظام العمل بورديتين او ثلاث ورديات ، الامر الذى اتاح زيادة عدد العاملين فى الوردية الثانية حوالى خمسين الف شخص . وتستخدم هناك الان على نحو افضل الارصدة الانتاجية الاساسية ويجرى تجديدها بسرعة اكبر . وتهيات فرصة توفير ٣٥٠ الف متر مربع من مساحة المؤسسات العاملة وتقليص المساحة المطلوبة لتنفيذ المشاريع الجديدة بمقدار ١٢٠ الف متر مربع وكل ذلك ، حسب التقديرات الاولية ، سيوفر اكثر من مئة مليون روبل من التوظيفات فى البناء الاساسى التى يمكن توجيه جزء كبير منها لاقامة المساكن وغيرها من المنشآت الاجتماعية .

وهناك ابداعات كثيرة اثمرها نشاط مديرى واختصاصيى الاتحادات الانتاجية والمؤسسات التى تحولت منذ بداية العام الراهن الى العمل بمبدأ الحساب الاقتصادى المستقل والتمويل الذاتى مقتدية بمثال مصنع السيارات «فاز» ومجمع «فرونزه» لبناء الماكينات فى مدينة سومى .

وتراكمت خبرات هامة فى استيعاب مناهج واساليب تدبير الاقتصاد الجديدة لدى اسرة العاملين فى السكة الحديد البيلوروسية وغيرها من السكك الحديد فى البلاد الامر الذى ضمن تحسين مؤشرات عمل هذا الفرع ورفع انتاجية العمل فيه . وابدت اسر العاملين فى عدد من مقاطعات اوكرانيا ذكاء وهمة فى تدبير الامور الاقتصادية اذ قامت بحركة واسعة من اجل الاقتصاد بالموارد . وتجتذ بالتاييد مبادرة فرق عمال المناجم ومصانع الحديد والصلب الذين يكشفون عن الامكانيات الكامنة لتنفيذ البرامج قبل الموعد المحدد . وتضرب اسر العاملين فى سفيردلوفسك وليبيتسك وبعض المدن الاخرى مثالا جيدا على حل المشكلة السكنية وغيرها من المشاكل الاجتماعية .

وفى الريف تتسع رقعة زراعة الحبوب وجملة من المحاصيل الاخرى على اساس تطبيق التكنولوجيات الصناعية . وتتشكل فى المزارع التعاونية والحكومية جماعات تعمل بالمقاولة ومبدأ الحساب الاقتصادى المستقل وهى تزيد بسرعة من انتاج المحاصيل الزراعية وتنهض بمردود الاقتصاد .

ومع ذلك لا بد من القول صراحة ان عملية استيعاب الكوادر لاساليب تدبير الاقتصاد والمنطلقات العصرية فى العمل تجرى بصعوبة وبتضارب ولا تخلو من الظواهر المؤلمة وانتكاسات الماضى . ومن الامثلة الصارخة على ذلك عملية تطبيق نظام قبول الدولة للمنتجات الجاهزة . واذ تدرك اسر عديدة من العاملين اهمية هذا الاجراء البالغة استعدت للعمل فى الظروف الجديدة استعدادا جيدا وتؤدى مهمتها جيدا ، وان اصطدمت ببعض الصعاب . ففى هذه الاسر يتعزز الانضباط فى العمل وترتفع جودة المنتجات .

ولكن هناك من تخاذلوا امام المتطلبات الصارمة فبدلا من ان يشمروا عن سواعدهم سعيا الى تحسين النوعية اخذوا يتخوفون ويخوفون الاخرين بالمضاعفات المحتملة والنزاعات وحتى بوقف المصانع .

ايها الرفاق ! انا لست ممن يبسطون الوضع ولكن الواضح هو امر واحد : اننا نحن ، الشيوعيين وكل المواطنين السوفيت لا يمكننا ان نسلم من الان فصاعدا بان الكثير من المؤسسات تنتج خلال سنوات طوال مصنوعات تقادم عهدها ، وينتقدها ويقرعها المستهلكون وتكبح تقدم البلاد العلمى التقنى . لقد اخذنا على عاتقنا مهمة كبيرة وعلينا ان ننجزها .

ان اعتماد الاساليب الاقتصادية فى تدبير الانتاج وتوسيع حقوق الاتحادات الانتاجية والمؤسسات يخلقان وضعا جديدا للوزارات والمصالح . ولقد ناقشنا فى اجتماع اللجنة المركزية الكامل فى حزيران/يونيو ١٩٨٦ المسائل الخاصة بتغيير طرق واسلوب عمل هذه المصالح والوزارات . فما الذى تم انجازه منذ ذلك الحين وحتى الان ؟

ان عمل الوزارات والمصالح تطرأ عليه تغييرات وان جرت هذه العملية ببطء وبصورة مؤلمة . فمقرات ادارة القطاعات والفروع تشارك مباشرة فى وضع اقتراحات بتحويل المؤسسات الى ظروف تدبير الاقتصاد الجديدة . وتولى اهتماما اكبر للمسائل المرتبطة بالسياسة العلمية والتقنية وتحديث المؤسسات والانتقال الى انتاج مصنوعات تلبى متطلبات عصرنا .

لقد دعمنا بعض القطاعات والفروع ووحداتها الانتاجية بوجوه موهوبة . وشغل المناصب القيادية فى جزئها الاعظم اختصاصيون نشطاء يرغبون فى تدبير الامور بالطريقة الجديدة وتطبيق اساليب العمل العصرية . ويجب ان نسير فى هذا الاتجاه ونطور بفعالية نشاط جهاز الوزارات والمصالح رافدين اياه بكوادر كفوءة متحمسة .

وفى الوقت نفسه لا نزال نصطدم بان العاملين فى الوزارات والمصالح ما زالوا يجيزون فى تنفيذ قرارات الحزب والحكومة المماطلة واللامسؤولية ، ويخيل وكانهم فى اسار التوجيهات والتعليمات القديمة ويعملون بدافع التصور الذاتى ولا يريدون التنازل عن حقوقهم .

ايها الرفاق ! لقد لفتنا نظر الرؤساء والعاملين فى جهاز الوزارات والمصالح اكثر من مرة الى ضرورة تغيير اسلوب عملهم تغييرا جذريا ، وبالتالى لعطى الفرصة للجميع للانخراط فى المسيرة واستيعاب الاساليب الجديدة فى العمل . ولكن لا يجوز الا تحرك الوزارة او العاملون فيها ساكنا وبالاحرى ان يعرقلوا مسيرة التغيير . ومن الضرورى تحذيرهم من على منصة اجتماعنا لان الحديث يدور عن مصالح الدولة والشعب ومسائل السياسة الكبرى . ولابد ان نتذكر هنا ما قاله لينين فى حينه : «جهاز لتنفيذ السياسة .... ، وليس سياسة ترضى الجهاز» .

ان تغيير النشاط الاقتصادى الخارجى ومنح الحق فى دخول السوق الخارجية المباشر للكثير من الوزارات والاتحادات الانتاجية ، وكذلك منح الحق فى اقامة صلات تعاونية مباشرة بالشركاء فى البلدان الاشتراكية لكافة المؤسسات ... كل هذا يخلق ظروفا جديدة لعمل الكوادر . وهذا بالذات ما سعت اليه الوزارات المسؤولة عن الفروع الصناعية منذ وقت بعيد .

ولكن ، علينا ان نفهم جيدا ان النجاح فى الساحة الاقتصادية الخارجية لا يمكن تحقيقه الا بشرط الاستفادة الفعالة من انجازات العلوم والتقنية واعداد الكوادر اعدادا مناسبا واستيعاب الاسواق الجديدة الخ . والمقدمة الرئيسية لتحقيق الامكانيات المتاحة هى النهوض بجودة المصنوعات الى المستوى العالمى.

واحتاج الامر بعد اتخاذ القرارات المناسبة الى هدر قدر كبير من الوقت والقوة لحل مختلف المسائل التنظيمية وتدقيق الحقوق والواجبات والعلاقات بين مؤسسات التجارة الخارجية واجهزة ادارة الفروع الصناعية . ولكن فترة التنظيم قد انتهت . وينبغى الان توظيف الجهود فى ميدان الافعال والقيام بهمة اكبر باقامة صلات اقتصادية خارجية مع كل الشركاء الاجانب وبالدرجة الاولى فى البلدان الاشتراكية .

سبق ان قلت ان نجاح استراتيجية التسريع يتوقف فى المقام الاول على كيفية قيامنا بحل مسائل التقدم العلمى التقنى ومدى اقتدارنا على ربط مزايا الاشتراكية بانجازات الثورة العلمية التقنية .

ان الانجازات الواقعية فى هذا الميدان رهن بمستوى المعارف العلمية ، وتقديم الافكار الاصيلة القادرة على التجسد فى ماكينات وتكنولوجيات جديدة بصفة مبدئية تمكن من التقدم فى الاتجاهات العلمية والتقنية الرئيسية . هذه هى المهمة الاستراتيجية التى وضعتها مسيرة التغيير امام العلماء .

ولتحقيق هذه المهمة كل شىء له اهمية من قبول الطلاب فى المعاهد ونوعية اعداد الاختصاصيين الى رفد اكاديمية العلوم بعلماء موهوبين ومن نشاط الجمعيات العلمية الطلابية الى برامج الابحاث فى المعاهد الاكاديمية والفرعية الرئيسية ومن جو الابداع فى اسر العلماء الى اكثر اشكال تنظيم البحث العلمى وحفزه فعالية .

ويرتدى التكامل بين العلم والانتاج الان اهمية خاصة . ويخصص دور هام فى هذا المجال للمجمعات العلمية الفنية المشتركة بين الفروع . وتم حتى الان انشاء اكثر من ٢٠ مجمعا مماثلا . ونعلق على نشاط هذه المجمعات امالا كبيرة فى تسريع عمليات ولادة الافكار الجديدة وخاصة فى تطبيق الانجازات العلمية التقنية . ولهاذا يجب ايلاء اهتمام اكبر لعمل هذه المجمعات العلمية الفنية . وعلى هيئة رئاسة اكاديمية علوم الاتحاد السوفيتى والوزارات والمصالح المعنية ان تزود هذه المجمعات بكل المستلزمات وتقدم لها المساعدة الضرورية وتعينها بشتى الوسائل على النشاط المثمر .

وهناك مسائل هامة تحتفظ بحدتها ولا تزال معلقة من نواح كثيرة مثل التنسيق الدقيق بين جهود باحثى المعاهد العلمية الاكاديمية ومعاهد التعليم والمعاهد العلمية التابعة للفروع الصناعية ، وتكامل جهود ممثلى العلوم الطبيعية والفنية والاجتماعية وشمولية الابحاث ، وعمق معالجة القضايا العلمية الاساسية ، ورفع مردود الدراسات المحددة .

واذ اتوجه باسم اجتماعنا الى علمائنا وكل العاملين فى حقل العلوم ، أريد ان اقول ان على العلم ليصبح عاملا نشيطا فى مسيرة التغيير ، ان يتغير فى جوانب كثيرة . ان الحياة تحثنا . فالذى لا يتقدم فى مجال الافكار العلمية يخاطر بان يتخلف فى كل شىء . هذا ما يمليه عصرنا ، عصر التغييرات الاكثر عمقا فى مجال العلوم والتقنية والتى لم تعرفها البشرية حتى الان .

وذلك يجبر اللجان الحزبية والوزارات والمصالح والاجهزة الاقتصادية على ان توجه انظارها لاحتياجات العلم الذى يجب ان يلقى تاييدا عمليا على الدوام ونعرف ان لدى هيئة رئاسة اكاديمية علوم الاتحاد السوفيتى ورئيسها الاكاديمى مارشوك افكار واقتراحات هامة فى هذا الصدد . ويمكننى تاكيد انها ستجد تاييد اللجنة المركزية والحكومة .

ان آفاق التقدم الاقتصادى الاجتماعى والعلمى التقنى والروحى يرسيها فى جزئها الاعظم نظام التعليم

ومستواه النوعى . لقد بدانا باصلاح نظام التعليم الثانوى العام والمهنى . ولعلكم تعرفون ان طريق هذا الاصلاح وعر . ولذا يجب ايلاء الاهتمام بدأب لعملية الاصلاح هذه بكل الخطوط من تدعيم القاعدة المادية التقنية للمدارس الى مضمون عملية التعليم والتربية واشكالها ومناهجها . كما اتخذت قرارات بتغيير نظام التعليم العالى والمتوسط ورفع رواتب العاملين فى مؤسسات التعليم العالى ، وكذلك المنح الدراسية لطلابهـــا ومن يتلقى العلم فى اقســـام الدراسات العليا .

كل ذلك سيشكل المقدمات المناسبة لتطور العلم والانتاج بوتائر حثيثة ولتنفيذ قرارات مؤتمر الحزب فنحن ملزمون بتجسيدها عمليا وبضمان احراز نتائج نهائية عالية بصورة اسرع .

وعلى اساس جديد ستبنى منظومة رفع تاهيـــل الاختصاصيين وزيادة مهارتهم . ففى ظروف الانتاج المعاصر من الضرورى دوما وبصورة مستمرة اثراء المعارف وتنمية المهارات واغناءالخبرات لدى جميع العاملين . والمؤتمـــر السابع والعشرون للحـــزب الشيوعى السوفيتى قد طرح مسالة انشاء نظام الدولة لرفع التاهيل المستمر كمهمـــة من اهم المهمات التى علينا انجازهـــا . بهذا الاسلوب وحده يمكن الحفاظ على كفاءة وصلاحيات الكوادر طبقا لمستوى المتطلبات المعاصرة خاصـــة فى مجالات التقنيـــة والتكنولوجيـــا الجديدة والحديثة . وليست هناك ضرورة لاثبات مدى اهمية التعجيل فى انجاز اعداد الاقتراحات الخاصة بهذه المسالة .

واخيرا ساتحدث باقتضاب عن مهـــام الكوادر العاملة فى هيئات التخطيط والمالية وغيرهـــا من هيئات بلدنا الاقتصادية . فالان عليها تغيير نشاطاتها جذريا طبقا لمهام الاصلاح الاقتصادى .

لقد تقدمت الهيئات الاقتصادية فى بلدنا باقتراحات عديدة خاصة بتغيير اساليب الادارة والجهـــاز الاقتصادى . وبصريح العبـــارة ، ان كوادر هذه الهيئات تتحول ببطء لترتفع الى مستوى متطلبـات التغيير ، ويمكن القول انهـــا تتخلف عن التحولات الاقتصادية فى مجال الانتاج . هذا مع ان كل مـــا يجرى فى هذا المجال يتطلب ادخال تعديلات كثيرة على وظائف الهيئات الاقتصادية العامة ووظائف فروعها المحلية .

ان التوجيهات السياسية التى صاغها المؤتمـــر السابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى يجب ان تكون بمثابة منارة فى نشاطاتهـــا . وتطبيق الاصلاح الاقتصادى فى بلادنا يهدف سواء بسواء الى التوسيع الكبير لاستقلاليـــة الحلقات الاقتصاديـــة القاعدية والى مواصلـــة تعزيز مبدا المركزية فى الادارة ، وفى ان واحد اعفاء المركز من الوصايـــة والتدخل فى كـــل كبيرة وصغيرة بشئون الفروع والاتحادات والمؤسسات . ويجب على الكوادر كافة وخاصة مديرى ورؤساء الهيئات الاقتصادية العمل الآن على هذا النحو بالذات والتخلى عن اساليب العمل القديمة .

وسأتناول مسالة اخرى ترتبط مباشرة بنشاطات الكوادر العاملة فى مجال الاقتصاد وتدبير الشئون الاقتصادية . ولقد اولت الخطة الخمسية الثانية عشرة اهتماما خاصا لتطوير المجال الاجتماعى . وهذا قد املاه وضع الامور هنا . ويجب علينـــا التغلب فى اسرع وقت على الفارق الموجود بين مستويى تطور المجالين الانتاجى والاجتماعى .

لقد ادخل مؤتمـــر الحزب تعديلات جديـــة فى توجيهاته السياسية الخاصة بهذه المسائل حين خرج باستنتاج بان الاهتمام غير الكافى بالمجال الاجتماعى سبب من اسباب التخلف فى مجال التقدم العلمـــى التقنى وتباطؤ وتائر نمو فعالية الانتاج ، وقد عرقل ايضا استثمار القدرة المتوفرة .

وواقع عدم مساءلـــة العاملين فى حقل التدبير الاقتصادى مساءلة حقة على مدى سنوات عديدة عن حل المسائل الاجتماعية قد ترك بصمات خطيرة على منطلقاتهم نحو العمل . ويجب اصلاح الوضع القائم وباصرار . وبدون الموقف الحـــازم للجان الحزب والخطوات العملية المتتابعة من قبل الحكومة سيكون من الصعب انجاز ذلك .

وها هو احدث الامثلة . فى اواخر العام الماضى دخلت حيز العمل المرحلة الاولى من مجمع استراخان للغاز . وهنـــا تم استيعاب ٥ر١ مليار روبل من توظيفات رؤوس الاموال وتعمل اسرة من العمـــال والاختصاصيين قوامها ٨ آلاف فرد ولكن مجموع كل من حصل على مساكن دائمة لايزيد على ٣ آلاف فرد وان التاخير فى بنـــاء المساكن والمستوصفـــات والمطاعم وغيرهـــا من المنشآت ذات الاغراض الاجتماعية الثقافية قد شملته الخطط منذ البدايـــة وهذه هى النتيجة المحزنة التى افضى اليها المنطلق الخاطىء غير السليم نحو الشئون الاجتماعيـــة على مستوى هيئـــات التخطيط . يجب اصلاح الوضـــع بسرعة .

ان الكوادر القيادية كافة من القاعدة وحتى القمة تتحمل المسئولية عـــن تطبيق سياســـة الحزب الاجتماعية النشيطة . والحياة نفسها تتطلـــب ان توضع اهتمامات الانسان فـــى مقدمة نشاطات الكوادر القيادية ، اما المهارة فى حل المسائـــل الاجتماعية فقد غدت مـــن اهم مؤشرات نضوجها السياسى والعملى .

ايها الرفاق ! ان الدور الـــذى تقوم به هيئات السوفيتات والنقابات ومنظمات الكمسمول وغيرها من المنظمات الاجتماعية والكوادر العاملة فيها دور كبير . اذ تواجهها بكل حجمها مهمة التغيير فى كـــل مجالات نشاطاتها . وفى الحقيقة بدا هذا التغيير .

ففى اى اتجاه يجب مواصلته ؟ يعتبر هذا مسالة ذات ابعاد سياسية ضخمة لان الحديث يدور عـــن مؤسسات بالغة الاهمية فـــى منظومتنا السياسية ففى مسيرة التغيير يجـــب ان تؤخذ فى الاعتبار الحالة الراهنة واتجاه التنمية الذى يشهده المجتمع السوفيتى عمومـــا والمنظومـــة السياسيـــة والديموقراطية الاشتراكية والجهاز الاقتصادى .

واود مرة اخرى تاكيد الفكـــرة التالية : الخط الرامى الى اشاعة الديموقراطية وتشكيل جهاز جديد للادارة والتدابير الاقتصادية يتيح امكانية التوصل الى المزج السليم بين قيـــادة الحزب السياسية والدور النشيط لهيئات الدولة والنقابات وغيرهـــا من المنظمات الاجتماعية .

ولقد اتخذنا قرارات اساسية خاصة بتطويـــر نشاطات السوفيتات فى الظروف الراهنـــة . وهذه القرارات تتيح لها امكانية الكشف عن نفسهـــا كهيئات للسلطة اصيلة فى اراضيها . وتشهـــد نشاطات السوفيتات الان تغييرات ، ولكنها مازالت غير مرضية . فكلنـــا نهتم بان تمارس السوفيتات فى اسرع الوقت مهامها بنشاط وفعالية طبقا لروح العصر .

واللجان الحزبية لابد وان تتخذ بصلابة خطـــا يفضى الى مضاعفـــة دور السوفيتات وعدم السماح بالتدخل الذى لامبرر له فى شئونها ناهيك عـــن القيام بوظائفها . وما لا يقل اهمية بهذا الصدد هو ان يعمل رؤســـاء السوفيتـــات وهيئات السوفيتات باقصى قوة وان يتخلصوا من نزعة استمرارية العمل بالاساليب القديمة ومن عادة الالتفات طوال الوقت الى ما يقوله الآخرون وانتظار التعليمات ممن اعـــلى منها . ويجب تعزيز الاسس الديموقراطية فـــى نشاطات السوفيتات وهيئاتها التنفيذية .

لقد ذكرنا فى المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ان ثمـــة مسائل عديدة تمس مصالح الكادحين الجذرية تعد من شان السوفيتات وحدها . والحديث يدور عن قضايا السياســـة الاجتماعية وتحسين الخدمات التـــى تقدم للسكان الا ان السوفيتات لم تستثمر بوجه اكمل حقوقهـــا الجديدة ولم تقـــدم بعد على مساءلة المعنييـــن بالتدابير الاقتصادية كما يجب . وهنا ايضا يكمن احد اسباب عدم انجاز خطط العام الماضى من حيث مؤشرات عديدة فى البناء الاجتماعى الثقافى .

ولنتطرق الى المرافق العامـــة . فبالكثرة العتاب واللوم الذى يتردد اليوم ويمس عملها خاصة فـــى ظروف الصقيع ! مع ان هـــذا عمل السوفيتات المباشر ومركز نشاطاتها . ويجب عليها ان تغيـــر وبصورة جذرية عملها فى مجـــال تحسين التجارة وتقديم الخدمات للسكان وتنظيم راحة الشغيلـــة وانتاج سلع الاستهلاك الشعبى وان تستثمر بصورة اوسع الامكانيات والاحتياطيات من اجل مضاعفـــة الموارد فى المواد الغذائية .

اننا نخطط لاتخاذ اجراءات ضخمـــة فى مجال الرعاية الصحية والتعليم العام . وتتعلق هـــذه الاجراءات بصورة مباشرة بنشاطات السوفيتات على مختلف مستوياتها . وكمـــا ترون ، تزداد المهام باستمرار ولذا على السوفيتات العمل بفعالية وحزم اكبر . هذا من حقنا ان نطالب به الكوادر العاملة فى السوفيتات او فـــى هيئاتهـــا . وهذا ايضا ماينتظره منها المواطنون السوفيت .

ان التغيير بجميع نواحيه يمس النقابات . فمع التوسع فى الاستقلاليـــة الاقتصادية للمؤسسات والاتحادات ستزداد كثيرا حقوق النقابات . وفـــى نفس الوقت ستتضاعف ايضا المسئولية نتيجة نمو صلاحيات فرق العمل وتطوير الادارة الذاتية وبديهى ان احدا لم ينزع عن النقابات واجباتها فى حل مهام السياسة الاجتماعية وحماية مصالح الكادحين .

قصارى القـــول ازدادت كثيـــرا المتطلبات المطروحة امام كوادر الهيئات النقابية . فيجب ان تقدم المساعدة لها فى اتخاذ موقع نشيط فى عملية التغيير وخلق الظروف المناسبة للمشاركة بشكـــل اوسع فى اتخـــاذ القرارات الادارية على كافـــة المستويات .

والان حين اوشكـــت الحملة الانتخابية فـــى المنظمات النقابية على الانتهاء ويقترب موعد انعقاد المؤتمر الدورى لاتحادات النقابات فـــى الاتحاد السوفيتى من الهام ان تكون كل مجموعة القضايـــا الحيوية هذه المتعلقة بعملية التغيير فى مركـــز اهتمام مندوبى المؤتمر . ان الحلقة الرئيسيـــة لعملية التغيير تتجسد فى اسر العمل . ففـــى هذه الاسر بالذات يجـــب ان تظهر النقابات طاقاتها ومواهبها وان تقيم بصورة جديدة امكانياتها وحقوقها وبذلك تضاعف اسهامها فى قضية الشعب العامة الا وهى تعجيل التنمية الاقتصادية الاجتماعية .

والحزب ، اذ ينشر النضال من اجل تصحيـــح المجتمع ، انطلق منذ البداية وينطلق مـــن ضرورة وضع العقيدة الراسخة كاساس لهذا العمل الضخم فتشكيل وعى ملايين الكادحين طبقا لروح التغييـــر هو اتجاه من الاتجاهات الرئيسية فـــى النشاطات الايديولوجية .

لقد استطعنا لدرجـــة معينة تقريب العمـــل الايديولوجى من الحياة والعمليات الجارية اليوم فى مجتمعنا . والفضل فـــى ان افكار التجديد اخذت تحظى باهتمام الجماهير الحقيقى يعود لدرجة كبيرة للمنظمات الحزبية ولكوادر الدعاة . ولكن ، يجـــب على الجبهة الايديولوجية توسيع نشر العمل وزيادة ابعاده فى مختلف الاتجاهات بما فيها خط التثقيـــف السياسى والاقتصادى والقاء المحاضرات والدعاية على صعيد السياسة الخارجية وفى مجال التربية العلمانية وغيرها من المجالات .

واللجنة المركزية توجه المنظمات الحزبيـــة الى اشراك نشطـــاء الحزب والشيوعيين كافة فـــى النشاطات الايديولوجية . الا ان هـــذا لايلغى ابدا مهام الاقسام الايدوولوجيـــة بكوادر عالية المهارة والتاهيل تشعر لاقصى حـــد بنبض الزمن وتدرك عميقا جوهر المهام المطروحة وقادرة على الدعايـــة لسياسة الحزب دعايـــة نشيطة على اقناع الناس وتنظيمهم .

ان الظروف المعاصرة تتطلـــب وبالحاح اغناء الجهاز الايديولوجى للحزب باناس واسعى المعارف فى علوم الاقتصاد والقضاء والفلسفـــة والاجتماع والادب والفنون مقتنعين فـــى اعماقهم بالضرورة الحيوية للقرارات التى اتخذها المؤتمر السابـــع والعشرون وبنهج التغيير .

ايها الرفاق ! تنبع مـــن ضرورة تعزيز الشرعية الاشتراكية والنظام القانونى فى البلد مهام ماثلـــة امام الكوادر العاملة فى القضاء والنيابة والشرطـــة وغيرها من الهيئات السوفيتية الساهرة على حمايـــة القانون .

واللجنة المركزية ، اذ تـــولى اهمية ضخمة لهذه المسائل الحساسة بالنسبة للمجتمع ، اتخذت منـــذ فترة قصيرة قرارا خاصا حول «مواصلة تعزيـــز الشرعية الاشتراكية والنظام القانونى وزيادة حماية حقوق المواطنيـــن ومصالحهم المشروعة» . والقرار يضع امام الهيئات الساهرة عـــلى حماية القانون والكوادر العاملة فيها مهام اكثر صعوبة واهميـــة واللجان الحزبية وهيئات السوفيتات ملزمة بالعمل بشتى الطرق من اجل تقوية نفوذ ومبدئية العاملين فى القضاء والنيابـــة والعدل والشرطة والتحكيـــم والتوثيق ، ومساندة المشاركين الطوعيين فى حماية النظام العام والعمل من اجل نشر المعارف القانونية .

وموقف الحزب هذا يلزم اولئك الساهرين عـــلى حماية القانون بالكثيـــر . فرسائل الكادحيـــن والمعلومات الواردة من مختلف الاماكن تدل عـــلى وجود انتهاكات للقانون غير قليلة فى نفس الهيئات الساهرة على حماية القانـــون . ففى بعض الحالات «يطلقون» ، كما يقال ، النار من المدافع عـــلى «العصافير» فى حين يتركون الجرائـــم الضخمة التى تضر بمصالح المجتمع والمواطنين دون كشف .

اننا نطرح امام كوادر الهيئات الساهرة على حماية القانون مهمة تنفيذ التوجيه الذى نص عليـــه القرار بثبات وان تتعلم وبمثابرة العمل فى ظروف اشاعة الديموقراطية والعلانية ، اعتمادا على ثقة الشعـــب وتاييده .

وبايجاز عن كوادر السلك الدبلوماسى . يجرى فى الوقت الراهن تغيير عمل وزارة الخارجيـــة واعادة تنظيم بنية جهازها المركزى ودوائرها فـــى الخارج . كما يجرى تجديد ملاكهـــا القيادى . وهذا الخط يجب ان يطبق بثبات متواصل عن طريق رفع فاعلية نشاط الاجهزة الدبلوماسية بحيـــث يكون مسايرا للنشاط الدولى الفعال الذى يمارسه الحزب الشيوعى السوفيتى والدولة السوفيتية .

وتقف فى حراسة مصالح الوطن بعين يقظـــة اجهزة امن الدولة التى تمتلك كوادر مؤهلة مهنيـــا ومتولدة فكريا ومخلصة للحزب والشعب . نحـــن لعلى ثقة من ان رجـــال المخابرات السوفيت سوف يواصلون فى المستقبل ايضا اكتشاف المكائـــد المعادية لبلدنا وقطع دابرها فى الوقت اللازم .

واخيرا ، بصـــدد مهام الكوادر العسكرية . ان جهود الحزب لا يصيبها الوهـــن حتى لدقيقة واحدة فيما يتعلق بالمضى قدما فى اعلاء قدرة بلدنـــا الدفاعية . وينيط الحزب بالكوادر العسكرية دورا خاصا فى اداء هذا الواجب المهم مصيريا . وهذا ما يقيض مسؤوليتها العظيمة امام الشعب . ان القوات المسلحة السوفيتية تعيش هـــى الاخرى عملية التغيير وهى تؤمن بشكل يعول عليه مجهود الشعب السلمى وامن البلد ، وتؤدى باباء واجبها الامنى .

ان اللجنة المركزية تعقد الامل الوطيد على كوادر الجيش وعلى سلك الضباط السوفيتى فى اداء مهام تعزيز القدرة الدفاعية للدولة ، وانا واثق من ان الشيوعيين وكـــل كوادر الجيش والاسطول سوف يؤدون واجباتهم فـــى الظروف الدوليـــة المعقدة الراهنة بمنتهى الشعور بالمسؤوليـــة ، وسيقومون باعلاء وانماء المهارة والتاهـــب القتالى لكل اصناف ومراتب القوات . ان الشعب السوفيتى وحزبنـــا الشيوعى يعولان عـــلى قواتهما المسلحة ، وهما يفعلان كل ما فى وسعهما من اجل تعزيزها ، ولـــذا فمن حقهما ان يعقدا الامل عـــلى ان القوى العدوانية ايا كانت ، لن يتسنى لها ان تاخذنا على حين غرة .

ايها الرفاق ، فى الختام اود التوقف قليلا عنـــد المهمات التى يتوجب علينا تنفيذها فى العام الجديد ١٩٨٧ . ان هذا العام له دلالته الخاصة بالنسبة لنا فهو عام العيـــد السبعين لاكتوبر . فالمواطنون السوفيت يستقبلون هذا اليوبيل فى جو عمليـــة التغيير العميق لكل قطاعات المجتمع . ويرى المكتب السياسى ان من الصواب ان يوجه فـــى هذا العام نداء الى اعضاء الحزب كافة والى جميع شغيلة الاتحاد السوفيتى .

ان اللجنة المركزية تهيب بالشيوعيين وسائـــر المواطنين السوفيت ان يعمقوا من وعيهم وشعورهم بالمسؤولية عما ينبغى انجازه ، وعن مصير البلد وعن وجه الاشتراكية المقبل . لقد حققنا الكثيـــر خلال عقود البناء الاشتراكى ، بيد ان الزمن يضـــع امامنا متطلبات جديدة رفيعة الشان . ففى الظروف المتغيرة يختبر المجتمع السوفيتى مجددا من حيث ديناميته وقدرته على ارتقاء سلم التقدم بسرعة .

ويختبر اقتصادنا من حيث علو فاعليتـــه وتقبله للتكنولوجيات المتقدمة ، ومن حيث اقتداره عـــلى اعطاء منتوج من الدرجة الممتازة وعلى منازلـــة منافسيه فى الاسواق العالمية . وتختبر قيمنـــا الاخلاقية ومجمـــل نمط الحياة السوفيتى من حيث القدرة على التطوير والاغناء المطرد لقيم الديمقراطية الاشتراكية والعدالة الاجتماعية والانسانية . كمـــا تختبر سياستنا الخارجية من حيث صلابتها وثباتها فى صيانة السلام ، ومن حيث مرونتها وجلدها فى ظروف سباق التسلـــح المحموم الذى تؤججـــه الامبريالية والتوتر الدولى الذى تعمل على تسخينه .

ان العمل الذى نقوم به اليوم يعتبر من حيـــث جوهره الثورى العميق ، مـــن حيث طموح الخطط البلشفى والتوجـــه الاجتماعى الانسانى ، امتدادا مباشرا للانجازات العظيمة التى شرع فى اجتراحهـــا حزبنا اللينينى فى ايام اكتوبر ١٩١٧ .

ان العالم باسره يتطلـــع اليوم الى الشعـــب السوفيتى : هل سنقتدر ، هل سنصمد ، هل سنرد ردا مشرفا على التحدى الذى توجهـــه الاشتراكية ؟ علينا ان نرد هذا الرد المشرف باعمالنا ، الدؤوبة المثابرة ، ولا يحق لنا ارجاؤه .

انتم تدركون جيدا ، ايها الرفـــاق ، اننا نفرد للعام ١٩٨٧ دورا عظيم الاهمية فى تطبيق نهـــج الحزب الاستراتيجى فى التسريـــع . لكيف سنؤدى هذا العمل – ذلكم ما سيرتهن به نجاح الخطـــة الخمسية باسرها ، نجاح مبادراتنا البالغة الاهميـــة ونجاح تنفيذ الخطط المستقبلية . لذا يترتـــب هذا القدر من الاهمية على تركيز الانتباه منذ الايـــام الاولى على الشـــؤون المحددة المعالم وعلى تطبيق القرارات المرسومة . المطلوب عموما هو ان تؤدى اللجان والمنظمات الحزبيـــة وسائر فرق العاملين عملا يوميا دؤوبا ، لكنه بالغ الاهمية ، فيما يتعلق بتنفيذ قرارات المؤتمر .

والمطلوب منا هو ليس فقط توطيـــد وتطوير ما تم انجازه فى السنة الاولى من الخطة الخمسية فـــى جميع فروع الاقتصاد وفى جميع ميادين الحياة ، بل ومواصلة السيـــر قدما ، واشراك عوامل النمـــو الطويلة الاجل على نطاق اوسع فى العمل . ولابـــد من احداث تطورات ايجابية ملحوظة على جميـــع هذه المحاور واضفاء طابع الديمومة والاستمرار عليها .

ونحن اذ نوجه الكوادر نحو حل المسائل الجارية والتنفيذ الاكيد لمهمات الخطة الخمسية الثانية عشرة انما يتوجب علينا ، كمـــا علمنا لينين ، الا نفقد الافق ، ان نحدد وندقـــق بالملموس سبل التقدم الاقتصادى والاجتماعى . ذلك اننا سنباشر فـــى اقرب وقت باعداد الخطة الخمسيـــة الثالثة عشرة استنادا الى نظام الادارة الجديد الذى يتيـــح الافادة على الوجـــه الاوفى مـــن امكانيات الاشتراكيـــة ومزاياها .

ومراعاة لكون الاصلاح الجذرى الجارى على نطاق واسع لادارة الاقتصاد يطال المسائل الجذريـــة المتعلقة باداء نظام الاقتصاد الاشتراكي بوظائفـــه والكثير من نواحـــى الحياة السياسية والاجتماعية واسلوب وطرائق العمل ، فمـــن الحرى بنا ان نتدارس كامل مجموعة هذه المسائل فـــى اجتماع اللجنة المركزية الدورى الكامل .

وفى ظروف هذه المهمات المتنامية نتوجه الى كوادرنا طالبين منها التحلى بروح التنظيم والدقـــة فى العمل ، والقدرة عـــلى تعبئة اقصى ما يمكن من الامكانيات والطاقات الابداعية المتوفرة لـــدى فرق العاملين . فعلينا جميعا ان نتعلم ، ان نتمكن مـــن التجاوب السريع بروح عملية مع ما يبرز مـــن المشاكل والصعاب التى يمكن ، بالطبع ، ان تنشا ذلك ان المهام الجارى حلها جديدة وليست هينـــة وعلينا جميعا ، فى جوهر الامر ، ان نجتـــاز امتحانا سياسيا فى النضوج فيما يتعلق بامتلاك ناصيـــة الاساليب الجديدة للعمل والقيادة فى جميع قطاعات البناء الاشتراكى .

بكلمة ، ان العام الجديد قد كشف ايضا عـــن مهمات جديدة بالغة الشان فيما يخص تطبيق النهج العام للمؤتمـــر السابع والعشرين . والمكتـــب السياسى على ثقـــة من ان افكار المؤتمر التـــى استوعبتها كوادرنـــا كافـــة استيعابـــا عميقا واستحوذت على عقولهم وافكارهم ، سوف تشـــق طريقها فى الحياة بمزيد مـــن الاصرار والاتساع لتحدد مجرى تطورنا والارتقاء بالبلد الى قمم جديدة نوعيا فى التقدم الاقتصادى والاجتماعى والروحى .

وبالامكان اجمال ما قيل بعبارة واحدة هى ان كل فرد منا وكلنا معا ملزمون ببذل مزيد مـــن الجهود فى العمل . وفى الوضع الجديد يجب ان يتجلى بقوة خاصة الـــدور التعبوى لحزبنا ومنظماته كافـــة والشيوعيين عموما . المطلـــوب ان نجس باستمرار نبض الحياة وان نفعل كل ما فى الوسع من اجل ان تنفذ الخطط المرسومة .

وبهذا الصدد أود ان استشيركم بشان المسالة المبدلية التالية . وبما يكون مجديا ان نعقد فـــى العام القادم ، وفى عشية حملة المساءلة والانتخابات فى الحزب كونفرنسا حزبيا عـــلى صعيد الاتحاد السوفيتى نراجع فيه على نطاق واسع سير تنفيـــذ مقررات المؤتمر السابع والعشرين للحزب ، ونجمل حصيلة النصف الاول من الفترة الخمسية . ومـــن الجدير ان تناقش فى هذا الكونفرنس ايضا مسائل مواصلة اشاعـــة الديمقراطية فـــى حياة الحزب والمجتمع عموما .

وبالامكان مواصلة الحديث الذى يبتدىء فـــى الكونفرنس خلال اجتماعات وكونفرنسات المساءلة والانتخابات الحزبية التى ينبغى ان يجرى فيهـــا بصرامة تحليل نتائج عمل كل منظمة حزبية فيمـــا يتعلق بعملية التغيير .

ان من شان عقد كونفرنس وطنى للحزب ، عملا بالنظام الداخلى ، بحد ذاته ان يكون خطوة جادة فى اشاعة الديمقراطية عمليا فى حياتنا الحزبية ، وفى تنمية لنشاط الشيوعيين .

ايها الرفاق ! ان الاجتماع الكامل للجنة الحزب المركزية ، حين يختط سياسة الكوادر فى ظـــل عملية التغيير وتسريع تنميـــة البلد اقتصاديا واجتماعيا ، انما يحدد بذلـــك اتجاهات نشاطنا الرئيسية لسنوات عديـــدة . اننا اليوم ، فـــى اجتماعنا الكامل ، نعود باذهاننا دائما الى فلاديمير ايليتش لينين وافكاره وآرائه . وهـــذا ليس مجرد تعبير عن آيات الاحترام الكبيـــر لشخص لينين وليس فقط عرفانا بهيبته . انه حرص اكيد عـــلى احياء روح اللينينية فى الظروف الراهنة ، واحيائها باوفى وجه ممكـــن ، وتكريس المتطلبات اللينينية الواجب توفرها لدى الكوادر فـــى حياتنا . تذكروا كيف كان لينين يوصينا بحماسة لا تعرف الكلل : ان نجاح النضال الثورى ، ونجاح كل عملية تغيير جذرية للمجتمع يرتهن فى الكثيـــر بالجو المعنوى الذى يشيعه الحزب .

نحن نريد ان نجعل من بلدنا نموذجا لدولة عالية التطور ومجتمعا ذا اقتصاد على ارقى درجات التقدم مجتمعا يسوده اوسع قدر من الديمقراطية ويتسم باسمى القيم الاخلاقيـــة والانسانية ، مجتمعا يشعر فيه الانسان الكادح بانه السيد الكامل الحقوق بحيث يكون بمقدوره ان يتمتع بكل خيرات الثقافة المادية والروحية ، وان يؤمن له بشكل يعول عليه مستقبل اطفاله ، وبحيث يكون تحت تصرفه كل ما تتطلبـــه الحياة الزاخرة الغنية المضمون ، وبحيث يضطر حتى المرتابون الى الاعتراف بان البلاشفة قادرون عـــلى كل شىء حقا ، وبان الحقيقـــة الى جانبهم ، وبان الاشتراكية لنظام يخدم كـــل ما فيه خير الانسان ويخدم مصالحه الاجتماعيـــة والاقتصادية وسموه الروحى .

نوفوستى عن «برافدا» فى ١٩٨٧/١/٢٨

الكلمة الختامية لميخائيل غورباتشوف

الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى

فى الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى

فى ٢٨ كانون الثانى (يناير) عام ١٩٨٧

ايها الرفاق !

يقترب اجتماعنا من اختتام عمله وانجاز مناقشة المسالة الرئيسية على جدول الاعمال . وان الجو الذى سار فيه عمل الاجتماع الكامل والمناقشة التى حدثت تتيحان لنا التاكيد انه سادت هنا وحدة الاراء فيما يتعلق بجميع المسائل التى طرحت ليعالجها ويحلها الاجتماع الكامل للجنة المركزيـــة للحزب . وهذه الوحدة ليست شكلية ، بل هى وحدة قائمة على اساس ادراك مسؤولية اللجنة المركزية عن التطبيق الناجح فى واقع الحياة للنهج الاستراتيجى الذى رسمـــه الاجتماع الكامل للجنة المركزية فى نيسان (ابريل) عام ١٩٨٥ ، والمؤتمر السابـــع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى .

والان ، وقد انجزنا المناقشات ويجب علينا اتخاذ القرار ، من الطبيعى طرح السؤال التالى : هل برر اجتماعنا الكامل هذا ما ينتظره الشيوعيون وجميع السوفيتيين منه ؟ فكيف ينبغى ان نجيب على هذا السؤال ؟ اذا اعتمدنـــا المقاييس الاكثر صرامـــة لاستطعنا القول ان هذا الاجتماع الكامل جاء حدثـــا سياسيا ضخما فى حياة الحزب الشيوعى السوفيتى وفى حياة المجتمع السوفيتى على السواء .

واعتقد انه يحق لنا القول ان الاجتماع الكامـــل سيسهم الى حد كبير فى سير الحزب والبلد والمجتمع باسره على طريق التغيير واعادة البناء . ولكن اهمية الاجتماع الكامل لن تتجلى على اكمل نحو الا بشرط الزامى هو : كل ما اتفقنا عليه هنا يجب ان ينفذه فى واقع الحياة بكل ثبات وداب المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى واللجان المركزية للاحزاب الشيوعية فى الجمهوريات المتحدة واللجان الحزبية فى الاقاليـــم والمقاطعات والمدن والاحياء والدوائر وجميع منظمات الحزب فى البلد .

ولذلك فاننى اطرح الامر على الشكل التالى : ان الاجتماع الكامل سيبرر الامال اذا تصرفنا على هذا النحو بالذات بعده . فهذا الاجتماع قد ارس بصورة يركن اليها المقدمات والاسس من اجل مواصلـــة السير بثبات على طريق التسريع والتغيير واعادة البناء وتحسين سياسة الكادر التى تستجيب لمهمات المرحلة الحالية من التطور التاريخى .

ان المناقشة الواسعة التى شارك فيها ٣٤ رفيقا من اصل ٧٧ رفيقا طلبوا الكلام قد اتاحت لنا فرصة فريدة لنلقى نظرة مرة اخرى من مختلف المستويات ومن مختلف اتجاهات عمل الحزب والدولة الى عملية التغيير واعادة البناء واستيعاب غايتها وتقييم هذه العملية مرة اخرى بغيـــة ان نحصل على التقييم من مصادره الاولى ان جاز القول .

ومن الهام اهمية فائقة بالنسبة لنا – واعتقد اننا لملك الحق فى التكلم عن ذلك – بالدرجة الاولى ان الاجتماع الكامل قدم اثباتا سياسيا لواقع ان الحزب وجميع القوى السليمـــة فى المجتمع تؤيد التغيير واعادة البناء . وبما ان الامر هو كذلك فمن المستحيل ان يكون هناك طريق اخر . وبهذا انما ينبغى انهاء مناقشة : هل ان اعادة البناء لازمة ام غير لازمة ؟ واننى اتفق بالكامل مع الرفيق موتورنى الذى قال هنا ان اعادة البناء لم تعد مجرد فكرة فحسب ، بل هى واقع .

ان السوفيتيين يربطون بالتغيير واعادة البنـــاء خططهم الحيوية ومصائر البلد وسمعته الدولية وكل شىء . فهل بوسعنا اذن ان نسمح باية تارجحات فى تنفيذها ؟ لا ايها الرفاق !

اجل ان اعادة البناء قد اصبحت واقعـــا . ونحن ندرك الان على نحو اكثر وضوحا وعمقا انه ينبغى علينا سواء من وجهة نظر التنمية الداخلية للبلد ام من وجهة نظر الظروف الخارجية والموقف الدولى ان نؤمن تسريع التنمية الاجتماعية الاقتصادية للبلـــد بيد ان التسريع لن يحدث بدون تجديد المجتمع كما انه بدون تجديد المجتمع لن تحدث اعادة بناء جميع مجالات حياته . ولن نتمكن من حل المهام الجديدة بالطرق القديمة لا سيما تلك المهام التاريخية التى انطرحت امامنا اليوم .

فاعادة البناء ليست نزهة على درب معبد . بل انها صعود فى الجبال وغالبا على دروب غير مطروقة من قبل . وكما اظهر الاجتماع الكامل للجنة المركزية مرة اخرى فثمة الكثير من القضايا التى تراكمت فى مجتمعنا . وسيتطلب الامر جهودا خلاقة ضخمة ونضالا طويلا متفانيا من اجل السير بالقضية العظيمة للتغيير واعادة البناء حتى النهاية كمـــا يقتضى ذلك الزمن الذى نعيشه .

اننا لا نزال فى بداية الطريق بعد . ويجب تحديد ذلك بصورة دقيقة فى الاجتماع الكامل للجنـــة المركزية لاننا عندما ندرك مكاننا فاننا ندرك ايضا ما يجب علينا عمله وكيف نتصرف . واذا كان هناك من يعتقد بانه قد انجز عملية التغيير واعادة البناء بالنسبة له فيجدر تذكيره باننا قد ابتدانا لتونا بهذه العملية . والامر الرئيسى لا يزال بانتظارنا . وهذا ايضا استنتاج هام خرج به الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب .

وبتنفيذنا وتوسيعنا لعملية التغيير واعادة البناء لا يجب علينا ان نقع فى هذا التطرف او ذاك فيما يتعلق بالتقييمات . بل يجب تثبيت الاقدام برسوخ على ارضية الواقع المتينة . فاعادة النظر بانجازاتنا ستنطوى على عواقب مهلكة الا اننى اود التاكيد من جهة اخرى بنفس هذه القوة ايضا على انه : ليس بوسعنا الا ان نلاحظ حتى اقل النجاحات فى اعادة البناء وحتى جوانب الخبرة المكتسبـــة الطفيفة جدا فذلك سيكون مهلكا بالدرجة نفسها ايضا . ومن الاحرى انه لا يمكن السماح بذلك وهاكم الاسباب .

اننا لا نزال فى بداية شروعنا بالقضية ونعمل على اغناء خطنا السياسى باساليب ملموسة ونرسم طرق انجاز الاهداف التى وضعناها نصب انفسنا . ولا نزال فى بداية تشغيل ميكانيزم ووسائـــل التغيير واعادة البناء ونقوم بالخطوات الاولى من اجل ان تعمل على النحو المطلوب وتعود بثمارها . ولكننا راينا عندما عالجنا نتائج عام ١٩٨٦ انه قد جرى تحرك نحو الامام .

فمن اين جاء ذلك ؟ انه نتيجة مباشرة لدعم شعبنا لخط التغيير واعادة البناء وللتسريع .

فهل بامكاننا الا نرى ذلك والاعتقاد بانه لم يحدث شىء ولا يحـــدث شىء . وليس بالثورى ذاك الذى يتشدق بعبارات ثورية . بل ذاك الذى يعرف كيف يرسم المستقبل وياخذ بيد الشعب والحزب لخوض نضال عنيد ويلاحظ كل خطوة فى السير نحو الامام ويستخدمها من اجل ايجاد نقطة استناد اخرى ومن اجل القيام بخطوة جديدة اكثر اتساعا . واليوم وفى الاجتماع الكامل للجنة المركزيـــة يجب علينا ان نتوجه بعبارات الشكر الجزيل الى شعبنا لانه قد فهم وادرك وشعر بعواطفه وبسليقته الشعبية انه مدعو لخوض غمار نضال شاق ولكنه نضال فى سبيـــل اهداف تعود بثمار رائعة على المجتمع باسره ولكل اسرة ولكل شخص . لقد منحنا السوفيتيون ثقتهم ودعموا الحزب . وذلك هو السبب فى اننا نعلق اهمية كبيرة على تلك التغيرات الايجابية التى تم انجازها فى عام ١٩٨٦ . وهى هامة لانه قد انعكس فيها الدعم الجبار من قبل شعبنا لسياسة الحزب ونهجه الرامى الى التسريع .

اود التاكيد ايضا على بعض جوانب عمل الاجتماع الكامل . اعتقد انه من الصائب تمامـــا ان موضوع اشاعة الديمقراطية بصورة جدية وعميقة فى المجتمع السوفيتى قد ورد فى تقرير المكتب السياسى بوصفه مهمة من الدرجة الاولى .

فذلك ايها الرفاق بمثابـــة وسيلة تتيح انخراط الشعب فى عملية التغيير واعادة البناء بوصفه قوتها الحاسمة . واذا لم نفعل ذلك فلن نتمكن من حل مهام التسريع ولن نؤمن عملية اعادة البناء بل لن تحدث بالاحرى هذه العملية .

ومن جهة اخرى فبتطويرنا وتنشيطنا للديمقراطية الاشتراكية والكشف عن قدراتنا نخلق بذلك ضمانات اكيدة تحول دون تكرار اخطاء الماضى . بيد ان القضية لا تنحصر فى ذلك فحسب .

اننا بحاجة الى الديمقراطية حاجتنا الى الهواء . واذا لم ندرك ذلك ، بل حتى اذا ادركناه ولكن لم نقم بخطوات واقعية كبيرة لتوسيعها وتطويرها ولاشراك الكادحين على نطاق واسع فى عمليـــة التغيير واعادة البناء ، فستخفق سياستنا ايها الرفاق وعلى اعادة البناء السلام .

وفى ذلك انما يكمن هدفنا الرئيسى . اننى شانى شان جميع اعضاء المكتب السياسى – علما باننا كنا نتبادل الاراء حول عمل الاجتماع الكامل فى كل فرصة استراحة – اشعر بارتياح عميق اذ ان هذا الاتجاه الهام جدا فى نشاط الحزب الشيوعى السوفيتى فى المرحلة الحالية من النضال من اجل اهداف التسريع قد حظى بالتاييد التام من قبل الاجتماع الكامل للجنة المركزية .

ان الحزب الشيوعى يصر على ان يعرف الشعب كل شىء . فالعلنية والنقد والنقد الذاتى والرقابة من جانب الجماهير هى ضمانات التطور السليم للمجتمع السوفيتى . وبما ان الشعب بحاجة اليها فذلك يعنى انها ضرورية للجميع . ومما يزيد فى اهمية ذلك هو ان الحزب الشيوعى السوفيتى حزب حاكم . وله مصلحة فى العلنية والنقد والنقد الذاتى لانها تعتبر اشكالا واقعية يركن اليها لعمل الحزب الشيوعـــى السوفيتى بصورة طبيعية . انها عبارة عن تلـــك الوسائل القادرة على صيانـــة الحزب من ارتكاب اخطاء فى السياسة . ونحن جميعا نعرف الثمن الذى تقتضيه اخطاء من هذه الشاكلة .

واليوم نتوصل جميعا فى الاجتماع الكامـــل الى استخلاص استنتاج واحد : اننا بحاجة الى العلنية وبحاجة الى النقد والنقد الذاتى بوصفها اشكالا لعالة للديمقراطية الاشتراكية . وان الشعب فى دولتنا – دولة العمال والفلاحين – يهتم بكل شىء لان هذه الدولة دولته . ويجب ان يعرف كل شىء وان يحكم على كل شىء عن وعى . وهذه الكلمات تعود الى لينين كما تعرفون .

ان الشعب بحاجة الى الحقيقة كلها . واود ان اعيد الى الاذهان بهذا الصدد موقف لينين الذى عرضه فى رسالة وجهها الى هيئة تحرير جريدة «ايسكرا» ، كتب لينين : «لقد آن الاوان فى واقع الامر لنتخلص بكل حزم من عادات الحلقيـــة الانعزالية وان نرفع – فى الحزب المعتمد على الجماهير – شعارا حازما : مزيدا من الاضواء وليعرف الحزب كل شىء» . ونحن الان بحاجة اكثر مما فى اى وقت مضى الى المزيد من الاضواء بغية الا تكون لدينا زوايا مظلمة ينتشر فيها العفن . وكلما نشن الان نضالا حازما ضده ولا نزال بعيدين عن انجاز هذا النضال . ولذلك نقول : مزيدا من الاضواء !

فهل من المعقول اننا بحزبنا الجبار وشعبنا المحب لوطنه والمخلص لقضايا الاشتراكيـــة والوطن لن نستطيع التصـــدى اذا حاول بعض الناس استغلال العلنية الواسعة وعملية الديمقراطية لاهدافهـــم المغرضة والمعادية للمجتمع ولاغراض دنيئة ؟

اود ان اشاطركم انطباعا تولد لدى اثناء تحليل لجولاتى . ففى السابق كثيرا ما كان يتقدم الصلوف المضللون الذين يعرضون «جراتهـــم» . وبالاساس كان هذا الضليل يرتدى الزى التالى : اين تنظر الرئاسة ولاسيما فى موسكو ؟ اما الان فقد ظهر موقف آخر . وهذا مـــا استنتجـــه من عشرات اللقاءات فالآن يقدم على حديث صريح اناس ناضجون وجديون علما بان ذلك يحدث فى لقاءات ومواضع غير متوقعة اطلاقا وحتى احيانا فى لقاءات لم يسبق تحضيرها اذا جاز القول . وهؤلاء الناس يطرحون المسائل بروح عملية ويسالون عما هو غير واضح لهم ويستفسرون كيف سيجرى حل هذه القضية او تلك .

ان جو العلنيـــة والديمقراطية بالذات هو الذى اتاح الامكانية امام الطبقة العاملة والفلاحين وامام مثقفينا وجميع القوى السليمة لان ترفع راسهـــا عاليا . واذا ما ظهر مضلل ما فيديتونه ويجبرونه بانفسهم على السكون .

ولقد جرى ذلك عشرات المرات امام سمعـــى وبصرى . فالناس يدركون كنه الامور فى جميـــع بانفسهم على السكوت .

وببساطة لابد لنا من العلنية والنقد والنقد الذاتى لتلك هى اهم سمات نمط الحياة الاشتراكى . واذا كان ثمة من يعتقد بان الامور لا تلزمنا سوى لانتقاد نواقص الماضى فانه يقع فى ضلال مبين . فالامر الرئيسى انما يكمن فى ان العلنية والنقد والنقـــد الذاتى لازمة من اجل سيرنا نحو الامام ومن اجل حل المهام الضخمة . ولن نحل هذه المهام بدون مشاركة الشعب . وهذا هو السبب فى اننا بحاجة الى كل ذلك .

واذا بدا لاحد ما انه لن يكون من السهل العمل فى ظل وضع كهـــذا فاود ان اذكره باننى قد اسديت نصيحة قبل حوالى الستة الاشهر مفادها : اشرعوا بتعلم العمل فى ظروف الديمقراطية الآخذة بالاتساع فهيا بنا نتعلم جميعا !

يجب على الصحافة ان تؤيد العلنية فى البلد وان تقدم المعلومات لشعبنا . ولكن يجب عليها ان تعمل ذلك بصورة تتحلى بالمسؤولية واننا نعرب عن الرغبة بذلك . لا يجب التهافت على الانباء المثيرة والركض وراء «الوقائع الساخنة» . بل اننا بحاجة الى الصحافة بوصفها مساهمة نشيطة فى عملية التغيير واعادة البناء .

يجب علينا ان نزيد من روح الهمة والنشاط فى العمل . وانها لمحقة تلك الملاحظات التى اعرب عنها هنا كثيرون من الرفاق عن انه قد قيل الكثير من الكلام .

وهذا ينطبق على الجميع بما فى ذلك على الصحافة ايضا . ومن الهام جدا لنا الان ان نرى كل ما هو ايجابى وبناء وان نتسلح بذلك ونطلع عليه الحزب كله والشعب باسره وان نستخدم لبنات الاساليب الجديدة فى ظروف التغيير واعادة البناء . ولا بد منا كذلك من العلنية الواسعة ونشر الدعاية لكل ما هو طليعى .

واعتبارا من هذا الاجتماع الكامل فى كانون الثانى (يناير) للجنة المركزية ندخل – وانا لا اريد ان يتهمنى احد باننا نختلق من جديد تسمية لمرحلـــة ما – ولكن مع ذلك فاننا ندخل الان فى مرحلـــة جديدة من سيرنا وعملنا فى مجال التغيير واعادة البناء . وساوضح هذه الفكرة كما يلى : لقد تم تحليل الوضع وصياغة النهج السياسى وجرى اتخاذ القرارات الاساسية لتنفيذ هذا النهج . ويجب الان العمل ومرة ثانية العمل .

ان الناس سيحكمون على سياستنا وعلى اعادة البناء – علما بان حكمهم سيزداد صرامة مع مرور الوقت – بالنتائج الملموسة فى التحسين الفعلى لظروف عمل ومعيشة الملايين : بمدى الدقة فى تنظيم الانتاج والعدالة فى دفع اتعاب العمل والاسراع فى تشييد المساكن وتحسين التجارة والخدمات المعيشية وعمل المواصلات فى المدن والمستوصفات والمستشفيات ونقاء المناخ المعنوى فى المنظمـــة الحزبية وفى جماعة العاملين .

وباختصار يجب علينا نحن الشيوعيين ان نبرهن بآلاف وآلاف وقائع الحياة اليومية على صواب سياستنا وحيوية التغيير واعادة البناء . وهذا مـــا يقتضى متطلبات عالية جدا ازاء الكادرات ويوجهها نحو احراز نتائج عملية . ولذلك من الهام جدا الآن زيادة الجهود وتنشيط الاعمال كمـــا ورد الكلام عن ذلـــك فى التقرير .

اود الاشارة بصورة خاصـــة الى الاهمية الكبيرة للمهام التى نحلها فى عام ١٩٨٧ اليوبيل . انها تلك المهام الضخمة من حيث ابعادها وحدودها التى يجب ان نقدم عليها . وهى هامة جدا من وجهة نظر اتقان الاساليب الجديدة للممارسة الاقتصادية وتحويـــل الاقتصاد بمجمله والكثير من فروعه للعمل بموجب المبادىء الجديدة للممارسة الاقتصادية .

ان اعادة البناء ايها الرفاق مدرسة عظيمة . وهى تطرح مهمات معقدة . ويجب علينا ان نجتاز هذه المدرسة بنجاح . واريد ان اكرر مرة اخرى : يجب العمل والعمل ومن ثم العمـــل بمزيد من النشاط والجراة والروح الخلاقة والدراية وهذه هى ان اردتم المهمة الرئيسية للظرف الراهن . ويجب على الجميع ان يعتبروها مهمة لهم : كل منظمة حزبية وكل لجنة حزبية وكل رئيس وكل شيوعى .

وباسم اللجنة المركزيـــة للحزب الشيوعـــى السوفيتى اود ان اتوجه الى جميع الرفاق فى الحزب والى جميع السوفيتيين بالكلمات التالية : ان قضية التغيير واعادة البناء هى قضيـــة التجديد الثورى للمجتمـــع وان مصير البلـــد فى ايدى الشعب وسيكون هذا المصير على النحـــو الذى نصنعه نحن بعملنا المشترك وبعقلنا المشترك وبضميرنـــا المشترك .

ان عملية التغيير واعادة البناء هى الخط الامامى للنضال بالنسبة لكل انسان شريف ولكل وطنى مخلص . وثمة من الاعمال ما يكفى للجميع والطريق امامنا كبير .

اننا موطدون العزم على تنفيذ قرارات المؤتمر السابع والعشرين للحزب . وسنعمل على احراز حالة جديدة نوعيا للمجتمع السوفيتى . واننا لعلى قناعة بانه لامرد لعملية التغيير واعادة البناء .

لقد عبر اعضاء اللجنة المركزية عن تاييدهم لعقد كونفرنس حزبى لعموم الاتحاد السوفيتى . وسيكون هـــذا الكونفرنس حدثا سياسيا ضخما بالنسبـــة للحزب واعتقد ان الذين لم يشتركوا فى المناقشة يشاطرون ايضا هذا الاقتراح الذى تقدم به المكتب السياسى الى الاجتماع .

اننا نتذكر من التاريخ ايهـــا الرفـــاق عدة كونفرنسات ساعدت فى فترات الانعطاف على رؤية الطرق والوسائل الجديدة لانجاز الاهداف المطروحة وساهمت فى حل قضايـــا تجاوزت بعيدا الأطر التكنيكية .

واننا نرى من المناسب وانا اضع للمناقشة امامكم ان يعد المكتب السياسى اقتراحات لتناقش فى احد الاجتماعات الكاملة القريبة للجنة المركزية بصدد آجال ونظام عقد هذا الكونفرنس . ونعتقـــد بان الكونفرنس الحزبى سينشط حملـــة التقارير والانتخابات ويقدم دفعة جديدة من الزخم لعمـــل الحزب ولجميع منظماته فيما يتعلق بالتغيير واعادة البناء .

تلك هى باختصار الآراء التى رغبت بالتحدث عنها فى اختتام المناقشة التى جرت فى الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب . اود ان اتقدم اليكم جميعا بالشكر على مساهمتكم النشيطـــة فى عمل الاجتماع الكامل وان اعرب لجميع المشتركين فيه عن الامنيات باحراز نجاحات باهرة فى قضايانا المشتركة .

اضداد الابطال

خمسة من الذين اعتمدت عليهم البرجوازية الروسية

يحاول المؤرخون الغربيون منذ ما يقارب ٧٠ عاما ، البرهنة على انه كان يوجد في روسيـــا عام ١٩١٧ بديل اصلاحي – ليبرالي للثورة البروليتارية . فحسب رأيهـــم ، كان باستطاعة الاحزاب البرجوازيـــة التي جاءت الى السلطة بعد الاطاحة بالحكم الاستبدادي ، ان تؤمن للبلاد طريق تطور تقدمي سلمي . وتدل الحقائق في غضون ذلك على ثمة امر مغاير . فان الاحزاب الثلاثة الرئيسية للبرجوازية الروسية – «اتحاد ١٧ اكتوبر» (الاكتوبريين) ، والحزب التقدمي (التقدميين) ، والحزب الديمقراطي – الدستوري (الكاديت) – اظهرت عجزها المدهش عن حل القضايا الجذرية المطروحة امام روسيا . ونحن اذ ننشر دراسات افريغ الدكتور في علوم التاريخ ، نأمل ان تعطى لقرائنا تصورا عن بعض زعماء هذه الاحزاب .

غوتشكوف

انه اكبر شخصية لدى الاكتوبريين واحد مؤسسي «اتحاد ١٧ اكتوبر» . ومما لاشك فيه انه كان خطيبا موهوبا ، ويتمتع بجرأة ذاتية – بل وحتى يميل الى المغامرة (خلال الحرب الانجليزية – البورية حارب الى جانب البور) والقدرة على اقامة علاقات واسعة وكلاعب سياسي مجازف راهن بكل ما لديه على ستوليبين محولا حزبه الى حزب شخصي لرئيس الوزراء – مقابل وعد الاخير باجراء «اصلاحات» بعد ان تحل «الطمأنينة» . لقد فشلت سياســة ستوليبين وكلف الرهان فشل غوتشكوف في الانتخابات الى الدوما الرابعة . لقد رفضت موسكو علنا منحــه الثقـــا ، حيث انتخبت بمحله الكاديت نوفيكوف البروفيسور في علـــم الحيوان بجامعة موسكو .

وفي سنوات الحرب العالمية الاولى حول غوتشكوف نشاطه الى اللجنة العسكريـــة الصناعية المركزية (التي كان يترأسها) املا في تحويلها الى قوة سياسة رئيسيـــة للبرجوازية الروسية . ولكن هذا لـــم يتحقق . وتعود اليه فكرة الانقلاب في القصر – لكي يحافظ بتغيير القيصر على الحكـــم القيصري ويحال دون الثورة الزاحفة . ولم يأت ذلك بنتيجة .

وبعد ثورة شبـــاط (فبراير) اصبح غوتشكوف وزير الحرب في الحكومة المؤقتة لكن ازمـــة نيسان (ابريـــل) ادت الى استقالته .

رودزيانكو

يتميز عن غوتشكوف بانه اقطاعي وملاك كبير في يكاتيرينوسلافل ومحافظ جدا ، كان يعبر عن ميول الجزء الاكبر من الموظفين والاقطاعيين في حزب الاكتوبريين . وكان ضخم الجسم وخشن الصوت ، مما جعله يتناسب على ما يبدو مع كونه رئيســـا للدوما (من ١٩١١ الى ١٩١٧) ، ولكنه لم يكن يتمتع باية صفات سياسية وتنظيمية كبيرة . وقد ادلى احد الموظفين في ديوان الدومـــا برأيه فـــي حزيران (يوليو) ١٩١٤ : «قالوا في الصحف يطمع ان البعض يريد ان يرجو رودزيانكو بان يترأس لجنة لتقديم العون الى عوائل الجرحى ... ان الرعب يختلـــج مشاعري من التفكير فقط بامكانية جعل رودزيانكو رئيسا لاية منظمة كانت . ومما لاشك فيه انـــه غير قادر على العمل وليست لديه ايـــة موهبة تنظيمية مهمـــا كانت ، ومفعـــم بالغطرسة الحمقاء» . وقال في رسالة اخرى : «لو كان بين القادة العسكريين من هـــو شبيه برودزيانكو فقط ، فان هزيمتنـــا محققة ...» .

وقد تدهور «اتحاد ١٧ اكتوبر» عمليـــا في سنوات الحرب . فقد اعلن البروفيسور ليندمان رئيس اللجنة المركزيـــة لحزبه الاكتوبريين في كانـــون الثاني (يناير) ١٩١٥ : «عندنا خمول تام وتوقف لاية حياة فلا احد يأتي الى اللجنة المركزية ... انه امر عجيب بصراحة» .

كونوفالوف

شريك في الرأي السياسي لرودزيانكـــو وكان واحد من تلك الفئة من الراسماليين الروس الكبار الذين ارتفعوا الى مستوى الادراك لاهم المهمات السياسية للبرجوازية لقد حصل كونوفالـــوف على تعليمه في اكسفورد ، وكـــان عازفا محترفا للبيانـــو ويدير معمله على الطريقة الغربية مع مدارس ومستشفيـــات . وذهب كونوفالوف الى الدوما الرابعة لكي يؤسس من التقدميـــة المتهرئة القديمة الشكل حزبا «حقيقيـــا» للبرجوازية الروسية مع انضباط وسياسة بعيدة الهدف .

واظهر في سنوات الحرب نشاطا عاصفا حيث كان يقيم في بيته بموسكو مختلف الاجتماعات التنسيقية الممكنة «لكل جبهة المعارضة» ، ابتداء بالاكتوبريين وانتهاء بالمناشفـــة والاشتراكيين الديمقراطييـــن وفي الحكومة المؤقتة تحالف مع كيرينسكي اما في المهجر فقد تحول من خصم الى شريك في الرأي السياسي لميلوكوف .

لفوف

عندما كان في سنوات الحرب رئيســـا لاتحاد عموم روسيا للمجالس المحليـــة الريفية ، الذي كان يقدم المساعدة للجرحى ويقوم بالاعمـــال الاخرى المفيدة للجيش اشركته في «السياسة» على الرغم من ارادته صحوية «النهضة الاجتماعية» ، وقد اصبح هذا «التولستوي من السياسة» – كمـــا سماه ميلوكوف – رئيسا لاول حكومـــة مؤقتة . فقد كانت البرجوازية بعد وصولها الى السلطة بحاجة ماسة الى اناس ان لم يكونوا محبوبين ، فعلى الاقل مشهوريـــن وكان كل ما استطاعت اختياره في هذا المجال هو لفوف ورودزيانكـــو . وكانت الافكار السياسية لاول رئيس وزراء فيما بعد الثورة البرجوازية بليدة للغاية ، فهو لم يكن يعرف تاريخ الحركة الاجتماعية في روسيـــا ، وكـــان يخلط بين الكاديت الاشتراكيين والاشتراكيين الثوريين والخ ، وهذا الامر في آذار – نيســـان (مارس – ابريل) ١٩١٧ .

ميلوكوف

كان الشخصية الوحيدة السياسية الكبيرة بالفعل ويحظى بنفوذ كبير في حزبه ، الذي كان يقوده بمظهر ديمقراطي ودكتاتوريـــة تامة . ولم تكن تصل الى صوته الدومـــا والدوائر الحكومية والبلاط فحسب ، بل والبرلمانيون ورؤســـاء الوزارات والدول والملوك من «الديمقراطيات الغربية» . علما بانــه كان يتحدث بالانجليزية في انجلترا وامريكا ، وبالفرنسية في فرنسا ويتحدث بالايطالية مع الملك الايطالي ، وكان لينين

(البقية على ص ١٤)



شباط (فبراير) موسكو . امام بناية دوما المدينة

شخصيات وحقائق

سقوط القيصرية

لم يقلقوا القيصر

نقدم الى القراء فيما يلي مقتطفات من مذكرات مستيسلافسكي الذي ارسل في مطلع شهر آذار / مارس ، حسب التقويـــم القديم (اي في نهاية شباط (فبراير) حسب التقويم الجديد) مفوضا فوق العادة لمجلس بيتروغراد الى تسارسكويه سيلو بصحبة فصيلـــة صغيرة من الجنود والبحارة الثوريين . وقد ظهرت مقالاته حول اسقاط الملكية في روسيا قبل ٦٠ عاما (مستيسلافسكي . هلاك القيصريـــة . لينينغراد ١٩٢٧) واصبحت منذ بعيد كتابا نادرا .

لقد عاد نيقولاي من مدينة بسكوف الى مقر القيادة العامة بمثابة شخص عادي (ذلك لانه سلـــم القيادة العامة الى نيقـــولاي نيقولايفتش في وقت واحد مع تنازله) وقد رآه وحيدا مهملا من قبل المقربين منـــه الذين انتقلوا من انظاره بسبب او بآخر وانتهى ما يرى ثقة من موغيليوف الى تسارسكويه سيلو لم يبق لديه احد .

ولم يبق حول «القياصرة» غير حفنة من الشيوخ من اعضاء الحاشية الذين عاشوا في القصر فترة طويلة ولا ندري مـــا الذي جعلهم يبقون الى جانب الذين تنازلوا من العرش : هل لانهم اعتادوا على القصر ام بسبب اخلاصهم للسلالة الملكية .

حتى مؤيدي الحكم الملكي المتطرفين وتحمســوا لمقابلة هذا الهجر المكشوف للقياصرة السابقين .

ويكمن سبب ذلك في سمـــات نيقولاي الشخصيـــة وبشكل رئيسي في «الفراغ الفكري» الذي يتصف به والذي حدد انعدام شخصيته التام ...

وفي الوقت نفسه اتضح لاعضاء اللجنة التنفيذية (في بيتروغراد) خلال المباحثات الاولى مع اعضاء الدوما حول تأليف الحكومة المؤقتة ان مسالة بعث النظام البائد لا تزال قائمة وحسب بالنسبة للبرجوازيـــة بل وان بعض هذه البرجوازية قادر على ان يقوم في فترة الانتقال القادمة بالاعداد لبعث النظام البائد ...

ودعـــا هذا الامر اللجنة التنفيذية الى طرح مسالـــة السلالة الملكية على نواب العمال لمناقشتهـــا حالا . وفي ٣ (آذار / مارس) اتخذت اللجنة التنفيذية قرارا باعتقال آل رومانوف ، واقترحت على الحكومة المؤقتة تنفيذ عمليـــة الاعتقال بالاشتراك مـــع اللجنة ...

وصدر قرار الحكومة المؤقتة صباح يوم ٥ آذار (مارس) ، الا ان الاعتقال جرى في الثامن منه اذ بلغ الكساندرا امر الاعتقاله القائـــد الجديد لقوات منطقة بيتروغراد الجنرال كورنيلـــوف ، وتم ارسال مفوضي الحكومة المؤقتـــة بوبليكوف وغريبونين وكالينين وفيرشينين الى القيادة العامة لاجل نقل نيقولاي الى تسارسكويه سيلو معتقلا وتم الاعتقال في الحالتين باسلوب هادئ لين حيث قال منفذوا امر الاعتقال للاشخاص الذين اعتقلوهم ان عملية الاعتقال تجري لصالحـــة المعتقلين ، وكان المفوضون حريصين على ان لا يقلقوا نيقولاي ، ولم يحرموه مراسيم اثناء الركوب ، ولم يثقلوا عليه طيلة الطريق .

وقد اثار وصول القيصر الى تسارسكويه سيلو انفعالا كبيرا في الاحياء العماليـــة فاصاب الرعب الحكومة التي خافت من ان تكون اجراءات حماية القياصرة السابقين غير كافية ، فقررت اتخاذ اجراءات اكثر جذرية ومن ترحيل العائلة القيصرية الى بريطانيا لتكون تحت جناح السلالة الملكية الانجليزية وعلى مقربة مباشرة من الاموال الطائلـــة المدخرة في البنوك البريطانيـــة والعائدة للعائلة القيصرية ، وتجنبا لاية تعقيدات في الطريق تقـــرر ان يصاحب المعتقلين وزير العدل نفسه ... مساعد رئيس اللجنة التنفيذيـــة لمجلس نواب العمال والجنود كيرينسكي حتى مدينة ارخانجلسك حيث تنتظرهم باخرة انكليزية .

وبعد ان علمت اللجنة التنفيذيـــة بهذا المخطط اصدرت في يوم ٩ مارس ، اي في نفس يوم وصول نيقولاي الى تسارسكويه سيلو ، قرارا الى فصائل العمال والقطعات العسكريـــة بالاستيلاء على كافة محطات القطار لكي تمنع الحكومة المؤقتة من اخراج المعتقلين من تسارسكويه سيلو . وقـــد قرر الاجتماع العاجل للجنة التنفيذية عدم السماح بتسفير العائلة القيصريـــة الى بريطانيـــا حتى ولو تطلب ذلك مقاطعـــة الحكومة المؤقتة ، وتنفيذ الاعتقال فعليـــا بعد ان جعلته الحكومة المؤقتة شكليـــا واتخاذ كل الاجراءات الممكنة من اجـــل حماية الثورة من اي خطر من جانب السلالة القيصرية الى الابد .

ويطلب من المبعوث جرى عرض المعتقل امامه ، وكانت الغرف التي وضع فيهـــا افراد العائلة القيصرية معزولة تماما عن العالم الخارجـــي (بثلاث صفوف من نقاط الحراسة) . ولم يكن يسمح لاي فرد من افراد العائلة القيصريـــة او خدمهم بمغادرة حدود القصر مهما كان الامر ...

وكانت الحكومة المؤقتة مرغمة على تصديق هذه القرارات التي اصدرتها اللجنة التنفيذية اذ رأت ان الاقدام على مقاطعة اللجنة بسبب مسالة السلالة القيصريـــة امر غير مفيد لها ...

كان الخليج متجمدا مثل عملاق نائم وكانت اكوام الجليد السميكة الخضراء باشكالها الخيالية تاكيدا على الفكرة القائلة : لامزاح مع البحر . لكن المتهورين موجودون .

... لقد حذرت وكالة الارصاد الجوية فى اليوم السابق لوقوع الكارثة من احتمال ارتفاع الحرارة المفاجىء وسقوط الثلج الكثيف وبدء عاصفة ثلجية . الا ان هذا التحذير لم يستطع ان ينافس خبر اقتراب جموع من الاسماك نحو الساحل .

فى ذلك اليوم المشؤوم ...

كارثة طبيعية في خليج ريغا: ماذا وكيف ؟

لذلك كان الطريق الى البحر والبحر نفسه اشبه فى صباح اليوم التالى بمشاهد من الافلام المخصصة لاكتشاف الذهب فى كلوندايك . فكان الناس ارتالا يبتعدون من اليابسة مشيا على الجليد وكنا نتوجه معهم كذلك . وحفرنا ثغرة فى الجليد وادلفنا صنارتينا فيها . غير ان المحصول كان قليلا . ولاحظنا فجأة شيئا غريبا حيث بدأ ثقل الصنارة يتحرك الى قاع البحر وهو يتموج بذلك ففهمنا ان الجليد يتحرك بنا فى اتجاه ما . ثم بدأ يسقط الثلج كثيفا ورطبا جدا . فانقلبنا عائدين الى الساحل وما ان قطعنا نصف الطريق تقريبا حتى رأينا شريطا اسود من الماء . فاندفعنا الى ناحية اخرى فكان الماء هنالك ايضا . فما العمل ؟ لقد عشت فى حياتى لحظات خطرة كثيرة فكدت اتجمد اثناء العاصفة الثلجية ذات مرة وكنت من بين المنكوبين بالفيضان فى جزيرة ساخالين الخ . لكننى الان شعرت بالقلق الخانق وانا واقف على الجليد العائم ولو لم يكن معى ابنى لخف تأثرى بهذه الحادثة .

هكذا وصف بداية مجريات ذلك اليوم المفجع فاديسم دياتشكوف احد اهالى يورمالا رئيس الميكانيكيين فى مديرية البناء المحلية . وحين تحدثنا معه بعد انقاذهما كان يلوم نفسه لانه لم يكن قد اخذ بعين الاعتبار جدية اخبار وكالة الارصاد الجوية . اذ كان على قناعة بان الجليد البالغ سمكه نصف متر متين جدا . والجميع كانوا مقتنعين بذلك . ولكن الطقس كان يتردى من لحظة الى اخرى وكانت الريح الشديدة التى تهب من الساحل تسوق الحقول الجليدية الى عرض البحر وكانت الامواج تتلاطم اطرافها . وكان من الممكن ان يقع اخطر شيء وهو انشقاق القطع الجليدية . وكان الكبار يفهمون ذلك . لكن تجربة حياتهم لقنتهم بان المساعدة لابد ان تقدم لهم وبدأت تظهر فى الشقوق بين قطع الجليد زوارق رجال الاغاثة المحترفين والمتطوعين .

«كان ذلك الاحد يوم عطلة لدى . ولكن والدى اخبرنى بالهاتف عن المصيبة . فهرعت الى محطة الاغاثة . ورأيت زملائى يعملون وينقلون المنكوبين الى اليابسة . اندفعت الى الزورق . وكان من الصعب تشغيل محركاتها بسبب الامواج العالية وكنا ناخذ فيها اكبر عدد ممكن من المنكوبين وفى طريق العودة كنت ابعد فكرة فيما اذا انقلب الزورق ! مـا تزال تؤلمنى ذراعى وظهرى حتى الان» (من حديث ايغور السبيرغ رجل الاغاثة) .

«ترك ذلك اليوم فى نفسى الاحساس بالثقل والمسؤولية والقلق . اندفع الجميع نحو البحر ، ولم يبق فى المركز سوى مناوب الهاتف . ان قائمة الدوائر التى يجب الاتصال بها فى حالة وقوع كارثة طبيعية موجودة لدينا . فمن الضرورى ابلاغ اللجنة التنفيذية لمجلس نواب الشعب للمدينة والشرطة والميناء ومركز الطائرات العمودية وتوجد فى اقليمنا مزرعتان كبيرتان لصيد الاسماك تملكان عدة مراكب لكنها كانت معزولة فى النهر لان مصبه كان مسدودا بالجليد . ولحسن الحظ كانت محطمة الجليد «القبطان ميليخوف» على مقربة منا فوصلت بسرعة لتقديم المساعدة . وكان مجرد ظهورها يهدىء الناس . وما ان ظهرت الطائرات العمودية فى السماء حتى تنفس الصعداء كل من على الساحل . فالياس والارتباك لن يستوليا على المنكوبين على الجليد» .

(من حديث فالديمار رايتس مدير محطة الاغاثة)

«حين اخذ الجليد ينشق وينفصل عن اليابسة وظهر الماء بينهما بلغ خبر الكارثة هاتفيا قادة لجنة المنظمة الحزبية فى يورمالا واللجنة التنفيذية واعضاء لجنة الجمهورية لمكافحة الكوارث الطبيعية وكذلك كثيرا من كبار مسؤولى الجمهورية . وامرت اللجنة الطائرات العمودية بالقيام بتحليقات البحث والاستطلاع . فاكتشفت ان المنطقة التى انتشرت فيها قطعة الجليد مع البشر كانت واسعة جدا (من الحديث الذى ادلى به للصحافة البيرت اوزينش النائب الاول لوزير الاسكان والمرافق فى الجمهورية) .

بدأت الطائرات العمودية نقل المنكوبين ، ولم يكن بمستطاعها نقل الجميع دفعة واحدة . بينما راحت محطمة الجليد تدفع الحقل الجليدى نحو الساحل لكان العمل يجرى على ما يرام ولم تسيطر مظاهر الرعب والارتباك . صحيح انه حدث ما لا يروقنا الحديث عنه : فاخلاق هذا الانسان او ذاك تتبين حالا فى الظروف الحرجة . فحين انزلت الطائرة العمودية الاولى سلمها على الجليد صعد بواسطته الى متن الطائرة رجال كهول اقوياء بدلا من النساء والاطفال .

ولم يترك احد على الجليد صندوقه مع السمك المصطاد لقد فضلوا اخذ كل ما يملكونه معهم :

تذكر فاديم دياتشكوف قائلا : «خشيت ارسال ابنى على متن زورق . فلو حدث له شيء لترعت نفسى طول العمر . ولذلك اجلسته الى جانبى وبقينا ننتظر . وصلت الطائرة العمودية مرة ومرتين وثلاث مرات . وفى كل مرة يصعد اليها الرجال الاقوياء . وحاولت مساعدة ابنى على التمسك بالسلم لكنه فشل اذ ازاحه هؤلاء ولاحظت الدموع تتحجر فى عينيه غير انه تماسك عن البكاء . هكذا كان الدرس الاول فى سلوك الجنتلمن لحسن الحظ . كانت بيننا امرأة واحدة فقط فارسلوها اثناء التحليق الثالث .

ثم ان حقيقة الانسان تتبين فى الظروف الحرجة . ان الرائد تشوركين الذى ارتفع وهبط بطائرته العمودية المشحونة فوق طاقتها لم يفكر فى خطورة تحليقاته وفى انه ارهق نفسه للغاية كما لم يفكر فى ذلك النقيب ميخايلوف الذى قام بثمانية تحليقات شأنه فى ذلك شأن النقيب سلافينسكى الذى قام بخمسة تحليقات لم تدعمهم سوى الرغبة فى نقل كل المنكوبين قبل حلول الظلام وحين بلغ محطة الاغاثة فى اليوم التالى خبر بان احدا قد رأى الشعلة على قطعة من الجليد فى عرض البحر استعجل الطيارون حالا الى طائراتهم لفحص المنطقة المذكورة بدقة مع انهم كانوا قد حلقوا فوقها قبل ذلك باحثين عن الناس المفقودين .

وهكذا عمل طاقم محطمة الجليد «القبطان ميليخوف» وغيرها من البواخر التى كانت تتبعها لقد انقذ افراد اسرة محطمة الجليد ثلاثة عشر شخصا من على القطعة الجليدية التى ابتعدت كثيرا عن الساحل ووقع هناك ارهب ما يمكن لان القطعة الجليدية قد انشقت ووقع بعض الناس فى الماء فاخرج البحارة من الماء ونقلوا الى ظهر محطمة الجليد اولئك الذين فارقوا الحياة بانكارهم ودلكوهم وشجعوهم .

رأينا اثناء عملية الاغاثة فى الزوارق الصيادين المسنين والاحداث . وبعد انهاء العملية بنجاح فى مساء الاحد اقترب من محطة الاغاثة فتيان فى السادسة عشرة تقريبا وطلبا الى رجال الاغاثة ان يسمحوا لهما بابقاء مجدافى زورقهما فى المحطة لانهما تعبا لدرجة انهما عاجزان عن حملهما الى الكونلوز . اما الزورق فتركاه على الساحل .

لماذا ينسى البعض القسم فى لحظة الخطر وينشغل البعض الاخر بالقسم لنفسه ؟ ربما يؤول فى ان هذه ظاهرة ابدية ولكن الم تشهد السنوات الاخيرة على ظهور مزيد من الجشعين فى بلادنا الذين يزيحون ويبعدون كل من يحاول قطع الطريق فى وجه مطامعهم . انهم كانوا يتمتعون خلال السنين بكل الخيرات ليس بفضل مواهبهم او ذكائهم المرموق بل بفضل قدرتهم على تلبية رغباتهم دون احترام مصلحة غيرهم .

كم سنة يجب ان تمر لنتخلص من اصحاب هذه الفلسفة المقرفة التى تسمى «بمعرفة ترتيب الحياة» .

كانت نهاية قصة اولئك الاثانيين فى يورمالا مضحكة فلدى اوبتهم الى الساحل كانوا يختلون ازواجا خائفين ليس من تحمل المسؤولية على سلوكهم الدنىء بل من احتمال دفع الغرامة بقدر ٧٠ روبلا وهذا مبلغ باهظ برأيهم .

اتصلنا بالهاتف مع مستشفيات ريغا ويورمالا لنعرف كم عدد الناس الذين استعانوا بالاطباء بعد تلك الحادثة . فاجابونا فى كل مستشفى : ان المنكوبين لم يطلبوا المساعدة الطبية وادهش ذلك حتى الحكيم رايمولد اوزولينش رئيس اطباء مستشفى يورمالا . بالمناسبة نقول ان المساعدة الطبية كانت منظمة جيدا على الساحل وكثيرا ما اضطرت الممرضات الى تقديم المهدئات الى اقارب هواة الصيد الذين احتشدوا على الساحل .

سألناه عما كلفته الحكومة فى عملية انقاذها هواة صيد الاسماك ، فاجاب قائلا : «انها كلفت خمسين الف روبل ولكن المصيبة لم تكن فى المال فلقد ورد خبر بان رجلا وطفلا لم يعودا الى البيت . وننتظر بخوف كل لحظة بلوغ خبر اخر من هذا النوع . فلم يكن الصيادون من السكان المحليين فقط بل كان بينهم ضيوف من ليتوانيا وربما من امكنة اخرى . من يدرى ؟ ...

تتنزه فى شوارع يورمالا هذا المصيف الجميل حيث لايذكر شيء بوقوع الكارثة . السواحل مكسوة بغطاء سميك من الثلج . ونوافذ البيوت الجميلة تضيئها المصابيح كانها شموع ذهبية تنورها من الداخل حيث يسود المرح والطمأنينة ومن الصعب ان تتصور ان هذه البيوت عاد اليها مؤخرا اولئك الذين انقذوا من الكارثة التى هزتهم ومن المؤلم التصور ان ثمة بيت لم يعودوا ولن يعودوا اليه ابدا .

ناتاليا كرابينوفا

الثلج والمطر والريح

حين حذر برنامج «فريميا» (الوقت) التلفزيونى بان الطقس سيتردى فى مقاطعة روستوف فى ٢٧ كانون الثانى (يناير) الماضى كثيرا (اذ يتوقع ان تزداد سرعة الرياح الى مئة كيلومتر فى الساعة وتنخفض الحرارة كثيرا) كانت المدينة تحت وطأة العاصفة . فبدأ الاعصار فى منتصف نهار ذلك اليوم بريح عاصفة وسقوط الثلج الكثيف . لدرجة توقفت الجرارات فى بعض الاماكن واختل جدول سير القطارات الكهربائية .

وهدأت الريح فى المساء قليلا وكان الطبيعة كانت تستعد لهجوم جديد اشد قسوة على المدينة وارتفعت الحرارة خلافا لتنبؤ وكالة الارصاد الجوية . واخذ المطر ينهال مدرارا على المدينة . ولم يتوقف سقوط الثلج حتى صباح اليوم التالى وكانت تسوقه الريح بسرعة ٣٠ متر فى الثانية وانتهت الليلة القلقة بهطول قصير يرافقه برد ورعد وهذه ظاهرة استثنائية فى هذا الموسم . وبدلا من الثلج اخذ يسقط المطر قبل ظهر ذلك اليوم . وكانت تلك العاصفة هى هجوم الطبيعة الرابع على مدينة روستوف بسكانها البالغ عددهم مليون نسمة تقريبا فى كانون الثانى (يناير) الماضى وتجاوز كمية ما نزل على المدينة من الثلج والمطر خلال الايام الثلاثة الاخيرة من كانون الاول (ديسمبر) وكانون الثانى (يناير) الماضيين حسب معطيات وكالة الارصاد الجوية ثلاث مرات عن كميته العادية فى الشتاء .

اما المدينة فكانت حياتها العادية مستمرة . فبدأ العمل فى مواعيده فى المؤسسات الصناعية والدوائر الحكومية والمعاهد ، وبدأت كالعادة الدروس فى المدارس وكانت رياض الاطفال ودور الحضانة مفتوحة . وكان الحليب والخبز الطازج فى المتاجر واعيد النظام النسبى فى الطرقات حتى الساعة التاسعة صباحا . وازاحت المكائن اكوام الثلوج من الشوارع وبدأ تنظيف المدينة من الثلج واخراجه منها فى الليل . اما ارصفة المارة فكان ينظفها من الثلج اهالى المدينة امام مساكنهم وامام المؤسسات التى يعملون فيها وعلمت فيما بعد فى مقر اللجنة التنفيذية لمجلس نواب الشعب للمدينة ان ١٤٧ر٥ الف وجبة قد وزعت على سكان المدينة .

— هل كان من الصعب ضمان الظروف الطبيعية للحياة فى مثل هذه المدينة الكبيرة ؟

اجاب غينادى زوريتشكو رئيس اللجنة التنفيذية عن سؤالى قائلا :

لقد اتيح لنا تحسين عمل وسائط النقل ولكن ذلك لا يعنى اننا مرتاحون لعملها تماما .

ان الشيء الرئيسى فى ظروف النكبة الطبيعية هو التخلص من الارتباك فالطبيعة قد تفاجئنا باية صورة . من المستطاع ان يتنبأ مثلا بان التعطل يصيب ٢٢ محطة تحويل خلال هذه الليلة ؟

وبدأت اعمال التصليح فى الساعة السادسة من الصباح . ووعد عمال التصليح ان يبدأ ايصال الكهرباء الى المساكن الساعة الثانية بعد الظهر ووردت الاخبار الاولى عن استئناف عمل بعض المحطات فى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر .

فى الساعة الرابعة بعد الظهر بدأ يسقط الثلج مجددا . زادى ذلك الى تعقيد المرور فى شوارع المدينة مرة اخرى . واخذت سيارات تنظيف الشوارع من الثلج تعمل مجددا وكان الناس ينظفون سكك الترام استمرت المدينة فى مكافحة العاصفة الثلجية . وكان الصبيان وحدهم مسرورين بحلول الشتاء صانعين الانسان الثلجى فى الحديقة .

الكسندر سوكولوف

لقطة من فيلم «ايبوليت –٦٦» رولان بيكوف فى دور بارمال

لقد سبق أن قلتم ...

عاد «ايبوليت» ... وهو لم يعد من افريقيا ، حيث كان يعالج الحيوانات المريضة مدة طويلة ، بل عاد من ارشيف السينما ، حيث رقد دون حراك طيلة عشرين سنة . لقد عاد فيلم «ايبوليت –٦٦» لرولان بيكوف الى الشاشة .

فى تلك السنة ، سنة ١٩٦٦ البعيدة لم يفارق هذا الفيلم الشاشة طيلة ثلاثة اشهر . ثم غط فى سبات عميق . اما التلفزة المحتاجة الى افلام المغامرات الشيقة فلم تتذكر ولو مرة واحدة ان هذا الفيلم موجود .

انه لمن المفارقات ان نسمى عودة هذا الشريط القديم الى الشاشة عرضا اول ومع ذلك كان بمثابة عرض اول لان مولده للمرة الثانية لم يكن فى قاعة سينما «العرض الثانى» بل فى قاعة سينما «روسيا» ذاتها .

واذا كانت مؤسسة العروض السينمائية قد نسيت «ايبوليت» فان المشاهد لم ينسه وذهب لمشاهدته بخطى ثابتة ، ودونما استطلاع شادا معه الجيل الجديد الذى ربما كان الفيلم مجهولا بالنسبة له .

ولم يخطىء المشاهد فهو لم يتذكر الفيلم فقط ، بل ولمس مرة اخرى حيويته فى ايامنا هذه .

لقد اندهش الجميع من راهنية وحدة وحداثة الفيلم هذه كما لو كان قد صور البارحة ، وبروح التحولات الجارية فى المجتمع ، لا قبل عشرين سنة خلت .

فهو بالنسبة للراشدين تهريج للساسة فى شكل ساخر يتتبع الصراع والتعايش بين الخير والشر . اما بالنسبة للاطفال فهو الشيء ذاته على صورة مغامرات ورومنطيقية لبطل الحكاية المحبوب .

ان الخير الذى يرمز اليه فى «ايبوليت» هو خير لطيف ، بل ومتسامح بعض الشيء . اما الشر فهو مركب يعانى طيلة الوقت من الشعور بالنقص تجاه الخير .

وانك لتحس رغما عنك بخيط الصلة المباشرة بين «ايبوليت –٦٦» وبين فيلم «اللزاعة» لرولان بيكوف فالخير والشر تراهما هناك فى مواقع طرفى النقيض ، اذ يعانى الخبيث (ولنقل برماليه ذاته . وبرماليه قرصان فى حكاية «ايبوليت») بالنسبة للشخصية من مركب الكمال المطلق وحسب تعريف رولان بيكوف ذاته فان «العجوز فى حكاية بوشكين قد نالت مبتغاها بان تكون السمكة الذهبية طوع يديها» .

واثناء تحليله للعلاقة بين هذين الفيلمين يطالب المشاهد «ايبوليت» (حامل الخير) بعدم المهادنة وبالموقف الحسى ، لا التواضع واللطافة ، وليس من قبيل العبث ان السؤال الذى طرح اكثر من سواه على بيكوف بعد العرض الثانى هو : «كيف تجرأتم فى قول ذلك آنذاك ؟» فيهز كتفيه . ويرد مازحا لان ليس بوسعه القول عن نفسه ، انه كان وسيبقى لا ممثلا ومخرجا فحسب بل كذلك مواطنا ذا ضمير مسؤول عن الخير والشر .

اما انا فقد اعدت سؤال بارمليه الحقيقى : «لماذا الخير يغلب ، ولكنه لايتمكن ابدا من الانتصار ؟»

فاجابنى ، ان نموذج الشر الذى لايموت موجود فى الفولكلور منذ امد بعيد . وهذه العملية ابدية و«كاشيه» لايموت وحسب ذلك الاعتقاد الشعبى توجد فى مكان ما شجرة بلوط ، يتدلى منها صندوق ويوجد داخل الصندوق بطة ، وفى جوف البطة بيضة ويوجد فى البيضة ابرة تحمل فى طرفها موت «كاشيه» وهذا يعنى ان عدم موت الشر معترف به ، فالشعب يقر بعدم موت الامل وعدم موت انتصار الخير الابدى على الشر . فليحالف الحظ كلا منا فى العثور على شجرة البلوط تلك والصندوق والابرة ...

غينادى جافورونكوف

روايتان مسرحيتان

جرى على خشبة المسرح الفنى فى الخامس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٦ العرض الاول لمسرحية «ايام توربينيخ» لميخائيل بولغاكوف التى اعتدنا اليوم على ربطها بمفهوم «الاسطورى» . غير ان التعليقات الكثيرة على النجاح الكبير فى الاخراج لم تتطرق لسير المسرحية وصورتها الوصفية وان الناقد المسرحى اناتولى سميليانسكى الذى قام باصعب محاولة لدعم الاسطورة بالوقائع وبعث لنموذج المسرحية كان مضطرا للاعتماد على الشهادات «اللامهنية» لشهود عيان كمذكرات رجل الميليشيا الغفر الـذى وقع فى غرام الممثلة التى تؤدى الدور الرئيسى .

لقد نشرت مقالة سميليانسكى «المنور على بيت» فى مجلة «صداقة الشعوب» فى عام ١٩٨٥ . وكانت هذه التسمية رمزية . ففى الكتاب الذى اصدره الناقد مؤخرا بعنوان «ميخائيل بولغاكوف فى المسرح الفنى» احتل مؤلف «ايام توربينيخ» مكانه الحقيقى فى بيت وتاريخ مسرح موسكو الفنى الى جانب اسمى تشيخوف وغوركى .

ان رواية مسرحية لبولغاكوف نفسه هى مرآة سحرية لهذه القصة . كما توجد مذكرات المعاصرين حول عمل هذا الكاتب المسرحى فى المسرح ، وعلى وجه التحديد الشخصية المعروفة فى المسرح الفنى بافيل ماركوف . ان كتاب سميليانسكى هو اول دراسة اساسية فى زمننا : فهو يعوض عن النقص اللامقبول فى ذلك الجزء من تاريخ المسرح والذى لا يمكن بدونه تصور حاضره ومستقبله .

ويشير اوليغ يفريموف كبير المخرجين فى مسرح موسكو الفنى فى مقدمة الكتاب الى ان قسما من القراء سيعجبهم فى كتاب سميليانسكى افتتانه بالوثائق ، وان قسما اخر سيعجبهم الاسلوب الواضح والمتشدد فى عرض التقلبات المسرحية فى العشرينات والثلاثينات ، اما القسم الثالث فسيكتشف الكثير من الحقائق عن الحياة الابداعية لمؤلفات بولغاكوف وكل ذلك حقيقة ، خاصة وان الاستنتاج الرئيسى للمخرج المذكور يطابق الواقع . وهو ان القصة النزيهة والمبدعة عن المصير الانسانى والفنى تقوى الروح وتعكس النبض الابداعى .

غير ان الحديث النزيه يولد ، بل الاصح يؤكد شعورا اخر مرا يصاحب دوما قراء مؤلفات بولغاكوف ، وهو الشعور بالذنب تجاهه .

وكان المسرح اكثر جرأة واستبصارا اذ عرفه مؤلفا قبل ٦٠ عاما . ويشير سميليانسكى الى ان الامر تطلب عشرات الاعوام لكى تتضح «مثالب» ومغزى «ايام توربينيخ» اول مسرحية سوفييتية عرضت فى مسرح موسكو الفنى ، وكانت موجهة الى المعاصرين . وان السعى الى بلوغ مرحلة الانطباق ليس بالشعارات و«السفسطة الثورية» (حسب تعبير ستانيسلافسكى) بل عبر الكشف عن الجوانب الروحية ومعاناة الانسان التى لاتزال لحد اليوم تعلم الشجاعة فى التحدث لا مع المشاهدين فى القاعة وحسب بل مع البلاد باسرها ، بلا خوف من الكشف عن اصعب واعقد المشاكل ؟

ومن المعروف ان مسرحية «ايام توربينيخ» مستقاة من رواية بولغاكوف «الحرس الابيض» التى تعكس احداث الحرب الاهلية . وان عكس المسرح لمأساة الناس الذين فقدوا المثل القديمة واكتسبوا الجديدة بالم ، قد اثار تخرصات «اليساريين» و«اليمينيين» .

وبدون اى مس لطابع هذه النقاشات الحامية اشار سميليانسكى فى فصل «محاكمة الحرس الابيض» الى كلمات لوناتشارسكى التى من المفيد التذكير بها خلال النقاشات الحالية حول اعادة بناء الادراك : «انا لا اصدق عندما يتحول الليبرالى الى شيوعى خلال لحظة خاطفة . وهذا يحدث احيانا كنزوة واحيانا كتلون الحرباء . اما العملية الحقيقية فهى تبدل المعالم عندما يسير الناس وهم يتطلعون نحو التاريخ» .

وعند التطلع الى التاريخ نرى ان علاقة الكاتب بالمسرح التى يسميها مؤلف الكتاب رواية مجمل حياته ومصدر الالهام والالام التى لاتهدأ ، قد نشأت بصورة مأساوية . وان الجيل التالى من فنانى مسرح موسكو الفنى يعتبر «ايام توربينيخ» بمثابة رصيدهم الذهبى ولكن بولغاكوف كان على وشك التملص من علاقته بالمسرحية بمرور الاعوام (لنتذكر التعليق الغريب لستالين الذى شاهد «ايام توربينيخ» ما لايقل عن ١٥ مرة بان المؤلف «ليس مذنبا» ابدا فى نجاح المسرحية) . ولم يسمح بعرض مسرحية بولغاكوف التالية «الهروب» التى وصفها غوركى بانها «اروع كوميديا» .

ولنا الامل فى ان تعكس المرآة التاريخية ذلك الرقى من الثقافة الروحية التى تسمح باعطاء كل ذى حق حقه من اولئك الذين ساعدوا على نضوجنا الروحى وبنشاء مجددا . ولاجل استعادة الذكرى التاريخية يدافع سميليانسكى فى كتابه عن تلك الاولويات فى الفن كالموهبة والنزاهة الفنية ، بغض النظر عن تقبلها او عدمه . ويبدو ان الاكثر خصوصية هو الفكرة التى تتخلل الكتاب حول سخاء الفنان الذى تمرد عليه عبقريته بالمفاجآت . ولذا فهو خالد ككل ما هو عظيم .

اولغا مارتنينكو

ادوارد اوسبينسكى : الالعاب هى شىء جدى

— لو كنت مسؤولا فى بلدى لحظرت اصدار الكتب — قال الكاتب بكل جدية — حظرتها الى ان تشبع السوق الداخلية بكتب جيدة للاطفال .

— هل ركزتم على كلمة «الداخلية» مصادفة ؟

— طبعا لا . فعندما كنت فى فنلندا بهرنى انتشار الكتب السوفييتية للاطفال كما وكيفا ، منها كتب الادب الكلاسيكى والحديث ، المنسوخة على افضل انواع الورق . واننى فكرت فى نفسى : امن الضرورى ان نسافر الى الخارج لنفخر بانتشار ادبنا الوطنى للاطفال ؟

— لقد عرف ابنى ذات مرة — عبر المقابلة التلفزيونية ان ابطال افلام الكرتون المحببين قد جاؤوا من كتب اما كتاب القصص للمؤلف ادوارد اوسبينسكى فاشتريته من السمسارة بخمسة عشر روبلا .

— اذا كنت تسعى الى المجاملة بذلك فهيهات ، فانا نفسى ادرك ان مؤلفاتى هى الاكثر شعبية للاطفال تشهد بذلك هيئات توزيع الكتب فى جمهورية روسيا الفيدرالية السوفييتية الاشتراكية ، انما الذى يحيرنى هو كيف تكون مثل هذه الشعبية للمؤلف فى حين ان مؤلفاته مفقودة فى صالات بيع الكتب .

— وماذا تقترحون ؟

— ما يقترحه القراء على الدوام : اكوام الكتب مكدسة فى المستودعات كيلومترات من الكتب غير المقروءة مصفوفة على رفوف المكتبات — انها حقيقة ساطعة . حان الالتفات اليها وحتى هذا الوقت مايزال الناشرون يرددون تعويذتهم : «نحن لسنا مؤسسة تجارية بل منظمة ايديولوجية» ، انها لتفاهة كبيرة يصعب ابتداع مثلها ان التجارة الناجحة لاتتناقض مع الكتب الجيدة ، وبالمقابل التجارة الفاشلة تؤدى الى فقدان الكتب ، أحكموا بانفسكم لدينا دارنشر لكتب الاطفال بينما الكتب ذاتها غير موجودة .

— هذه الفكرة تتطلب التحليل .

— ان «تيمور» بطل الكاتب غايدار قد جمع حوله فريقا من الناشطين من كل انحاء البلاد ، ودور العم (ستيبا) الذى ابتدعه الكاتب ميخالكوف يقوم به الاطفال فى كل حى تقريبا . فهل يمكن بعد ذلك ان نسمى تلك الشخصيات : ابطال كتب ؟ هؤلاء الذين عاشوا واثروا . حاولوا اذن تسمية الابطال الذين يتقمص اطفالنا ادوارهم .

يظهر ان عليكم صياغة فهمكم لادب الاطفال .

— تصوروا مجلة حجم باب الاشتراك فيها فقط يمكن جماعيا كصف مدرسى او مجموعة اطفال او فرقة طلائع . . . يحمل المجلة ساعيا البريد ، يقلبان اول صفحاتها وهناك .. تاريخ فى صور ، حيث يمكن اقتطاع الاشكال اللازمة للسيناريو والعاب للطاولة والبيارق المصغرة ، الاقنعة ودروع الفرسان ، الصق ، لون ، كرته ..

وهكذا عدد واحد من المجلة يستمر العمل فيه لشهر كامل . للاسف لست انا من ابتدع ذلك بل الكاتب يورى بوستنكوف (ولقبه الادبى دروجكوف).. حاكم الفهم ، الرمز ، والموديل . رغم ان هذا كله غير مطبق على الواقع .

وايضا .. عرضوا على ذات مرة ابتكار برنامج تلفزيونى مرح للاطفال وهكذا قررت دعوة هيئتى تحرير مجلتى «موزيلكا» و«الصور المرحة» الى احد معسكرات الطلائع المعروفة «ومن سبق اكل النبق» اى للفائز قالب كاتو (تورته) جائزة .

تقفل هيئة التحرير الابواب على نفسها وتبدأ مسابقاتها بالجرى وبالجواسيس وتغيير الملابس ، وعبور النهر . ونحن نصور كل ما يجرى على الشريط .. وها هو رئيس تحرير مجلة «الصور المرحة» يشرف على الغرق اثناء عبوره النهر لكنه يطفو للمرة الاخيرة على السطح ليقول : «يا اولاد تعلموا السباحة» .

— هذا مضحك فعلا .

— كما ضحك العاملون فى مؤسسة التلفزيون : «هذا غير ممكن : ان فى هيئة التحرير اناسا جديين ، ان هذا غير لائق اليس كذلك ...

ان الامكانية الوحيدة لخلق احتكاك بين الكبار والاطفال فى الظروف غير الخارقة هى اللعبة . وهذا يعنى ان يسود جو اللعب فى ادب الاطفال . قال بيلينسكى : «العيد الدائم هو كاتب قصص الاطفال» .. ولذا يجب ان يجسد الكتاب هذا العيد ، لا العيد الخيالى الوهمى ، بل عيد نعيشه ، ونلمسه شخصيا ، فقط بهذا المفهوم يكون الطلب على الكتاب مضمونا — سواء فى سوقنا المحلية او فى حالة التصدير .

— ماتعنيه «حالة التصدير» ؟ بالمعنى الواسع ؟

— اعنى بذلك ما هو ممكن (بالنسبة لهم) وغير مفهوم (بالنسبة لنا) . لقد عرض على ذات مرة خمس دقائق بث بالراديو حيث يجب ان ابث يوميا على الاثير لاطفال امريكا : الخرافات والنكات والحوازير — باختصار منحت حرية مطلقة ، ووافقت على التراجم بشرط واحد : ان يوجه البث للاطفال السوفييت ايضا ، وكان الرفض من نصيب شرطى هذا .

— اسألكم بجدية يا ادوارد نيقولايفيتش : ماذا يمكن ان يقدم ادبنا الطفولى للقارىء الاجنبى ؟

— يمكنه ان يقدم بطله الرئيسى وهو الطفل السوفييتى ، صدقنى ان مثل هؤلاء الاطفال لن تجد فى مكان اخر لقد كتب احد صحفيى المانيا الغربية يقول : «ليس فى مقدرتى تقديم البرهان ، ولكن ثقوا بكلامى ، ان تلميذ المدرسة السوفييتى لا يمكنه الايحاء بدارسة زميله فى معهد الدراسة !»

ان اطفالنا يملكون روح الفكاهة الفريدة وروح جماعية ، وواقعية تولد منها شحنة التفاؤل التى تشبع الناس احساس الثقة وعدم الخوف من الغد . ان التفاؤل الطفولى هو الاكثر شرفا وواقعية وتعقلا ، فلا يمكن له ابدا ان يثير الضجر ولا لاى كان .

من المفيد جدا ان نتزود بهذا فى زمننا ، حيث يكاد الياس ان يتفوق على

(البقية على ص ١٥)

حاجتنا الى الديمقراطية كحاجتنا الى الهواء

تلبية لطلب هيئة التحرير يعلق على نتائج الاجتماع الكامل الاخير للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى رئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى فى جمهورية متحدة ، وامين لجنة الحزب فى مقاطعة ، ومدير مصنع .

«يعتبر الاجتماع الكامل ان من الضرورى انتهاز جميع الفرص لتوسيع الديمقراطية الاشتراكية وتطوير النظام السياسى السوفيتى الى اقصى حد وملء عمل الهيئات الحزبية والحكومية والمنظمات الاجتماعية بالمضمون الديمقراطى الحقيقى وتوفير الظروف لزيادة تاثير المواطنين فى اختيار الكوادر ومراقبة عملهم» .

من قرار الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى «حول التجديد وسياسة الحزب فى مجال الكوادر» .

ما هو برنامج المرشح



ارنولد رويتل
رئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى لجمهورية استونيا السوفيتية

السلطة فى بلادنا للسوفيتات ، غير ان هذا المبدأ كان يتطبق بقدره الكامل على السلطة التشريعية العليا مدة طويلة ولم تصبح مجالس السوفيت المحلية سيدا حقيقيا فى مناطقها حتى الان فكثيرا ما يتدخل فى نشاطاتها دون مبرر المسؤولون الكبار العاملون فى مجال الاقتصاد . ثمة امثلة كثيرة تدل على ان البلدة او الناحية تعيش باشراف مدير مصنع كبير او مجمع انتاجى يقع فيها ، لان كل الاموال والمواد والوسائل متركزة فى يديه ، كما انه يقرر كم عاملا ومتى يرفدون للبناء الذى يحتاج اليه اهالى المنطقة ويحدث انهم ينتظرون بناء المشروع الذى يحتاجون اليه حاجة ماسة كمستشفى او روضة اطفال او متجر اعواما عديدة .

يتوجه السوفيت المحلى بعموده الى هيئات المقاطعة والجمهورية طبعا . لكن النظر فى احتياجات كل النواحى وتوزيع الاموال عليها يستغرقان وقتا . اننى اتحدث على سبيل المثال عما اعرفه من تجربتى . لقد طلب الناخبون الى ان اساعدهم فى بناء مخبز فى ناحية فيلياندا . غير انى لم استطع حتى الان التوصل الى ان يتخذ قرار بهذا الشان ، على الرغم من صلاتى القديمة (كنت فى الماضى سكرتيرا للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاستونى ، والنائب الاول لرئيس مجلس وزراء الجمهورية) لكن اهالى الناحية فى حاجة الى الخبز الطازج الذى ينقل من مكان بعيد ، وهذا امر معقد وغال .

انى اعتقد بان كل مدينة وناحية يجب ان تملك من الاموال ما تحتاج اليه . وينبغى ان تتالف ميزانيتها من العائدات من المصانع والمزارع الحكومية بقدر معين على كل عامل . واذا عانت المؤسسة نقص اليد العاملة واضطرت الى دعوة العمال من غير سكان المدينة فينبغى ان تدفع الى ميزانية المركز السكانى او الناحية مبلغا اكبر لان المدينة لم تخطط زيادة عدد سكانها اما العاملون المهاجرون فسيحتاجون بطبيعة الحال اضافة الى المساكن الى المساعدة الطبية ووسائط النقل والسينما والمطعم والمدارس لاطفالهم .

وعلى السوفيتات ان تقرر توزيع تلك الاموال وتحديد ما يجب بناؤه بالدرجة الاولى واختيار موقع المساكن الجديدة وتنظيم مرور الترولليباص او الباص فى الشوارع .

يقال الان الكثير عن ضرورة نشر الديمقراطية على الادارة وتغيير نظام الانتخابات وضرورة ترشيح عدة مرشحين للمقعد الواحد فى مجالس النيابة . لقد اظهرت تجربة الاعوام الاخيرة ان بعض المرشحين ممن اوصت بانتخابهم الهيئات الاعلى ، لم يلق تأييد الناخبين .

ان للاختيار بين عدد من المرشحين افضليته لان الناس لن يقارنوا بين سيرة المرشحين ومواهبهم ومؤهلاتهم العلمية والتنظيمية فقط بل كذلك بين مناهجهم . وبرنامج المرشح هو عبارة عن اقتراحاته حول استثمار ميزانية المدينة . ولذا لن يصوت الناخبون لشخصية معينة بل كذلك لمخطط تطوير ناحيتهم الذى يروقهم اكثر .

اما المرشحون الذين لن يجمعوا ما يكفى من الاصوات فيمكن ترشيحهم فى الانتخابات التالية اذا ما اقتنع الناخبون بان اقتراحاتهم اكثر ملاءمة لمدينتهم او ناحيتهم .

ان الانتخابات بهذا الشكل غير مالوفة لنا اليوم لكنى اعتبر ان تعلمه امر مفيد للجميع كله .

ولا داعى للاحتراس من انتخاب انسان غير صالح ، او انسان «دخيل» . ان مجتمعنا قوى بحيث يكون اختياره صائبا ، وقادر على تعديل الخطا الذى يمكن ارتكابه . وقد ارتكبت الاخطاء حتى الان كذلك وكثيرا ما عاد سببها الى ان الهيئات الانتخابية وجدت بين اعضائها اولئك الذين «انتخبوا» بحكم مناصبهم .

لقد اكد الاجتماع الكامل للجنة المركزية ان ليس من حق اية هيئة تنفيذية القيام بوظائف هيئة منتخبة والتفوق عليها . هذه قضية مبدئية .

حق الاختيار



فاليرى توسوف
المدير العام لمجمع «مصنع الرولمانات رقم ١» فى موسكو

كان ذلك مجرد اشاعات وجدال فى دهاليز ولجارب اوق . اما الان فقد قيل من على منبر اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ان اسرة المؤسسة يجب ان تحس بانها صاحبة المؤسسة وبالتالى يجب ان تاخذ صلاحية حل قضايا الكوادر بعبارة اخرى ان العمال هم الذين سيختارون لانفسهم رؤساء الاقسام ومديرى المصانع . تساءلت بعد ذلك بينى وبين نفسى من الذى كان قد انتخب رئيسا لمجمعنا لو اجريت الانتخابات قبل عامين حين عينت انا مديرا عاما له ؟ ففى العام الماضى قدمنا الى عمال المجمع من الشقق ما كانوا قد حصلوا عليه خلال الاعوام الخمسة السابقة كلها . وبدا المجمع المصاب بالمرض المزمن لعدم تحقيق الخطة يحققه وتخلى عن الاعمال الاستثنائية ... انهم صوتوا للنظام القديم لان التناقض الغريب لايزال موجودا لدينا : فكلما كان عمل المصنع اسوا حصل العمال على مكاسب اكثر . وذلك لان المشروع يتلك بكل السبل ويعمل العمال فوق ساعات العمل العادية دوما ويحصلون على اجور عالية فى عملهم ايام الاحد .

اعتقد ان الانتخابات الحقيقية هى امتحان قاس . اى ليست مجرد اقتراع لصالح المرشح الوحيد او لصالح القائمة التى نزلت من الفوق «بل انها اختيار تابع لارادة الفرد ويؤثر على عمله . لم يتعود الناس على انهم هم الذين يستشارون ويصغى الى ارائهم ان الخمول الاجتماعى هو كذلك ثمرة للركود خلال عشرة اعوام .

انظروا الى مجمعنا . لا تزال فيه مناصب – رؤساء ثلاثة اقسام ومنصب رئيس المهندسين – شاغرة بينما يعمل فى المصنع كعمال اكثر من مئة خبير من ذوى التحصيل العالى . وذلك لانهم لا يريدون الصعود فى سلم المناصب اذ انه يفرض مزيدا من المسؤولية .

هل نستطيع اليوم اجراء الانتخابات ولم نجد حتى الان مرشحا واحدا للوظائف الشاغرة ؟ كلا طبعا ان المنافسة فى احتلال هذا المنصب هو الشرط الاول برايى لانتخاب المسؤول .

اجل ، الانتخابات ضرورية لاسيما فى مناصب الادارة الدنيا ولكن لا يجوز تخويلها الى ترضى فيمكن ان يتمكن رئيس الفريق الطليعى من مخاطبة الاجتماع بصورة صائبة ، ولكنه غير صالح ليحتل منصب رئيس القسم ، لان الادارة هى علم وليس تكليفا .

على الرغم من انى بدات عملى كعامل تنسيق فى المصنع الرولمانات ، حيث كان والدى يعملان وكان بيتنا قريبا من المصنع ، دعيت للعمل من احدى مؤسسات موسكو الضخمة الاخرى . لتعزيز كوادر المجمع فاضطررت الى نقل بعض الخبراء الجدد اليه . واعتقد الان بانى لم اخطا فى اختيارى . ولكن هل يمكن القيام بمثل هذا الاجراء فى مجال الكوادر فى ظروف انتخابهم جميعا ؟

اتصور انتخابات المدير العام فى مصنعنا غدا . هل سيستطيع معظم العاملين فى مصنعنا ، وعددهم يقترب من ٤٠ الف شخص تقدير وتقييم المرشح بصورة موضوعية ؟ وربما من الافضل ان يجرى فى مثل هذه المؤسسات الضخمة استفتاء الجميع علنا حول ثقتهم بالمدير بعد فترة معينة من عمله لا انتخابه باقتراع الجميع ؟

اننا نتحدث بجدية عن انتخابات الكوادر القيادية مع اننا لم نتخل فى بعض الاماكن عن اختيارها بصورة بدائية ان نعتمد على معطيات استمارته لا اعماله . فيحاولون احيانا عدم القاء النظرة الى ما وراء تلك المعطيات .

ان حق الاختيار حق ممتاز اذ انه جوهر الديمقراطية بالذات ولكن يجب ان نتصور بوضوح كيف يمكن استخدامه . يجب الحيلولة دون ارتكاب خطا فى هذا المجال ، وهذا ما يقلقنى .

لا تكرار لاخطاء الماضى



فيكتور دوبريك
الامين الاول للجنة الحزب الشيوعى فى مقاطعة لفوف فى اوكرانيا

انى واثق بان ثمة نواقص يجب الا تتكرر فى حياة مجتمعنا من ضمنها الظواهر السلبية التى تبينت عواقبها فى اواخر السبعينات واوائل الثمانينات . هل هناك ضمانة تمنع عودة الاخطاء؟ بلا شك . انها نشر الديمقراطية على كل نواحى حياتنا بانتظام الامر الذى كان مثار المناقشة بحماس وقناعة فى الاجتماع الكامل الاخير للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى .

لنقل بصراحة ان الاخطاء التى نتحدث عنها الان كانت ملحوظة وبينة فى الماضى . وكان الشيوعيون يتحدثون عنها بقلق فيما بينهم اما جهاز الديمقراطية العامل بمتانة والذى مكن من توحيد آراء الكثيرين لانتقاد النواحى السلبية فى حياة المجتمع وسلوك بعض القادة فى وقت مناسب فلم نملكه . واستمعنا بخجل فى اثناء اعمال الاجتماع ، الى غورباتشوف وهو يتحدث عن الجهاز الآخر الذى نشا لدينا فى الاعوام الماضية وهو جهاز كبح التطوير الاجتماعى الاقتصادى وعرقلة التغييرات التقدمية .

وابتداء من اجتماع نيسان (ابريل) للجنة المركزية نقول بصراحة وانتقاد ذاتى ان القضايا المتراكمة فى المجتمع مرتبطة الى حد كبير بالنواقص فى نشاط حزبنا . لذلك اصبح توسيع الديمقراطية داخل الحزب امرا هاما لا يمكن تاجيله . وحددت قرارات الاجتماع الكامل الاخير للجنة المركزية بداية هذا العمل . اقول «بداية» لان الاجتماع اشير فيه الى ان مواصلة نشر الديمقراطية يجب ان تشمل براى المكتب السياسى انتخاب هيئات الحزب المركزية .

اقول باستخدام المصطلحات المعاصرة ان الاجتماع كشف عن اكثر النقط حساسية . وفيما يخص تشكيل الهيئات القيادية، وهذه قضية هامة جدا ، كان الافراط فى «تنظيم» الانتخابات فيصة كبيرة ، ولم تكن تبدى ارادة الشيوعيين اعضاء القاعدة الا بصورة ضئيلة جدا . وحدد قوام تلك الهيئات القيادية بصورة خفية وحسب مبدأ «من فوق الى تحت» دون اخذ تمنيات اعضاء الحزب العاديين بعين الاعتبار . اما نتائج ذلك فهى معروفة . اذ يفقد الاهتمام بالانتخابات نفسها لانه تاثير هذا فى الامور يقل اكثر فاكثر . ويتكون لدى القادة فى الوقت نفسه احساس بان كلمتهم هى الفاصلة ولا يمكن مناقشتها . وتنشا هذه الظاهرة كما هو معروف فى ظروف لا يتحمل فيها القائد المسؤولية امام العاملين معه بل علاوة على ذلك فانها مقلوبة راسا على عقب حيث يتوقف كل شىء على مزاج القائد .

ويفعل الان كل ما يلزم لتتوفر كل الظروف لتعبير الشيوعيين عن ارادتهم فى اثناء انتخاب سكرتاريى المكاتب واللجان الحزبية ويتغير نظام انتخاب الامناء ابتداء من لجان المنظمات الحزبية فى النواحى الى اللجان المركزية للاحزاب الشيوعية للجمهوريات السوفيتية . فمن الان سينتخبهم المشتركون فى الاجتماع الكامل بالاقتراع سرى . واعرف الان تماما من تجربتى باعتبارى امارس العمل الحزبى خلال اعوام عديدة وبدات فى وقت ما امينا لمنظمة القاعدة ، ان دواعى الاضطراب والقلق ستكون لدى كثير من امثالى قبيل الانتخابات . صحيح ان الامين الاول للجنة الحزبية انسان معروف ترفع ضده دعاوى كثيرة دوما . ويمكن ان يصوت ضده كثير من الناس . وعلى الرغم من ذلك فانا واثق بـان الشيوعيين يؤيدون كل من يعيش بكرامة دون اخفاء شىء .

ولا يتوقف توسيع الديمقراطية الحزبية على هذه الاجراءات او تلك فقط . فيحددها كثيرا اسلوب عمل كل منا . ان نشر الديمقراطية بانتظام على حياتنا ، الذى يجرى تحقيقا للقرارات المؤتمر السابع والعشرين لحزبنا والذى تؤكده ممارسات اللجنة المركزية ومكتبها السياسى ، لا تطبقه المنظمات المحلية بالقدر الكامل . ولا اظن ان ذلك نتيجة لقصد شرير . بل الارجح ان ذلك يتجسد فيه عدم معرفة العمل فى ظروف الديمقراطية . ولا يطرا هذا التغير فورا ، فاسلوب عملنا انعكاس لطريقة تفكيرنا وكان ميخائيل غورباتشوف محقا تماما حين اوصى فى كلمته الختامية فى اجتماع كانون الثانى (يناير) الماضى قائلا : «فلنبادر الى تعلم العمل فى ظروف انتشار الديمقراطية . ولنتعلم نحن جميعا» .

لكـــم شخصيـــا ؟

جواب لقارئ يشكو من الزمن

وردت الى عنوان رئيس مجلس ادارة وكالة نوفوستى للانباء رسالة كتب عليها : «لكم شخصيا» . لذلك نقتصر على ذكر الاحرف الاولى من اسم المرسل . ونقدم لكم نص تلك الرسالة .

«اننى اكتب لكم بشعورمن القلق العميق بصدد النواقص الكبيرة (او ربما الاخطاء السياسية) فى الموقف الايديولوجى لصحيفة «انباء موسكو» التى تصدر عن وكالتكم وتوزع فى ١٤٠ بلدا .

لقد تغير موقف الصحيفة الفكرى تغيرا جذريا بعد تبديل قيادتها .

اليكم بعض الامثلة .

كتبت الصحيفة فى عددها المؤرخ فى ١١ كانون الثانى (يناير) الماضى على صفحتها الاولى باحرف كبيرة «لنتعلم الديمقراطية» . فهل نبدأ الان فقط تعلم الديمقراطية بعد ان عشنا ٧٠ عاما ؟

ونشرت الصحيفة على الصفحة العاشرة من العدد نفسه مقالا بعنوان «العودة» يبرر عدم عودة تاركوفسكى الى الوطن وعلاوة على ذلك جاء فيه ان فننا السينمائى هو سراب فقط. اما مؤلف مقالة «الجذرى» فقد وصف كل من يعمل من اجل تطبيق التعاليم اللينينية حول التزام الادب والفن بانهم «حاقدون فكريون» . وتضمنت المقالة المنشورة تحت عنوان «طاقة المعرفة التاريخية» خطاب مدير معهد التاريخ والارشيفات فى جلسة مجلس العلماء التابع للمعهد والذى ضارب فيه بقضايا عبادة الفرد ودعا الى اعادة النظر فى تقييم نشاط المعارضين على اختلاف انواعهم ووافق الى حد ما على اعتبار انحرافات المناشفة ومختلف اشكال المنشفية مجرد التسميات كانت نتيجة لحملة اطلاق البطاقات على الناس ، وهلمجرا . ان هذا النهج ملحوظ ، وياللاسف ، فى اعداد الصحيفة الاخرى .

ونشر فى العدد ٤٥ الصادر فى ٩ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٨٦ مقال بقلم رايكين زعم فيه ان بلادنا تعمها «الفوضى الاقتصادية» . بدلا من «النجاحات الهائلة» و«الخراب بدلا من العمل البطولى» .

يبدو لى ان العدو اللدود للاتحاد السوفيتى يخجل من وصف وطننا بهذا الشكل .

ونشر فى ١٤ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٨٦ نص الخطاب الذى القاه شتروف (كنيته الحقيقية مارشاك) فى مؤتمر فنانى المسرح ، والذى زعم فيه ان الحياة الروحية فى المجتمع السوفيتى كانت مجردة من المضمون وان نفسية العبيد والخمول الاجتماعى السياسى كانت سائدة . ثم اضاف قوله ان «**التاريخ يجود علينا اليوم بفرصة اخرى وعلينا الا نفوتها**» .

فما هى الفرصة التى يقصدها ؟

من يخدم هذا الموقف الفكرى للصحيفة التى توزع فى العالم كله ؟

العلنية فى حاجة الى الحكمة

عضو الحزب الشيوعى السوفيتى من عام ١٩٣٩ ا. م. ل.
مدينة موسكو ، ٨٧/١/١٣»

حديث معه ...

اننا كنا فى انتظار مثل هذه الرسالة ولا اقول اننا كنا نذهب كل يوم الى مكتب البريد لنسال عنها ، بل كنا فى انتظارها ، واثقين بان نتسلمها اليوم او غدا . انت لست من معارفنا طبعا . وان المواضيع التى تعالجها صحيفتنا لابد ان تزعج فئة معينة من الناس . فمن المعروف ان التجديد قد حرك قوى المجتمع السليمة لكنه لم يحركها هى وحدها .

على كل حال يجب الاعتراف بان الرسالة تترك اثرا . وعلى الرغم من تغير الاوضاع تعكر الاشارة الى «الاخطاء السياسية» المزاج . لذلك لنبدأ من الوقائع .

كتبت تاتيانا خلوبليانكينا فى مقالتها المنشورة بعنوان «العودة» «ان زوبعة التطهير التى هبت فى المؤتمر الخامس للسينمائيين قد بددت ذلك السراب الهائل، الذى كدنا نعتبره واقعا لنجاحات فننا السينمائى» . اما انت فتنسب اليها انها وصفت فننا السينمائى بانه سراب وكتب ليونيد ليخوديف فى مقالته الهجائية «الجذرى» يقول : اننا نرد على حملات اعدائنا الحاقدين الفكريين احيانا بحماس شديد الى درجة تبدو معها كاننا كل مرة نقدم امامهم «الامتحان لنيل شهادة الرشد» . اما انت فتزعم ان المؤلف اطلق تسمية الحاقدين الفكريين «على كل من يطبق التعاليم اللينينية حول التزام الادب والفن» .

لقد قال البروفيسور يورى افاناسيف مدير معهد التاريخ والارشيفات متحدثا فى مجلس العلماء للمعهد ان الطلبة يجرى اطلاعهم على رسائل ومقالات لينين الاخيرة بصورة سطحية كما تنقل اليهم تقييماته لاعضاء اللجنة المركزية بشكل احادى الطرف . اما انت فاتهمت العالم بالمضاربة بـ«قضايا عبادة الفرد» .

وتحدث اركادى رايكين من على منبر المؤتمر التاسيسى لاتحاد فنانى المسرح فى روسيا (ونشرت الصحيفة خطابه هذا وليس مقالته) عن اولئك الذين كانوا يتكلمون امس عن شىء ويصرخون اليوم عن شىء معاكس فبدلا من «النجاحات الهائلة» يتحدثون عن الفوضى الاقتصادية وبدلا من «الانجازات العظيمة» يتحدثون عن الخراب ، وبدلا من «العمل البطولى» يتحدثون عن «ادمان الخمور» اما انت فتقول لا فى صدد مثل اولئك المتكيفين ، بل فى صدد رايكين : «حتى العدو اللدود للاتحاد السوفيتى يخجل من وصف وطننا بهذا الشكل» .

ولنختتم بذلك استعراض مراجع الافتراء . ان التشويه والتزوير هما الوصفة الرئيسية التى تستخدمونها ولكن لهذه الحرفة تسمية هى تاليف الرسائل مغفلة التوقيع فقدت فى ايامنا معناها لان هذه الرسائل لاتزال تقرا اما التحقيق اعتمادا عليها فتقرر كما يقال التخلى عنه نهائيا . لذلك نرى تحت رسالتك اسما منتشرا جدا اما عنوانك فلم تكتبه اطلاقا . ويعنى ذلك ان تتلاشى بالتدريج الثقة بان يلقى مثل هذا التصريح التاييد التام على الفور .

... وتاملات فيه

لعلنى لست محقا فى وصف القارىء الذى فضل البقاء فى الظل ، بانه بسيط وبدائى لهذه الدرجة وبانه زور الوقائع عن عمد . من الارجح ان نرى هنا ظاهرة اخرى هى تلقائية التفكير ، حيث يبدو اى راى اخر مختلف رايا عدائيا ولا حاجة الى محاولة التفكير فيه واستعراضه بصورة صحيحة . ان قوالب هذا التفكير ضيقة وقاسية للدرجة انها لاتتسع لقبول اى مظهر غير عادى من مظاهر الفرح بما فى ذلك القهقهة والغضب البين والحزن الواضح ، واى انفعال انسانى غريب عليها ولاتقبل حتى الفاجعة والموت مثل فاجعة وموت المخرج تاركوفسكى اللذين منعاه من العودة الى الوطن ...

لقد اثرض القارىء بتوجيهه هذه الرسالة كما يظهر انه يشكو من صحيفة «انباء موسكو» غير انه يشكو من الزمن فى حقيقة الامر . انه يرى الاسباب فى تبديل رئاسة هيئة التحرير ولا يلاحظ تلك المبادىء الفكرية التى اخذت تنتصر بعد الاجتماع الكامل للجنة المركزية المنعقد فى نيسان (ابريل) وفى المؤتمر السابع والعشرين للحزب وفى الصحافة السوفيتية العاملة بروح هجومية والناطقة بصرامة من اجل العدالة الاجتماعية ، والتى لا ترى امامها مواضيع ممنوعة سواء اكانت تخص حاضرنا ام ماضينا .

ان القارىء الذى انضم الى الحزب قبيل الحرب الوطنية العظمى ، قد عاش كما يبدو حياة عسيرة جديرة بالاحترام المخلص . واننا نفهم وحتى نحس كم من الصعب على الرجل المسن العدول عن البديهيات التى تحولت فجأة الى قضايا ولكن لاينبغى للمرء الذى صاحبت شبابه اغنية «انطلق يا قطارنا الى امام ...» ان يركب عربة قطار ويسدل ستائر النافذة ويتوهم بانها تتحرك ويلوم كل من يحاول اخراجه من ذلك الوضع .

اجل ، ان التحولات الثورية آتية و«يتكون فى البلاد جو اخلاقى معنوى جديد كما قال ميخائيل غورباتشوف فى الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب فى كانون الثانى (يناير) الماضى وتجرى اعادة تقييم القيم واعادة ادراكها بصورة مبدعة ، وبدات المناقشة حول طرق تحقيق التغييرات فى الاقتصاد والمجال الاجتماعى والروحى ، ويتسع البحث عن اساليب جديدة للعمل التنظيمى والفكرى» . يجرى صراع بين الاراء . وقارئنا هذا ليس بالمستوى المطلوب لفهم كل ذلك ، ومن البديهى الا يمثل موقف البروفيسور افاناسيف الحقيقة بصيغتها النهائية كما يخطىء احيانا الكاتب المسرحى شاتروف . ولكن ناقشهما وبرهن على انهما ليسا محقين جهارا . غير انه فضل التنبيه الى «الاخطاء» «شخصيا فقط» . اذ تعود على عادة النقل من يد الى يد بتلميح عميق المعنى ، وهو خطر بذلك ، لان من الخطر ان يبارز انسان بلا قناع انسانا يلبس قناعا حديديا .

ان هذه الرسالة ، وليست هى وحدها طبعا ، تقنع باننا فى حاجة ماسة ملحة الى تعلم الديمقراطية ، وتعلم العمل فى ظروف الديمقراطية المنتشرة الديمقراطية التى تمكن من معاملة اصحاب وجهة النظر المتناقضة معاملة المناقشين اللائقين لا تسميتهم اعداء على الفور وقد كتب لينين فى حينه يقول : «ينبغى الامتناع من رؤية «الدسيسة» او «المعارضة» فى المخالفين بالاراء او المواقف من العمل ، بل يجب تقييم اناس مستقلى التفكير» .

يمكن ان نوافق فقط على السطر الاخير من الرسالة : «**ان العلنية فى حاجة الى الحكمة**» . ولكن ينبغى قبل ذلك الاتفاق على ما هى الحكمة . فالبعض يعتبر ان كل من يحذر ويوقف وينذر هو حكيم . اما البعض الاخر فيثق خلافا لذلك بان الحكمة الحقيقية لا يتمتع بها اولئك الذين يدعون الى عدم العمل . فما الذى كان فيه مزيد من الحكمة : نشر هذه الرسالة بنصها الكامل دون حذف اية كلمة منها ، ام التزام الصمت ازاءها ؟

كان البعض يعتبرون ان الحكمة الابدية تتلخص فى «شد الصمولات» واصبح اصحابها صمولات او لوالب صغيرة فى جهاز القرملة الاجتماعية والاقتصادية الذى ظهر للوجود فى بلادنا ، ويا للاسف ، فى الاعوام الاخيرة .

فبدما طالت التاملات فى هذه الرسالة اتضح الادراك انها كتبت نتيجة لعدم الثقة بقوانا المشتركة واخلاصنا المشترك للاشتراكية . اننى اسمح لنفسى بالقاء نظرة الى التاريخ ، كان الكثيرون يتساءلون مرارا لماذا ظل البلاشفة متمسكين بزمام الحكم ؟ فمنذ شباط الى تشرين الاول (فبراير – اكتوبر) عام ١٩١٧ كانت السلطة فى روسيا فى ايدى جميع الاحزاب السياسية الروسية بالتناوب ولم يحافظ عليها غير البلاشفة لماذا ؟ بعد سقوط الحكم الملكى المطلق تصاعدت موجة شعبية عملاقة بايحاء من كلمة الحرية اللذيذة . واراد كل حزب فى مسيرته نحو مقدمة خشبة المسرح السياسى ترويض تلك الموجة وسد الطريق بوجهها . لكن البلاشفة هم وحدهم الذين استطاعوا الانضمام الى مسيرة الشعب دون الوقوف بوجهها .

ويسير الحزب اليوم مع الشعب وتتجسد فى ذلك حكمته . ويعلن ان التجديد يعنى الاعتماد على ابداع الجماهير الحى وتطوير الديمقراطية فى جميع النواحى والحكم الذاتى الاشتراكى وتشجيع المبادرة والعمل المستقل وتوسيع العلنية والانتقاد والانتقاد الذاتى فى كل مجالات الحياة فى المجتمع ورفع احترام قيمة الفرد وكرامته الى مستوى عال . هذه هى الفرصة التى ذكرتها الصحيفة . وعلينا الا نفوت هذه الفرصة التاريخية .

يزور هيئة تحرير صحيفة «انباء موسكو» المراسلون الاجانب احيانا وقد سال احدهم مؤخرا : «انكم كثيرا ما تكتبون عن خصوم التجديد . فمن هم ؟ اعرضوا على ولو واحدا منهم» لقد اريته هذه الرسالة . فطالعها الضيف واخذ يهز راسه ، اشارة الى انه ادرك .

يغور ياكوفليف

اسئلة الى فلاديمير لينين

(بقية المنشور على ص ٨)

لفوف وغوتشكوف ، مناصب هامة فقط مناصب رئيسية ، مناصب حاسمة-الجيش والموظفين – انها حكومة يجلس فيها ميليوكوف وغيره من الكاديت للتزيين والاعلان وللخطابات البروفيسورية المعسولة اما «الشغيلة» كيرينسكى فيلعب دور آلة البالالايكا الموسيقية لخداع العمال والفلاحين – ان هذه الحكومة ليست تجمعا عفويا لاشخاص .

انهم ممثلون لطبقة جديدة صعدت الى السلطة السياسية فى روسيا ، طبقة الاقطاعيين الراسماليين والبرجوازية التى تدير بلادنا اقتصاديا منذ زمان ... ان هذه الطبقة الجديدة كانت عند دفة الحكم كليا «تقريبا» عند حلول عام ١٩١٧ ولذلك كانت اول الضربات للقيصرية كافية لانهيارها ، ولتمهيد الطريق امام البرجوازية .

ما الذى يمكن انتظاره – وعدم انتظاره – من هذه الحكومة ؟

لينين : لاتستطيع الحكومة الجديدة ان تعطى شعوب روسيا (ولا تلك الامم التى ربطتنا بها الحرب) لا السلام ولا الخبز ولا الحرية التامة ، ولذا ينبغى على الطبقة العاملة ان تواصل نضالها من اجل الاشتراكية والسلام ، ويجب ان تستغل من اجل ذلك الوضع الجديد وتشرحه لاوسع الجماهير الشعبية .

ماذا يعنى «الوضع الجديد» ؟

لينين : الى جانب هذه الحكومة ... ظهرت حكومة عمالية رئيسية غير رسمية وغير متطورة بعد ، وضعيفة نسبيا ، تعبر عن مصالح البروليتاريا وكل القسم الفقير جدا من سكان المدينة والريف ، انها – سوفييت نواب العمال فى بطرسبورغ ، التى يبحث عن اتصالات بالجنود والفلاحين وكذلك بالعمال الزراعيين ، ومعهم طبعا بشكل خاص ، بالدرجة الاولى اكثر مما مع الفلاحين ...

ان سوفييت نواب العمال هو منظمة العمال ، جنين الحكومة العمالية ، والمعبر عن مصالح كافة جماهير السكان الفقيرة جدا ، اى تسعة اعشار السكان ، والساعى من اجل السلام والخبز والحرية .

قبل الانتقال الى الشقق الجديدة وليس بعده

سينجز في العاصمة بناء زهاء ربع مليون متر مربع من الشقق ذات التصميم الجديد حسب رغبة الناس وباموالهم . وقد اتخذت هذا القرار اللجنة التنفيذية لمجلس بلدية موسكو .

ويحصل مئات الالوف في موسكو سنويا على شقق جديدة . ومعظمهم يحصلون عليها مجانا : وهذا واحد من اكبر منجزاتنا . لكن كلما ارتفع نمط حياتنا اصبحنا اكثر تعنتا ونحصل على وثيقة امتلاك الشقة دون ثمن . لكننا نبدأ بالصرف فيما بعد وسبب ذلك معروف وهو التشذيبات الاخيرة الرديئة للشقق .

حدثني رئيس ادارة البناء (من بورجيا) ان الناس كثيرا ما ينتقلون الى بيوت جديدة من طوابق عديدة وفي اليوم التالي ينشأ في الفناء جبل من الابواب المصنوعة من نشارة الاخشاب المضغوطة . اي ان اول ما يقوم به السكان الجدد هو استبدال هذه الابواب باخرى ذات نوعية اجود وفي كل مرة تتحول المنتوجات التي انفق عليها زهاء ٧٥ الف روبل الى ركام من الانقاض . حين سمعني اليكسندر سيرجاتوف رئيس ادارة الاعمال التكميلية لادارة البناء الرئيسية في موسكو ، قال : لا يحدث مثل هذا في موسكو . لكن للحقيقة اقول انه لا توجد عائلة في موسكو لم تستبدل اوراق الجدران قبل الانتقال الى الشقة الجديدة حسب ذوقها ، وهذه خسارة مادية ومعنوية كبيرة .

في سنة ١٩٨٣ بدانا في تحسين اعمال التشذيب في الشقق بناء على رغبة السكان وباموالهم . وقد نجحت هذه التجربة وغدت قاعدة لبعض المناطق .

ما هي انواع العمل التي تقدمها للسكان بمواد من صنع وطني ؟ بدلا من غطاء الارض المصنوع من مادة اللينوليوم نضع باركية (من الخشب) ويمكن طلاء السقف بمادة صبغية عازلة ولصق الاوراق ذات النوعية الجيدة من مصنع غوميل على جدران الشقق ، وهذا المصنع يعمل بتجهيزات اجنبية ، وتثبيت قطع الالواح ذات الرسوم الزاهية على جدران الحمام ، كما يمكن تلبيس الابواب والدواليب بانواع جيدة من الاخشاب ، كم يكلف ذلك ؟ ٥٠٠ روبل لشقة من غرفة واحدة و١٢٠٠ روبل لشقة من ثلاث غرف . وهذا مربح للعائلة ، والتصاد بالمواد ايضا . سنبدا بهذه الاعمال في اوريخوفو – بوريسوفو وتولوكوسينو بيد ان هذه القائمة ، حسبما اعتقد تحتاج الى تدقيق : يمكن القيام بالاعمال التكميلية فقط في البيوت المبنية بشكل جيد ، لكن هل ان كل البيوت الجديدة جيدة ؟

يبنى في موسكو سنويا ٣٫٥ مليون متر مربع من البيوت . وحتى العام ١٩٩٠ سيتم تشذيب ربع الشقق حسب رغبة واذواق اصحابها .

ماريا عماروفا

اتحاد «ارباتر» الجديد

«ارباتر» – هكذا سمى الاتحاد الجديد لهواة الرسم الموسكوفيين الشباب ، والذي تم تشكيله في حي كيلسكى في العاصمة . ويتركب اسم «ارباتر» من «اربات» و«ريترو» .

وفي ندوة شبيبة موسكو المبدعة التي اقيمت في شارع كالينين كان بعض المشاركين يخشون من ان مقترحاتهم لن تلق الاستجابة . وهكذا بدات تتحقق الافكار التي ظهرت انذاك في مقهى «بيريوسا» . ويدل على ذلك معرض «ارباتر» الاول ، «لوحات المظهر الداخلي» والذي افتتح في زقاق سناروكوليوشيني .

ان سرعة وسهولة وديمقراطية تنظيم هذا المعرض لم يبق لها مثيل في تاريخ المعارض الموسكوفية . اذ وجدت لجنة الحزب المحلية وقسم الثقافة في اللجنة التنفيذية لسوفيت حي كيلسكى وجدت قاعة لهذا الغرض في غضون يومين فقط . وفي غضون يومين اخرين اختار مجلس الاتحاد ١٥٠ لوحة للمعرض بدون تدخل اي كان من المؤسسات وبدون لصالح الاساتذة وتمنياتهم . وهي لوحات لرسامين محترفين وهواة اليم هذا المعرض لهم .

– ما هو مبدأ تشكيل هذا الاتحاد ؟

فاجاب المسؤولون فيه :

– انضم الينا ممثلون لمختلف الوان الرسم ، مثل الرسام سيرغي ارلز واوليغ بوريان . وقد جمعتنا رغبة مشتركة – وهي ان نقدم الى موسكو اكثر مما قدمناه حتى الان . ونحن نطلب من المدينة ان توفر لنا الورشات وان تفسح المجال امام مبادرتنا ورسالوتنا – ما الذي تستطيعون عمله؟ والجواب على هذا السؤال يقدمه هذا المعرض .

علقت اللوحات في المعرض على الجدران بدون التزام نظام معين وكان احدا لم يفكر بتركيب اللوحات :

نواصل حديثنا مع رسامي «اربات» :

– وماذا بعد هذا المعرض ؟

– نامل ان يتحول الى سوق . اذ ان الحديث في ندوة الشبيبة قد جرى كذلك عن ان الرسامين ينبغي ان يكسبوا لقاء ما يبدعوله .

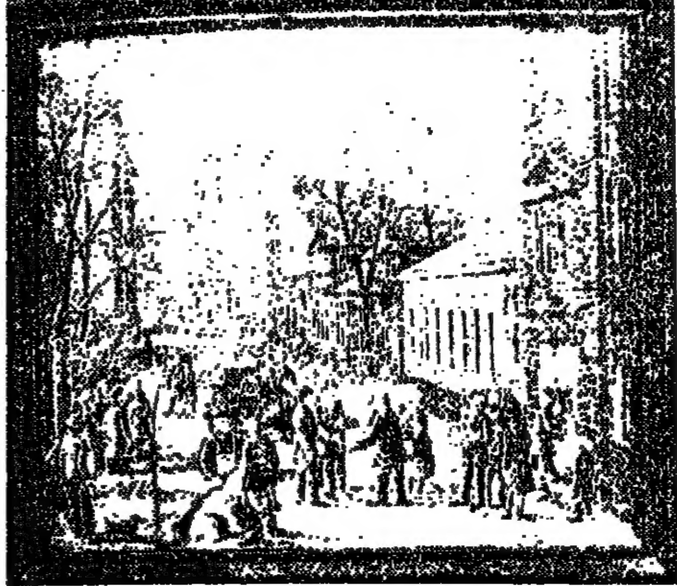
– وبعد ذلك . . .

– اقترحوا علينا ان ننظم ، من الناحية الفنية ، مختلف الاحتفالات والاسواق التجارية والمهرجانات الشعبية في المدينة . وبالامكان تحويل الربح الى حساب الاتحاد اذ سنحتاج اليه في المستقبل لترميم القاعات التي سيتم تخصيصها لاقامة معارضنا .

– لنرجع الى تسمية اتحادكم .

– نعم ، نحن سنهتم بمصير شارع اربات قبل كل شيء ، وهو الشارع الذي طرا عليه تغيير كبير ، ولكنه الان كئيب . ونحن نريد (بمساعدة الممثلين والموسيقيين) ان نعيد الى اربات طبيعته الحية المرحة ، بحيث يبقى محتفظا باسطورة الستينات حيث غناء بولات اوكودجافا .

ناتاليا سيفيرين



احدى لوحات المعرض

لن نطلق النار ...

(بقية المنشور على ص ٨)

ضخما عبر الشوارع معبرين عن استعدادهم للدفاع عن الحرية .

استقبل الشعب الجيش الثوري بفرح واصطفت القوات في جسادة غريتشسكي والى ذلك الحين كان يقف على راسهم ضابط صف ورقيباء فقط لكن سرعان ما انضم اليهم اول ضابط لسوري هو الملازم الثاني غيورغي استاخوف الذي ارتدى بزة الجنود .

وبعد ما تراس فوج فولينسكي انطلق الى جادة ليتيني مارا عبر شارعي زناميتسكايا وباسيينايا .

وعند بناية محكمة المنطقة جرى اصطدام مع مفرزة حكومية موالية للقيصر كانت تحرس جسر ليتيني وقيادة فوج المدفعية .

واشتبك الطرفان وتبادلا اطلاق النار .

قصد قسم من فوج فولينسكي قصر تافريتشيسكي الذي اصبح منذ هذه اللحظة مقر الثورة الرئيسي . وفي الساعة الواحدة ظهرا اعلن الامير غوليتسين رئيس مجلس الوزراء بعدما اتصل ماتفيا برودزيانكو اعلن بكل جبن انه قدم استقالته وانه لم يعد يرأس الحكومة .

وبعد ساعة كان الجيش الثوري يقف عند ابواب قصر الدوما الحكومية ...

خمسة من الذين ...

(بقية المنشور على ص ٩)

يعتبره سياسيا بارزا من الكاديت ويتابع خطاباته في الدوما والصحافة باهتمام .

وكان ميليوكوف مؤرخا كبيرا لم تفقد مؤلفاته اهميتها العلمية حتى يومنا هذا وكان دقيقا وجادا في ابحاثه ويتمتع بقدرة كبيرة على العمل . وبالاضافة الى كل ذلك كان يعزف على الكمان ايضا .

كان هذا السياسي الموهوب نظرا والمحب للاستنتاجات الواسعة يتميز بسمة غير مفهومة من الوهلة الاولى – ففي منعطفات التاريخ الحادة كان يرتكب اخطاء متتالية باستمرار مدهش – لقد كان يقيم الظروف بصورة خاطئة ، ويختار الطريق غير الصالح فهو كان مقتنعا تماما من ان الثورة لن تحدث في روسيا في ظروف الحرب ، وان عام ١٩٠٥ لن يتكرر بعد . وانطلاقا من هذا التخمين وجه ميليوكوف حزبه نحو الاتفاق مع القوى اليمينية ، معتبرا ان القوى اليسارية يمكن عدم اخذها بالحسبان .

* * *

لقد اصبح كل هؤلاء الاشخاص ، الذين جرى الحديث عنها ، ما عدا رودزيانكو وزراء في الحكومة المؤقتة ، ولكنهم لم يظفروا بالاكاليل في الميدان الجديد . كان التاريخ نحوهم قاسيا ، ولكنه كان عادلا – وقد اصبحوا في طي الارشيف لانهم لم يتمكنوا من حل المهام التي كانت تواجه البلاد .

٤٥ مخزنا تعاونيا

بطيخ آسيا الوسطى لذيذ جدا وحين ترغب بشراء بطيخة في الشتاء ينبغي ان تذهب الى السوق الكولخوزية وان تدفع ثمنها غاليا اما الآن فان الثمن قد انخفض الى النصف في مخزن التعاونية الاستهلاكية الطاجيكية الواقع في شارع سلفادور الليندي ، حيث ترى الراغبين من مختلف انحاء موسكو يتقدمون على شراء هذا البطيخ اللذيذ .

مخزن «طاجيكستان» هو واحد من واحد وعشرين مخزنا تعاونيا افتتحت حديثا في موسكو وبدات باستقبال الزبائن .

وسيبلغ عددها في نيسان (ابريل) القادم ٤٥ مخزنا وهذا هو قرار اللجنة التنفيذية لبلدية موسكو وادارة المركز التعاوني . وستفتتح في موسكو مخازن من هذا النوع لكل الجمهوريات المتحدة و١٢ جمهورية ذاتية الحكم ومن مقاطعات ومناطق روسيا الاتحادية .

ان افتتاح ٤٥ مخزنا في هذه المدة القصيرة ليس سهلا حتى بالنسبة لموسكو . فهل تسير الامور على ما يرام ؟ توجهنا بهذا السؤال الى فيكتور كوزمين المسؤول عن هذه المؤسسة الخاصة التي استحدثت لهذا الغرض في التجارة التعاونية لدى مركز التعاونيات فقال :

انا بحاجة الى عاملين .. نحتاج الى ٢٥ الف شخص فالتجارة في موسكو تعاني من نقص في الايدي العاملة يقدر بـ١٠ الاف شخص .

ولهذا السبب ننقل الناس من الجمهوريات الى موسكو ثم نعيدهم الى اماكنهم . ولم نحدد مسبقا اماكن حفظ البضاعة وتاخرنا في افتتاح مخزنين لتعاونيات اوكرانيا – من بولتافا وكيروفغراد .

وثمة مشاكل فيما يخص تحديد اسعار موحدة ، تاتي البضائع من مختلف انحاء الجمهوريات ، يمكن تحمل ذلك في الشتاء . اما في الصيف فلا يجوز اذ ان التاخير يسفر عن تلف البضاعة .

مارينا عماروفا



في متجر التعاونية الاستهلاكية لجمهورية تشيتشينو انغوشيتيا ذاتية الحكم في احد شوارع موسكو

الى محطة الطفولة

ستمد في معرض منجزات الاقتصاد الوطني للاتحاد السوفيتي في موسكو سكة حديد للاطفال .

كم سينقل هذا القطار الذي يقوده الاحداث ؟ ينقل في الصيف والخريف مليوني راكب .

في الطريق الخمسيني الصغير تسحب القاطرات عربات صغيرة ... للاطفال .

لقد مدت اول سكة حديد للاطفال في البلاد في تبليسي سنة ١٩٣٥ . اما الخط الحادي والخمسون لسيقل الاطفال في معرض منجزات الاقتصاد الوطني وقد اجرى المصممون في معهد تصميم طرق السكك الحديد المسح الاول للمكان في قسم المعرض حيث سيمد هذا الخط .

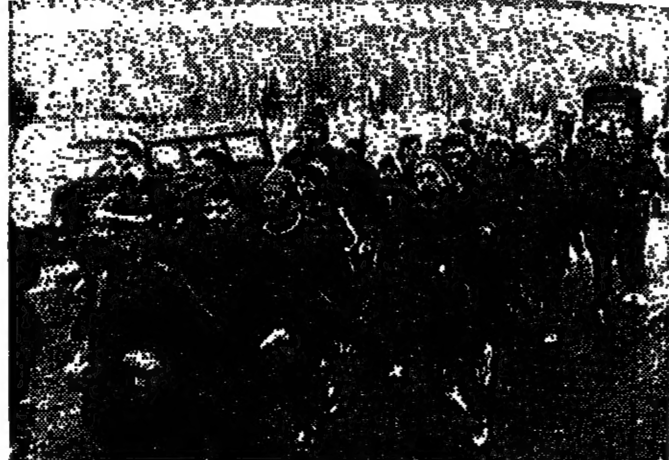
قال فاليري بوستيشين نائب رئيس المهندسين المعماريين في معرض منجزات الاقتصاد الوطني للاتحاد السوفيتي : سيمد هذا الخط في منطقة الراحة لبلدة المعرض ، وسيكون طوله نحو كيلومترين وفيه ثلاث محطات : لودوتشنايا ، فروكتوفي ساد ، دوبكا وقد اختبرت تضاريس المكان بحيث تنوع شكل الطريق – صاعد ، نازل مثنى ، وسيقام مرآب للعربات والقاطرات ومنشآت اصطناعية صغيرة وتقاطعات واشارات ضوئية للمرور .

سيعمل الاطفال في هذا الخط الصغير بشكل مستقل ، كمساعدين وحراس في المحطة وضبطيين ومراقبين . وسيغدو الخط مركزا دراسيا تنظيميا للتوجيه المهني واعداد اختصاصيي المستقبل للخطوط الكبيرة في البلاد .

اليكم بعض الارقام والوقائع . يعمل في قاعدة خط الاطفال هذا اكثر من ثلاثة آلاف حلقة تكنيكية . ويشارك هؤلاء الاطفال دائما في معرض الابداعات الذاتية في معرض منجزات الاقتصاد الوطني . ومنح ميداليات المعرض في الاعوام الثلاثة الماضية فقط ٣٥ منهم .

سيحتفل في العام الحالي بذكرى مرور مائة وخمسين عاما على انشاء الخط الاول للسكك الحديدية في روسيا الذي ربط بطرسبورغ بتسارسكوي سيلو . وربما ذلك محض صدفة ، لكن الطريف هو ان فيلم «قطار الى محطة الطفولة» سينجز قريبا . وقد صور في ستوديو «تركمانفيلم» بتوصية من لجنة الاذاعة والتلفزيون التابعة للدولة وهو فيلم من حلقتين . ويعتبر اول فيلم من نوعه في البلاد .

بوريس كوليسنيكوف



اعضاء نادي هواة الركض يتدربون

الجري ونشاطات أخرى

في شباط (فبراير) من هذا العام ينقضي العام السادس على تاسيس نادي هواة الجري الموسكوفي «مير» الواقع في حديقة غوركي المركزية للثقافة والراحة . ورغم هذا التاريخ القصير يثير الدهشة تزايد شعبية هذا النادي لدى الموسكوفيين . بدأ نشاطه من خلال تجمع عشرات الاشخاص هواة الركض الذين قرروا التدريب بصورة مشتركة . واليوم يتدرب فيه زهاء الفي شخص من شتى الاعمار .

يجتمع هؤلاء بشكل دوري في النادي ويتبادلون خبرة التدريب ويشاركون في الركض وجميع النشاطات على اساس تطوعي ودون مقابل . ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا النادي يضم في صفوفه اناسا من مهن مختلفة ، مستعدين لتطبيق معارفهم وقدراتهم وقت الفراغ كتقديم الاستشارة الطبية .

للنادي مكتبة خاصة به تضم كتب وكراريس الارشادات في الركض وانواع الرياضة الاخرى . كما جمع اعضاء النادي ايضا المؤلفات الادبية .

وليس النادي هو المهندس داليد لاستولسكي وهو مولع بالتصوير ويعمل منذ اكثر من عشرين عاما مصورا صحفيا في مجلة «الشبيبة الريفية»

يقول داليد انني ارى الهدف الرئيسي للنادي في جلب اكبر عدد من الاشخاص لممارسة الركض الصحي . في البدء ياتون لعندنا لكي يعيدوا صحتهم الى وضعها الطبيعي و من ثم تظهر عادة لديهم الرغبة بالمشاركة في المسابقات والركض ونشاط النادي والانسان عندنا يقضي على بعض العوائق الداخلية لديه ، ويؤكد ذاته ، ويشعر بالنهوض معنوي . وتبدا جميع اعضاء جسمه بالعودة الى حالتها الطبيعية ومنها الاوعية الدموية والقلب والجهاز الحركي طبعا ، يتسم كل ذلك بطابع فردي جدا ولذلك تجري دروس الركض باشراف طبي حتما . ان النتيجة واحدة وهي التحسن في الصحة بعد انقضاء عدة اشهر .

– هل يجري بحث علمي معين في مجال الطب الرياضي في النادي ؟

– حتى الآن لا يجري مثل هذا العمل بصورة دائمة لقد قام العاملون في معهد الابحاث العلمية السوفيتي للتربية البدنية بتنظيم استمارات للمتدربين في النادي عندنا ، وتاكدوا من المستوى الاقصى لاستهلاك الاوكسجين لديهم . وهذا المؤشر بالضبط يعطي صورة اكمل عن الحالة الوظيفية لجسم الانسان ، يعتبر دليلا على الصحة . واثبتت الابحاث مرة اخرى ان مستوى استهلاك الاوكسجين للذين يمارسون رياضة الجري باستمرار اعلى بكثير منه لدى ممارسي التمارين الخفيفة والضروب الرياضية الاخرى التي لا تعطي مثل هذه النتيجة والآن نامل ان يتطور العمل العلمي بعد ان اصبح نادينا قاعدة النادي السوفيتي لهواة الجري في الجمعيات الرياضية الطوعية للنقابات والنوادي الموسكوفية.

– يوجد في موسكو ، حسب اطلاعي اكثر من ثلاثين ناد لهواة الجري. هل تقيمون علاقات معها ؟

– نجري بصورة مشتركة تمرينات وجري ، ومسابقات .

– هل تصادفون مصاعب تعيق عمل النادي وزيادة فعاليته ؟

– تدعمنا ادارة الحديقة بشتى السبل ، وهي دائما الى جانبنا ، ولا تكتفي فقط بتوفير الابنية مجانا ، اما رؤساء شركة الاصلاح والبناء في حي اكتوبر في العاصمة فليسوا دائما معنا وقد اوصت ادارة الحديقة بمشروع ابنية للنادي حسب طلبنا ، وخصصت طابقا كاملا في مبناها الاداري . اما البناة فليسوا على عجلة من امرهم .

– ما هي الخطط القريبة للنادي ؟

يخطط النادي السوفيتي لهواة الجري في هذا العام للقيام بسباق تتابع على الخط الدائري – من بحر البلطيق وحتى منطقة بريموروسك على المحيط الهادي، ومن ثم خط النهاية في لينينغراد . يكرس هذا السباق لمناسبة الذكرى السبعين لثورة اكتوبر ونحن ايضا نرغب بالاشتراك في هذا السباق .

اندريه غوسليف

استوعبوا التجربة يا رجال !

منوعات

التقت ١١٥ مصارعة في الجودو من الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية وفرنسا والنمسا وفنلندا ويوغسلافيا والمجر وبولونيا وبلغاريا والاتحاد السوفيتي في المباريات الدولية الثانية في موسكو .

وفاز في اربعة اوزان : فرنسا–٤ ميداليات ذهبية ، الولايات المتحدة الاميركية–٢ ذهبية ، الاتحاد السوفيتي والمانيا الغربية ، بميدالية ذهبية لكل منهما .

شاركت الرياضيات السوفيتيات للمرة الثانية بشكل هذه المباريات الكبرى ، وكن افضل ، بالمقارنة مع المباريات السابقة التي خاضوها لاول مرة في العام الماضي . والمهم ان هذا التقدير لا ينطلق من عدد الميداليات التي حصلوا عليها (كانت انذاك ٦ اما الان فهي ١١) جاء الى موسكو الان رياضيات حاملات كثير من الالقاب . اما فتياتنا (فهن اقل عمرا وخبرة) لكنهن تبارين بجدارة واظهرن اعدادا تكتيكيا وبدنيا لائقا .

ستجرى في ايار (مايو) في باريس بطولة اوروبا . وستجرى بطولة العالم في تشرين الثاني (نوفمبر) في اسين (المانيا الغربية) . وهكذا تنتشر مصارعة الجودو ، وتنتشر بسرعة بين النساء . واشار الاختصاصيون الى الاسلوب الخاص للجودو النسائية حيث لا تكمن الاهمية الحاسمة في الوزن والقوة البدنية ، انما بالمهارة والتنسيق والقدرة على التمويه .

فريق «دينامو» محظوظ

حددت القرعة الربع النهائي لنوادي كرة القدم الاوروبية الحائزة بكؤوس المباريات .. وسيلعب فريق «دينامو» كييف مرتين مع فريق «بيشيكتاش» التركي من اسطمبول على كاس الابطال وسيلعب فريق «توربيدو» موسكو مع فريق «بوردو» (فرنسا) على كاس الكؤوس .

ان سمعة كرة القدم الفرنسية ارفع من التركية ، اما فريق «بوردو» فهو واحد من اشهر الفرق في اوروبا وينتظر «توربيدو» اختبارا جديا ولذلك فقد اعتبر الجميع ان حظ «دينامو» كييف حسن . وسوف لا نستعجل في تحديد الفرق التي ستنتقل الى شبه النهائي ، اذ ان ذلك سيكون معلوما في لعبتي ٤ و١٨ اذار (مارس) اما الان فنقول : ان الضعفاء لا ينتقلون الى دورة الربع . اما فيما يخص فريق «بيشيكتاش» فهو من اقوى فرق تركيا وقد لعب بنجاح واكثر من مرة ضد فرق القارة المعروفة . ولذلك لا يجوز الاعتبار بان الفوز سيكون سهلا . اذ ان مثل هذه الحسابات غير مسموح بها في الرياضة .

بعد تسعة اعوام من الانقطاع

اصبح الموسكوفي نيكولاي فولياييف (٢١ سنة) الفائز السوفيتي التاسع في السباق بالمزلج على الجليد في بطولة اوروبا . وقد جرت البطولة في مدينة تروندهيم النرويجية . والمعروف ان الرياضيين السوفيت قد فازوا في بطولة القارة سنة ١٩٧٨ . ويمكن القول ان فوز نيكولاي في تروندهيم هو بادرة للنجاح في الالعاب الاولمبية في كالغاري سنة ١٩٨٨ .

ستيفكا مرة اخرى

تهرت الرياضية البلغارية ستيفكا كوستادينوفا مسجلة الرقم القياسي العالمي في القفز العالي ارتفاعا طوله ٢٠٤ سم في القاعة في المباريات التي جرت في جنوا (ايطاليا) وهي الاولى من «الساميات» التي سجلت هذا الرقم في الموسم الحالي .

تستعد الرياضيات السوفيتيات بنشاط الى البطولة الشتوية لاوروبا والعالم . وفي ١٤–١٥ شباط (فبراير) في موسكو سيتبارون على بطولة الاتحاد السوفيتي . وان نتائجهن العالية ليست سيئة في كثير من الانواع لقد قفزت غالينا تشيستياكوفا لمسافة ٧٠٩ سم طولا وهي افضل محصلة في العالم لهذا الموسم .



لقطة من مباريات الجودو الدولية للنساء في موسكو

ادوارد اوسبينسكي : ...

(بقية المنشور على ص ١١)

الادراك . لقد وقعت بيدي منذ فترة غير بعيدة رواية عن حياة طلاب الصف الخامس كتبها بسهد طالب من الصف السادس . لقد ابتسمت غير مرة وانا اقرأ الجمل المتملقة والمزوقة التي تتحدث عن قصة لطيفة للتآمر على المعلمة غير المحبوبة ، ثم انشغلت بها فاذا بي ادرك اخيرا ان بين يدي كتابا قد يكون واسع السمعة ، بل قل صرخة طفولية تنم عن نشوة كتاب كثيرين وسط التلاميذ على اي حال ساعرض الرواية على دور النشر ، فان رفضوا (وهذا جد وارد) ساعرضها على دور النشر في الخارج حيث يشعرون بمثل هذه الحالة .

المهم ان كلهوتي ، ليس هذا تخريبا ايديولوجيا ، بل كشف لصورة الحياة عندنا ، انها دعاية اتقنا اطفالنا جيدا ، وهذا مؤكد لنا ، فهم ليسوا بحاجة لخلق العيد ، فالعيد معهم دوما .

– يجب الايغيب عن البال ان مثل هذا الجو كان طيبا على ادب الاطفال الذكر مارشاك وغارمس وجيتكوف وفيدينسكي والشوكوفسكي وفيما بعد كاسيل وميخالكوف تلك النخبة التي تتمتع بفن «العيد فيناه» حيث بامكانهم الانتقال الى غرف الاطفال وليس الى الكتب وبالمناسبة مازالت كتبهم تعيش حتى اليوم فاين اختفى مثل هذا الجو ؟

– ان كتب الكبار اعتراف لي كثير من احيان وكتب الصغار – موعظة . ان ادب الاطفال الحقيقي يزدهر في المجتمع المعافى فقط ، ... اذا وعقل الانسان اليافع النظرة الطفولية للعالم في المجتمع غير المعافات فيعتبرونه مجهولا ويعزلونه .. لقد اتهموني باني اقلد غارمس علما باني لم اقراه لا في طفولتي ولا في شبابي . فغارمس كان ممنوعا ، انما كتب كهذه في ذلك الزمان كانت كالمتفجرات الخطرة .

– كيف يمكن شرح وجود الكتيبات المستهالكة ، ترى من اين يأتي الصلف العالي ؟

– ان اجود الاعمال الادبية ذات سهولة جمة توحي الى كل منا بانه قادر على ذلك ، وبطلبات محددة – بمناسبة مؤتمر الشبيبة الشيوعية (الكمسمول) ، بمناسبة عيد تاسيس الطلائع ، بمناسبة افتتاح محطة لتوليد الكهرباء ... ان الكاتب الاصيل غير مؤهل لذلك فما بالك بالمزيف ربما اكثرهم ، وهم عمليا ليسوا على اطلاع على حياة الاطفال ، ولا يهمهم حتى راي الاطفال ، لمن السهل عليهم كونهم (طليعيين) ان يفتسوا بمنزاتهم الذاتية . وهكذا ظهر مصنع الكتب التي لاتقرا الا انه لم يلمع اي اسم جديد في ادب الاطفال منذ عشرين عاما خلت ..

ومع هذا اجد نفسي متفائلا لان معاناة المجتمع لابد ان ينعكس في توعية ادب الاطفال ، هذا امر بديهي .

– علينا ان نبرهن على بديهيتنا وهذا ليس سهلا ، فمن اي شيء تجمون مفتاح النجاح ؟

– انه في اطفالنا ذاتهم ، علينا التعلم عندهم – وليس عند سواهم وكبداية يجب علينا قليا ان نحرز لهم لنفهم الخاصة بهم ونفهم قواعد العابهم ونفس ما هو عزيز عليهم هم بذاتهم يحددون الطلب الحقيقي والاجتماعي واذا اردتم تجاري كذلك .

اليوم في كل مكان يدرج حساب الربح والخسارة ، وادارتنا ليست استثناء ، وكمرجع اورد لكم حسبة اطفال قديمة تقول : من حدبة عالية لتتدحرج مقلاة ، في المقلاة خبز وماء وحنطة وملح ، مسح من كود التسامها ا».. .

وتقتسم عادة مع الرب الناس ...

اجرى الحوار اندريه فاسيليف

قياصرة قبل وبعد ...

(بقية المنشور على ص ٨)

فوافقت . وارسلوا لي من القيادة العامة مسودة المرسوم . ووصل في المساء من بيتروغراد غوتشكوف وشولغين ، لتبادلت معهما الراي وسلمتهما مرسوما معدلا ومصدقا . في الساعة الواحدة ليلا غادرت بسكوف بشعور مثقل ، اذ انتشرت الخيانة والجبن والخداع ..

(من يوميات نيقولاي)

المرسوم القيصري الاخير

في ايام الصراع العظيم مع العدو الاجنبي الذي يسعى منذ ٣ اعوام تقريبا الى استعباد وطننا ، شاء الله ان ينزل على روسيا محنة عصيبة جديدة .

ان الاضطرابات الداخلية الشعبية المتاججة تهدد بانعكاس خطير على خوض حرب طاحنة في المستقبل .

ان مصائر روسيا ، وشرف جيشنا البطولي ، وخير الشعب ، وكل مستقبل وطننا العزيز يتطلب مواصلة الحرب حتى النصر الحاسم .

يزج العدو بقواه الاخيرة ، وقريبة هي الساعة التي سيتمكن جيشنا الشجاع بالاشتراك مع حلفائنا الامجاد من دحر العدو .

في هذه الايام الحاسمة من حياة روسيا نرى ان من واجب الضمير التيسير لشعبنا وحدته الوثيقة وتكاتف كل القوى الشعبية من اجل تحقيق النصر العاجل ، وبالاتفاق مع مجلس الدوما ، وجدنا ان من المصلحة التنازل عن عرش الدولة الروسية والتخلي عن السلطة العليا . اعان الرب روسيا !

نيقولاي ، مدينة بسكوف ٢ مارس (اذار) ١٩١٧ الساعة ١٥٫٠٠



الكساندر لاتروسكين

بدأ الكساندر لاتروسكين يمارس التصوير الفوتوغرافي منذ ان كان طالبا في كلية الصحافة بجامعة موسكو . وكان ينوي ان يصبح مصورا صحفيا . وعند قيامه بواجباته الدراسية احس بضرورة دعم مايكتبه بالصور . وهكذا انضمت آلة التصوير الى قلم ودفتر مذكرات الصحفي الناشيء .

وهكذا يحدث احيانا ان تصبح الهواية التي تمليها الضرورة العمل الرئيسي في كل الحياة .ولم يتخل الكساندر عن حلمه فاصبح مصورا صحفيا . ولقد جذبت صوره الانظار بمواضيعها وبالمهارة في التقاط الاحداث الرئيسية ، وعكس جوهرها ، وليس هامشها .

واخذ الكساندر يعمل في الآونة الاخيرة في جريدة «موسكو المسائية» وسألته هل يروق له العمل كمصور المدينة . واليس من المضجر العمل ضمن اطار مدينة واحدة . فاجاب عن قناعة : كلا . فالعمل في جريدة المدينة طريف وان كان معقدا . ويجب رصد اللحظة المعبرة من الحدث في وقتها .

ان موسكو موطني وقد مررت بكل واحد من شوارعها وشاهدت عماراتها عشرات المرات . ولكن من الضروري مشاهدة الاحداث في كل مرة وكأنها للمرة الاولى .

ان جوانب حيـــاة المدينة متعددة وتجرى فيها عشرات الاحداث يوميـــا .









انـــاس بين النـــاس

* هنالك ثلاث جوائز بانتظار الفائزين في مسابقتنا للصور الفوتوغرافية .

* وسيحصل القراء الذين تتطابق آراؤهم عن ثلاثة مصورين مع اراء هيئة التحكيم على آلة تصوير من نوع «كييف» .

ولا تنظم هيئة التحرير هذه المسابقة بين صور منفردة بل بين المصورين السوفييت تحت شعار «اناس بين الناس» .

وستنشر على الصفحة ١٦ خلال العام اعمال ١٢ من المصورين .

ونرجو القراء ان يبعثوا الينا بتقييمهم للصور المنشورة وفقـــا لنظـــام الدرجات العشر وسيؤخذ ذلك بعين الاعتبار عند تحديد الفائزين الثلاثة الاوائل .

كما سيحصل على جائزة اي قارئ يمنح الدرجة العليـــا (١٠ درجات) الى الفائزين في المسابقة . ولا يحق للقارئ ان يمنح الدرجة العليا الى اكثر من ثلاثة متسابقين . وفي حالة خرقه لهذا الشرط يسقط حقه في المسابقة .

ابعثوا برسائلكم الى هيئة التحرير خلال فترة لا تزيد على شهـــر من موعـــد نشر الصور وسنعتبر الختم على غلاف الرسالة كموعد لارسال الرسالة .





انباء موسكو

رئيس مجلس الادارة
يغور ياكوفليف

رئيس التحرير
فلاديمير صمداي

* مصر ٥٠ م * سورية ١٫٢٥ ليرة * اليمن الديمقراطية ٤٠ ف *

العنوان : موسكو
١٦/٢ شارع غوركي
تليفون : ٢٢٩٥٨٧٢
تلغرافيا :
Moscow-MoscowNews-
اينديكس ٥٠٠٩٠

طبعت ١٩٨٧/٢/٣
عند نقل او مواد من جريدتنا يرجى الاشارة الى المصدر

Цена 10 коп, Индекс 50090

اطلب الملحق مع هذا العدد

«Анба Мускуа» («Московские новости на арабском языке») № 6 (920), 8 февраля 1987 г.